

(من الدولة السعودية الأولى حتى معاهدة الطائف)

١١٥٧-١٣٥٣هـ

١٧٤٤-١٩٣٤م

الجزء الثاني

تأليف

عبد الواحد محمد راغب

دَلال



(من الدولة السعودية الأولى حتى معاهدة الطائف)

١١٥٧-١٣٥٣هـ

١٧٤٤-١٩٣٤م

الجزء الثاني

تأليف

عبد الواحد محمد راغب

دالاال

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

استكمالاً لما سبق من هذه الدراسة في الجزء الأول عن كلٍّ من مناطق "جازان وعسير ونجران" نقدم لك - أيها القارئ الكريم - الجزء الثاني منها، وهو يشمل الفترة منذ قيام الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى حتى العهد الحاضر، في إيجاز واختصار وتركيز، والإطار الزمني والمكاني، وماطرأ من التغيرات والأحداث محلياً ودولياً، وأحوال شبه الجزيرة العربية، في ذلك الوقت، تتأثر بما حولها وبما للقوى الدولية من مصالح ونفوذ.

ولو أطلقنا للقلم العنان لكبر المجال وطالت المسافة.

والقارئ المعاصر له مشاغله وعليه التزاماته، يضيق وقته في استكمال قراءة الصحيفة اليومية فضلاً عن كتاب يحتوى على مئات الصفحات.

وفي الوقت نفسه مطلوب توضيح الحالة، فقد كانت شبه الجزيرة العربية قد فقدت اسمها وعروبتها أو كادت، وأصبحت ضمن خريطة الإمبراطورية العثمانية كسائر البلاد التابعة لها، ليس لها كيان خاص، فأضحت وكأنها لم تكن هي التي حملت مشاعل الإسلام ورايات

الفتوح، وأنارت ظلمة جهالة الكون فى ذلك التاريخ، حتى أن خريطتها أصبحت ضمن خريطة الإمبراطورية العثمانية وجزءاً منها، واسمها ضمن الرعايا العثمانيين، الذى عمم على كل من استظل بالراية العثمانية، فلا حدود تميزها ولاخصائص تتفرد بها عن تلك الإمبراطورية المترامية الاطراف فى أوربا وأسيا وبعض أفريقيا. حتى أتاح ا لله قيام الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى، التى نقّت الإسلام من الخرافات والبدع وأعادته إلى العصور الأولى فى عهد الخلفاء الراشدين وترامت حدودها من مشارف الشام وحدود العراق إلى جبال حجة وكوكبان وباب المندب.

فرأت الدولة العثمانية تلك النهضة المباركة والبعث الجديد، وإحياء معالم الدين، والنهضة الإسلامية الحقّة، والعربية السُّدى واللُّحمة، ماينذر بزوال نفوذها وطيّ صفحة استعمارها.

فشمرت عن ساق الجد، وأسندت إلى محمد على القيام بالمهمة، ووجدت تأييداً من بعض الدول الأوربية، التى لهما مصالح فى بقاء الحال على ماهو عليه، لأن الدولة العثمانية فى ذلك التاريخ كانوا يسمونها بالرجل المريض، وتلك الدول تنتظر وفاته فى الصباح والمساء، فشمر عن ساق الجدّ، وكان ماكان من تقويض تلك النهضة، وإطفاء

تلك الشعلة، وإنما كان ذلك لفترة وجيزة ومدة قصيرة، وظل لها وميضها وبريقها الظاهر والخفيّ، مشتعل في الصدور، كما قيل[1]:

كأني "بعين" الشعرِ أرمقُ فكرةً
تجَول "بذهنٍ" بَذّت "العُجم" والعُربا
بدت شعلةً حمراءَ يضمرها الدُّجى
فتخبو ويذكيها اليقين إذا هَبَّا
فإن عصفت "نكْبَاء" خطبٍ توهجت
برغم احتلال الخطب واستعرت شبّا
إلى أن سرى في ضوئِها العرب للعلا
وعَمَّ سنى لئلائِها الشرّق والغَربَا

إلى أن قيض ا لله إعادة تلك النهضة، ورجوع ذلك البعث على يد صقر الجزيرة وباني نهضتها الحديثة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

حرصين في الوقت نفسه على الايجاز والاختصار دون الإخلال بالمواضيع المهمة، متحاشين التكرار ومتجنبين الدخول في الزيادة المخلّة، وألا يكون ذلك على حساب العرض التاريخي والسرد الموضوعي.

وقد أعانني مجهود من سبقني من أبناء هذه البلاد، وما كُتب وأُلّف من مؤلفات كانت خير عون لي على إنجاز هذه المهمة الشاقة والعمل الجاد، اعتمدت على المراجع الأساسية وبعض الوثائق العربية

---

(1) المجموعة الشعرية الكاملة للعقيلي ص٢٢١.

والأجنبيـــة وبخاصـــة العثمانيـــة، كمـــا أنـــي اســـتفدت مـــن مؤلفـــات الشـــيخ العقيلـي وكـذا مـن مؤلفـات الأخـوة الأكـاديميين دون تحديـد أسمـاء أصحـــاب هـذه المراجـع، وعلـــى ضـــوء مصنفـــاتهم اهتدينـــا إلى مســـيرتنا لنقـــدم هـــذه الإضافـة التـي لم تعـدُ كونهـا خليجـاً مـن بحـــر، أو رافـــداً مـــن نهـــر مـــا كُتب وماسـوف يُكتـــب.

أســـأل ا لله التوفيـــق، وأن يرزقنـــي التواضـــع، ويلهمنـــي الصـــواب، وا لله علـى كـل شـئ قدير، ومـاتوفيقي إلا بـا لله.

المؤلـــــف

الباب الأول

امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى تلك المناطق، واستمرارية الولاء

- الفصل الأول: الوضع فى هذه المناطق إبّان ظهور الدعوة السلفية.

- الفصل الثانى: دخول هذه المناطق فى طاعة الدولة السعودية الأولى.

- الفصل الثالث: وجود جيش محمد على باشا الوالى العثمانى لمصر، فى هذه المناطق.

- الفصل الرابع: علاقة تلك المناطق بالدولة السعودية الثانية.

الفصل الأول

الوضع فى هذه المناطق إبّان ظهور الدعوة السلفية.

كانت منطقة جازان وعسير ونجران، مثل غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، بل الاقطار العربية والإسلامية كافة، قد تفشى فيها منذ زمن بعيد، الانحراف عن مبادئ الدين القويم، وانتشار البدع والخرافات، بين عامة الناس وخاصتهم، ودخل الانحراف إلى العقيدة الاسلامية من أوسع أبوابه، عن طريق الصوفية وغيرها، واختلق أرباب المنافع والأهواء مفاهيم للولاية والوليّ والأولياء، وأطلقوها على متبوعيهم، وغالوا فى إطرائهم، واظهار كراماتهم، وفى مدحهم والثناء عليهم إلى درجة أن نسبوا إليهم الكشف عن الغيوب، التى لايعلمها إلا الله ـ والعياذ بالله ـ وارتقوا بسلوكياتهم إلى درجة العصمة من الخطأ، التى لايوصف بها إلا الأنبياء عليهم السلام، وحاكوا حولهم أقاصيص وروايات ليستحوذوا بها على عقول العامة.

وأصبح الناس يقدسون الأولياء، وصارت أضرحتهم مطلباً تُشدُّ إليه الرحال .. يتباكون أمامها، ويتمسحون بها، ويتشفعون بأصحابها لجلب منفعة أو لدفع مضرة .. بل صاروا يلومون من لم يزرها ويتبرك بها،

ويُرجعون أسباب الكوارث التى تحل بهم، لتقصيرهم فى زيارتها، وتقديم النذور لها!!.[1]

وصار فى كل بلد يوجد إما قبر أو جماد أو نبات، خُلعت عليه أسطورة لاستدراج العامة إليه، بغرض تعظيمه، والتقرب إليه، والاستشفاع أو الاستغاثة به، ثم تقديم النذور، والعطايا، والهدايا، التى تدخل جيوب فئة من المنتفعين، الذين لايهمهم صواب أو صحة العقيدة، بقدر مايهمهم استمرار الوضع على ماهو عليه، لاستمرار نفعهم، هم وذريتهم من بعدهم.

ثم كان عصر المماليك، ومن عاصرهم من حكام وأمراء الدول العربية والإسلامية، فرأوا أن تُضفى عليهم هالة من التبجيل والإطراء، على نسق ماكان يضفى على الأولياء، فأطلقوا على أنفسهم العديد من الألقاب، تزيد أحياناً عن عشرة ألقاب[2] بما يوحى بأنه فوق الحساب، ولا رقيب عليه، أو أنه وذريته من طبقة مميزة عن بقية المسلمين[3] وترتب على

---

[1] حسين بن غنام، روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام، وتعداد غزوات ذوى الاسلام، ج١، ص٧-١٤.

[2] انظر مأأضفاه المماليك على أنفسهم من ألقاب، وهو العهد الذى انتشرت فيه الصوفية إلى العامة والخاصة، فى كتاب صبح الأعشى، للقلقشندى.

[3] انظر: حسين محمد نصيف، ماضى الحجاز وحاضره، ص١٧، ٢٨٩-٣٠٩، حيث قال إن أبا نمى، محمد بن بركات (ت ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م) كان قد أصدر قانوناً سمى باسمه "قانون أبى نمى" اشتمل على ٦٣مادة، جعل فيه الأشراف طبقة ممتازة لها حقوق وأعمال يجب ألا يمارسها العامة، وحرم على الرعية التطاول بأى حال على الأشراف، أو معارضة نفوذهم .. وعمل بهذا القانون فترة ثم توقف العمل به، لكن الشريف حسين بن عليّ أحياه فى عهده، وزاد عليه بعض المواد التى تعطى حقوقاً ومكاسب للأشراف. دون الرعية.

هـذا فقـدان العدالـة الاجتماعيـة، وتلاشـى نزاهـة الحكـم عـن الأهـواء والأغـراض، واسـتعمال أسـاليب القهـر والظلـم، وتبعـه عـدم الاسـتقرار الإدارى والسياسـى، والصـراع علـى السـلطة، والاخـلال بـالأمن، وانتشـار الفتن والاضطرابـات، والسـلب والنهـب، حتـى استشـرى الفسـاد فـى الـبر والبحـر!.

وحتـى لاأتّهـم بالمغـالاة فـى الوصـف، أو إعطـاء صـورة قاتمـة عـن الوضـع السـائد فـى المنطقـة، أو نجـد، أو الحجـاز، أو حتـى اليمـن مثـلاً، فيمـا قبـل الدعـوة السـلفية، مـن حيـث عـدم الاسـتقرار الادارى والسياسـى فـى شـبه الجزيـرة بصفـة عامـة، وهـو الاسـتقرار الـذى يَتْبعـه النمـو الاقتصـادى، والازهـار المعيشـى، ويسـود مـن خلالـه الأمـن، ويطمئـن النـاس فيـه علـى أرواحهـم وأموالهم، وذويهم، بمـا يمكـن أن يطلـق عليـه مجتمـع ديـن، آمـن، مسـتقر.

إن جانبـاً واحـداً مـن قتامـة هـذه الصـورة قـد أتـى مـن عـدم الاسـتقرار الإدارى والسياسـى، الناشـئ عـن الصـراع علـى الحكـم، والوصـول إلى السـلطة، بـأي ثمـن، وبأيـة وسـيلة، حتـى لـو كـان الثمـن قتـل الأخ أخـاه، فـى الأشـهر الحـرم[1] أو فـى المسـجد الحـرام[2] الـذى جعلـه الله آمنـاً بأمـان منـه

---

[1] اسماعيل حقى أوزون، أمراء مكة فى العهد العثمانى، ترجمة الدكتور خليل مـراد، ص١٢٣،١٢٤، وفـى غيرهـا، عن الأشراف الذين سعوا إلى السلطة بالقوة والغلبة.

[2] فمثلاً: وقعت معركة داخل المسجد الحرام، بين الشريف غالب بن مساعد وبين منافسه ابن أخيـه الشـريف عبـد الله بن سرور بن مساعد وذلك فى نهاية شـهر صفـر ١٢٠٤هـ (نوفمبر١٧٨٩م) استخدمت فيهـا البنـادق والمدافع، التى تطايرت منها إحدى الشظايا على جدران الكعبة، وانكسر على إثرها جزء من الحجر الأسـود--

سبحانه وتعالى، منذ عهد الخليل ابراهيم عليه السلام، وحافظ العرب فى جاهليتهم على الالتزام بأمانه، إلا فيما ندر، وجاء الإسلام ليؤكد هذا الأمان، فنجد أن الصراع يحتد على السلطة فى هذه الأماكن الآمنة، ويمارس البعض من طلاب السلطة أعمال السلب والنهب، تماماً مثل قبائل البادية التى دفعتها قسوة الظروف للإقدام على ذلك .. وقد قام بعض الولاة العثمانيين فى جدة، وأمراء الحج المصرى والشامى باشعال الفتن أحياناً بين أشراف مكة لمآربهم الشخصية.

الظروف نفسها مرت بها جازان التى كانت تمتد حدودها الجنوبية لتشمل حرض وما حولها فى معظم الأحيان، حتى حليّ بن يعقوب شمالاً، منذ عهد بنى طرف مروراً بالسليمانين حتى آل خيرات[1] منذ أن تمكن

--- وعندئذ تدخل العلماء وكبار القوم وطلبوا من المتقاتلين ايقاف القتال، ونقل صراعهم وقتالهم خارج مكة، انظر: اسماعيل حقى أوزون، المصدر السابق، ص١٢٣، ١٥١، وانظر أيضاً هامش ص١١٩ من المرجع نفسه. وفى ص١٢٠ يقول: بلغ القتلى فى المعارك التى دارت بين الشريف سعد بن زيد، والشريف عبد الكريم بن محمد فى شوال ١١١٦هـ (١٧٠٤م) حوالى ٦٠٠ قتيل، وقيل ١٢٠٠، وأن رؤوس القتلى قد فصلت عن الأجسام ثم جمعت وكوّمت فوق بعضها على شكل تلّ ووضعت أمام سبيل السلطان مراد فى المعلى لارهاب الناس. وانظر أيضاً: مرآة جزيرة العرب، لأيوب صبرى باشا، ترجمة. دكتور فؤاد متولى، والدكتور الصفصافى أحمد المرسى، ج١، ص١٠٨. ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، فيما نقله عن الجبرتى، ص١٠٦.

[1] العقيلى، تاريخ المخلاف السليمانى، ج١، ص٣٨٩، ود. أحمد بن عمر الزيلعى، المصدر السابق، ص٧٢، ٧٨، ١٩٠.

الشريف أحمد بن محمد بن خيرات[1] من كسب ودّ العلماء والزعماء المحليين، وتولى السلطة على أبو عريش[2] وما حولها عام ١١٤١هـ، ثم انتقلت الولاية بعده هكذا:

- ابنه محمد بن أحمد من عام ١١٥٤هـ حتى وفاته عام ١١٨٤، فيما عدا عام واحد انتزع السلطة منه عمه حوزان بن محمد.

- حوزان بن محمد بن خيرات. تولاها لمدة عام تقريباً. ثم استعادها منه ابن أخيه محمد بن أحمد، وظل حتى وفاته.

- أحمد بن محمد بن أحمد، تولاها بعد وفاة أبيه، في المرة الأولى عام ١١٨٤هـ، ثم تنازل عنها لأخيه حيدر بن محمد عام ١١٨٦هـ.

- حيدر بن محمد بن أحمد، تولاها بعد تنازل أخيه أحمد عام ١١٨٦هـ، ثم انتزعها منه عمه الحسن بن أحمد عام ١١٨٨هـ.

---

[1] التاريخ التقريبي لانتقال خيرات بن شبير بن بشير من ذوى زيد الحسنيين، إلى المخلاف، كان عام ١٠٧٧هـ تقريباً، وبعد مايقرب من ٦٠عاماً تولى حفيده أحمد أول سلطة لآل خيرات، على أبو عريش وماحولها، بولاء اسمى لإمام اليمن.

[2] لفظ "أبو عريش" مركب إضافى، من كلمتين، ولعلماء النحو طريقتان فى إعرابه: إما أن تظهر حركات الاعراب على جزئه الأول والثانى مضاف إليه، أو أن يعتبرا كلمة واحدة، وتظهر على الجزء الثانى فقط، وهذا مااخترناه ولذا لن نضعه ين قوسين، وكذا مايشبهه من الاسماء المركبة.

- الحسن بن أحمد بن محمد بن خيرات من عام ١١٨٨هـ حتى عام ١١٩٠هـ

- أحمد بن محمد بن أحمد (للمرة الثانية) من عام ١١٩٠هـ حتى عام ١١٩١هـ.

- عليّ (فارس) بن محمد بن أحمد من عام ١١٩١هـ حتى منتصف عام ١١٩٢هـ تقريباً.

- يحي بن محمد بن أحمد من منتصف عام ١١٩٢هـ حتى نهاية العام.

- أحمد بن محمد بن أحمد (للمرة الثالثة من بداية عام ١١٩٣هـ، لعدة أشهر).

- يحي بن محمد بن أحمد (للمرة الثانية) من منتصف عام ١١٩٣هـ تقريباً حتى عام ١٢٠٥هـ.

- عليّ بن حيدر بن محمد من عام ١٢٠٥هـ ثم تنازل عنها لعمه حمود بن محمد (أبو مسمار) عام ١٢١٦هـ، وفي عهد عليّ بن

حيــدر هــذا بــدأت تنتشــر فــى المخــلاف (جــازان) الدعــوة السـلفية[1].

وبنظـرة أوليـة، ودون أن ندخـل فـى تفـاصيل الأحـداث التاريخيـة، يستطيع أيّ بـاحث أن يحكـم بأنـه كـان هنـاك صـراع على السـلطة بـين أبنـاء الأسرة الواحـدة، وأن الصـراع فـى الغـالب كـان دمويـاً، استخدمت فيـه كـل الوسائل الممكنة،وصـولاً إلى الغايـة المنشـودة ــ وهـى السـلطة ــ غلبـةً وقهـراً فى معظـم الأحيـان، وانتفـى بذلـك الاستقرار الإدارى والسياسـى، ومـا تبعـه مـن عوامل سـلبية سـادت المنطقـة.

كـان مـن أسـوأ المظـاهر السلبية إستعانة أمـراء آل خـيرات بقبـائل يـام مـن نجـران، لتوطيـد حكمهــم. ممـا حـدا بقبـائل يـام لزيـادة أطمـاعهم فـى المنطقـة، إمـا بفـرض إتـاوات، أو المزيـد مـن أعمـال السـلب والنهـب، وتدخلهـم فـى شـئون الحكـم فـى جـازان، بمنـاصرة أمـير علـى آخـر، وادخـال الـرَّوع فـى قلـوب بعضهـم، حتـى أن الأمـير أحمـد بـن محمـد (ت ١١٩٨هــ) الـذى تـولى الامـارة لثـلاث مـرات، كـان يرتجـف قلبـه عندمـا يعلـم بقدومهـم إلى أبـو عريـش، فيتنـازل عـن الامـارة لأحـد إخوتـه حتـى لايواجههـم[2] وأحيانـاً كـانت

---

[1] اعتمدنا فى ترتيب اسماء ولاة آل خيرات، وسنيّ حكمهم على ماأورده استاذنا الشيخ محمد بن أحمد العقيلى فـى كتابه "تاريخ المخلاف السليمانى" ج١، ص٣٨٧-٤٣١.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٩،٤١٦،٤١٧،٤٢٣.

تتم الاستعانة بقبائل وادعة عَبيدّة من خارج المنطقة، وقحطان، وهم من قبائل عسير[1] بالاضافة إلى بطون من حاشد وبكيل[2].

كانت هذه الاستعانات بقبائل من خارج جازان تكلفهم باهظاً، فيضطرون إلى فرض ضرائب، أو مصادرة بعض الأموال، حتى ضاقت صدور الأهالى، وقبائل المنطقة، بالاضافة إلى وجود منافسين من القطبيين والخواجيين الذين كانوا يحكمون المخلاف فيما مضى، ولاتزال تطلعاتهم إلى الحكم قائمة، مما يوحى بعدم الاستقرار.

كما كان من نتيجة عدم الاستقرار الإخلال بالأمن، وشيوع الفتن والاضطرابات، وفقدان الثقة بين الناس، وتحزبات البلدان والقبائل بعضها على بعض، وامتهان بعض القبائل أعمال السلب والنهب، وهنا تطلعت نفوس المصلحين، وذوى الهمم العالية فى جازان (المخلاف السليمانى) إلى البحث عن مخرج .. وكان وقع الأحداث فى نجد ـ من أثر الدعوة السلفية ذاك الوقت ـ يهز القلوب، فكان الاتجاه صوب الدعوة، ومقرها فى الدرعية، حيث أصلحت من أحوال نجد ماأفسدته جهالة الجاهلين. من بدع وخرافات، وفتن وعداوات[3]، فدخلت فى صراع مع المناوئين، ولأنها دعوة حق فقد نصرها الله على خصومها، بل تحول معظم هؤلاء

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦،٤٢٣.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٠-٣٨٦.

المعادين بالأمس إلى مناصرين لها، يشد بعضهم أزر بعض، في تفانٍ لم يعرف له مثيل إلا في صدر الاسلام .. وكان هذا مثار دهشة لمن هم حول نجد، فبدأوا يمعنون النظر في أمرها حتى عرفوا أنها الحق .. فوجهوا ركبهم إليها، وكان في طليعة أهل جازان إليها الداعية الشيخ أحمد بن حسين الفلقي، من أهل صبيا. وعرار بن شار من بني شعبة.

أما عسير السراة فإن الوضع فيها ـ قبيل ظهور الدعوة ـ كان يختلف نوعا ما عنه في جازان، فقد لوحظ أنه لم تقم فيها إمارات جمعت كافة بلدان عسير وقبائلها تحت رئاسة مركزية واحدة، مثلما كان الشأن في جازان، فلم تشر المصادر التاريخية الموثوق بها إلى شئ من هذا القبيل، بل إن بعضها أشار إلى أن الرئاسات فيها كانت مستقلة، وإلى أنه ليس لأحد سلطان عليهم[1] وأن رؤساء البلدان والقبائل كانوا هم المهيمنون على مناطق بلدانهم وقبائلهم، منذ زمن بعيد، وبخاصة آل يزيد، وبنو مغيد، وعلكم، ورفيدة، وربيعة، وبنو مالك، وغيرهم من قبائل عسير، وكانت لهم رئاسات لكنها مرتبطة أكثر بمكة المكرمة. في حين أن قبائله الجنوبية مثل قحطان الجنوب، ووادعة، وعبيدة، وغيرها كثيراً ماكان يستعان بها في المنازعات التي كانت تحدث في اليمن، وفي جازان أيضاً، وذلك بمقابل نظير مشاركتهم.دون أدنى ولاء لأيّ منهم على تلك القبائل المتعددة.

---

[1] العقيلي، عسير في أطوار التاريخ، ص٥٣،٥٤،٥٨.

لكن الغالب على تلك الرئاسات كان كثرة المنازعات إما بغرض التوسع وفرض النفوذ، أو البحث عن مغنم ومصدر رزق وبخاصة عندما تجدب الأرض، وعندها تشيع الفتن والاضطرابات، ويُفتقد الأمن والأمان .. لذا تطلعوا هم أيضاً إلى الدعوة الاصلاحية، لإصلاح أمر دينهم ودنياهم.

عرف عن اليامين من قديم، الشراسة وقوة الشكيمة في النزال، ولهذا فطالما استُعين بهم، نلحظ أن أئمة اليمن استعانوا بهم في صراعهم بعضهم مع بعض، أو مع خصومهم من العثمانيين وغيرهم، بمقابل نظير هذه الاستعانة، وعندما حاولوا بسط نفوذهم عليهم، منذ عهد الامام الهادى[1]، رفضوا هذا النفوذ، وعندما تسرب إليهم المذهب الاسماعيلى، واعتنقوه[2] استحكم العداء بينهم وبين أئمة اليمن، حيث اتسم بالعداء العقائدى، كما استعان بهم أشراف جازان،ومع أن أرضهم من أجود البقاع الزراعية، منذ الجاهلية، إلا أنهم لم يهتموا بها بما فيه الكفاية، وامتهنوا أعمال الغزو والسلب، ربما لأنها توافق طباعهم، وتشبع رغبتهم

---

[1] الامام الهادى يحى بن الحسين الرسى، أول الأئمة الزيدية فى اليمن، حكم خلال الفترة من عام ٢٨٤ ـــ ٢٩٨هـ (٨٩ - ٩١١م).

[2] قيل إن مبادئ المذهب الاسماعيلى تسربت إليهم منذ عهد على بن الفضل (ت٣٠٣هـ) على نطاق ضيق، و لم ينتشر إلا بعد أن قدم إلى نجران الداعى محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المكرمى عام ١١٢٧هـ حتى توفى عام ١١٢٩هـ فخلفه مكرمى آخر، وصار للمكارمة الرئاسة الدينية والدنيوية على يام .. وبهذا نستنتج أن قبيلة العجمان وبنى مرة نزحت عن نجران بعد هذا التاريخ، ربما لرفضها عدم الدخول فى المذهب الاسماعيلى، واصرارها على بقائها على مذهب أهل السنة، وربما يكون سبب النزوح غير ذلك.

في امتشاق الحسام، والضرب والنزال .. لالمبدأ وإنما لمغنم، وأطلق عليهم أنهم جنود مرتزقة[1].

ونلحظ أن خصومة الياميين بقيادة المكرمي حسن بن هبة الله، للدعوة السلفية في بدء أمرها، لم تكن خصومة عقائدية، مثلما كان الحال بينهم وبين أئمة اليمن، وإنما كانت بدافع الرغبة في البحث عن الغنيمة، فإذا ماحصلوا عليها عادوا من حيث أتوا، فقد استجابوا لاستغاثة أقربائهم العجمان، وكانت موقعة حاير سبيع بين الخرج والرياض عام ١١٧٨هـ، وانتصر فيها المكرمي بما يشبه الخديعة، وقدم إليه ابن دواس، وزيد بن زامل، رئيس بلد "الدلم" وغيرهم مهنئين بالنصر، وحاملين له الهدايا، وفي الوقت نفسه يحثون المكرمي على المضي إلى الدرعية، للقضاء على الدولة الناشئة، ومن ثمّ تملكها، لكن المكرمي الذي عجز عن اقتحام الدرعية، وهزم أمام دفاعاتها، عرف أنه لن يستطيع القضاء على الدولة التي يُرغّبونه في القضاء عليها، لذا قنع بما حصل عليه من مغنم وهدايا، ولم يستجب لتلك الاغراءات، وعقد صلحاً مع قادة الدرعية تبودلت فيه الأسرى، وعاد إلى نجران[2] ثم قدم مرة أخرى عام ١١٨٩هـ، أي بعد أحد عشر عاماً، استجابة لاغراءات ابن زامل، وحويل الودعاني، وبطين بن عريعر رئيس الأحساء، الذين وعدوه ببذل الأموال بسخاء، فقدم ونزل حاير سبيع، ثم تحول منها إلى بلدة ضرما، وكانت فيها مرابطة بعثها إليها الامام

---

[1] العقيلي، المخلاف السليماني، ج١، ص٤٢١.

[2] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٩٣-٩٦.

عبد العزيز بن محمد، فتكاتف أهل ضرما والمرابطين في التصدى له، وانزلوا به هزيمة قبل أن تصلهم نجدات الدرعية فانسحب منها عائداً إلى نجران، بعد أن قبض المقابل ممن استدعوه[1] وظل قابعاً في ديرته، مبتعداً عن الدخول في نزاعات مع قادة الدرعية، إلى أن دخل ماحوله من بلدان في طاعة الدولة السعودية، فلم يجد معظم سكان نجران، مفراً من بذل الولاء، مما سنعرضه فيما بعد.

ومما يلاحظ أن استقلالية الياميين بقيادة المكارمة على مواطنهم بنجران، كانت شبيهة باستقلالية الرئاسات في بلدان نجد قبل الدعوة، إلا أنها لم تمنع من وجود نوع من الترابط، أو التحالف مع بوادى نجد وبلدانها من قديم، وربما يعود ذلك إلى أنهم كانوا يعتبرون أرض نجد امتداداً طبيعياً لمواطنهم، حتى أن البطون والعشائر اليامية التي كانت ترغب في النزوح عن نجران لأى سبب كان، كالعجمان وآل مرة، كانت تتجه إلى بادية نجد، دون أن تتجه جنوباً أو غرباً، وأن بادية نجد ـ وبخاصة الجنوبية منها ـ كانت تتجه إليها بعض قبائل وبوادى نجران للمرعى والكلأ، مما يشير إلى أنهم سواء، ولايقيمون بينهم فواصل طبيعية، أو إدارية .. ولم تشر المصادر التاريخية على مدى علمي، إلى أنهم غزو أرض نجد قبل الدعوة، مثلما كانوا يفعلون ذلك بأرض اليمن، وهذا يدل على وجود حد معين من التوافق، والانسجام، وامتزاج الأعراف والعادات،

---

[1] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص١٢٠،١٢٥،١٢٦.

على أقل التقديرات، إن لم يكن هناك ترابط وتحالف مع كثير من بوادى وبلدان نجد، اتباعاً للعرف السائد بين القبائل التى لم تكن تخضع لحكم سياسى مركزى يُحْكِم تصرفاتها، ويحد منها، وهى قبائل وبلدان وسط شبه الجزيرة العربية فى ذاك الوقت.

الفصل الثانى

دخول المناطق فى طاعة الدولة السعودية الأولى

الدعوة والدولة

كان التفكك السياسى هو السمة البارزة لتاريخ نجد منذ زوال الدولة الأخيضرية عام ٣٦٠ تقريباً[١] حيث قامت بنجد رئاسات وكيانات مستقلة على المدن والقبائل، و لم يستطع أيّ منهم جمع المنطقة تحت سلطة مركزية موحدة .. وبالرغم من أنه قامت فى الأحساء إمارات ذات سلطة ونفوذ كالعيونيين[٢] وآل جبر[٣] وبنو خالد[٤] وغيرهم، وكان

---

[١] بنو الأخيضر، حكام اليمامة (الخضرمة) من ذرية السبط الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وكان اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون، قد استولى بالغلبة على مكة المكرمة من يد جعفر بن الفضل بن عيسى العباسى، الوالى عليها من قبل الخليفة المستعين، عام ٢٥١هـ، ثم انطلق إلى المدينة المنورة فاستولى عليها ايضاً لكنه توفى بالجدرى عقب ذلك، فتولى الأمر بعده أخوه محمد بن يوسف، الملقب بالأخيضر، ثم انتقل إلى نجد وانشأ فيها دولة الأخيضريين، واتخذ بلدة اليمامة قاعدة للدولة، واستمر حكمهم حوالى قرن، حكم فيه منهم ثلاثة عشر حاكما، ثم زال حكمهم فى نجد على يد القرامطة عام ٣٦٠ تقريباً، و لم يستمر حكمهم فى مكة والمدينة فى البداية كثيراً إذ تغلبت عليهم قوات الدولة العباسية، انظر: أيوب صبرى باشا، المصدر السابق، ج١، ص٨٥-٨٧، وقد ورد فيه أن حكمهم انقرض عام ٣٥٠هـ، لكنه على مايبدو استمر إلى عام ٣٦٠هـ.

[٢] العيونيون، من بنى عبد القيس، أول حاكم منهم هو عبد الله بن على العيونى، وعلى يديه زالت دولة القرامطة فى الأحساء حوالى عام ٤٦٦هـ، وعلى انقاضها أسس دولة له ولأسرته من بعده، استمرت حتى منتصف القرن السابع الهجرى تقريباً. (٣) و (٤) بعده --

لبعضهم نفوذ في نجد، أو في بعض مناطق منها، لكنه لم يكن نفوذاً سياسياً متكاملاً، بحيث يمكن أن يوصف بأنه جمع الأحساء ونجد تحت سلطة مركزية موحدة، وفق متطلبات وأسس قيام الدولة ذات الكيان المستقل، وكان شأن نجد كذلك بالنسبة للأشراف في الحجاز، فقد حاولوا بسط نفوذهم باسم الدولة العثمانية، أو المماليك قبلهم، يبذلون الرغبة أو الرهبة في إظهار النفوذ، فلا يتمخض ذلك إلا عن علاقة لاترقى إلى مستوى الولاء .. وظلت نجد قروناً عديدة لاتخضع لسلطة مركزية، لذا رسخ في نفوس أهلها ـ حاضرة وبادية ـ النزعة الاستقلالية، المتمسكة باستمرارية تلك الرئاسات والكيانات الصغيرة، حتى لو كانت لها مساوئ فادحة، وتعمق لديهم النفور من الاندماج في كيان واحد، ودولة واحدة، ولعل هذا هو السبب المباشر الذي دفع بعضهم في البداية، لمقاومة نفوذ الدولة السعودية، لاحتوائهم وصهرهم في بوتقة دولة واحدة، واستغرق ذلك اكثر من أربعين عاماً متواصلة[1] وحين توحدت نجد ظهرت قوتها

---

[3] آل حير، أو الجبور، أقاموا دولة لهم في الأحساء في النصف الأول من القرن التاسع الهجري حتى الثلث الأول من القرن العاشر تقريباً ـ كان من أشهرهم أجود بن زامل ـ الجاسر، العرب، ج٧ س١، ص٦٠٥،٦٠٦، وآل عبد القادر، محمد بن عبد الله، تحفة المستفيد..، ج١، ص١٢٠،١٢١.

[4] استطاع براك بن غرير آل حميد، أحد زعماء بني خالد، الذي كان والياً على الأحساء من قبل العثمانيين، الاستقلال بها عن ولاية كل من البصرة وبغداد، ولم يعد للعثمانيين إلا ولاء اسمي، منذ عام ١٠٧٦هـ وقيل عام ١٠٨٠هـ، واستمرت إمارة الخوالد إلى أن دخلت الأحساء تحت حكم الدولة السعودية الأولى عام ١٢٠٨هـ، بعد العديد من الحروب ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٠٦.

[1] د.العثيمين، عبد الله الصالح، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص١٦،١٣٧.

الحقيقيـة، وأصبحـت كالمـارد الـذى انطلـق، يجـول شـرقاً وغربـاً، وشمـالاً وجنوباً، يدافع عـن نفسـه، ويـرد عـداوة المعـادين.

قضيـة البـدء بـالعداوة، وتطورهـا إلى الصـدام المسـلح المتـوالى، الـذى اعتـبر مـن أبـرز السـمات الملازمـة لحيـاة الدولـة السـعودية الأولى، نلحظـه مـن خـلال استـقراء الأحـداث المعـاصرة لهـا .. كمـا نلحـظ أن حتميـة ذلـك الصـدام قد فـرض عليهـا.

فنبـذ البـدع والخرافـات التـى كـانت قـد شـاعت فـى المجتمعـات الإسـلامية، والعـودة إلى ماكـان عليـه السـلف الصـالح، مـن سـلامة المعتقـد، والعبـادة الخالصـة لله، والعمـل بالكتـاب والسـنة، والمـأثور عـن الصحابـة رضـى الله عنهـم أجمعـين، والالـتزام بمـا أمـر الله بـه ونهـى عنـه، وتطبيـق ماشـرعه الله على عبـاده مـن فرائـض، وحـدود، وغـير ذلـك .. كـل هـذا بمجملـه هـو مـاعرف بـ "الدعـوة السـلفية"[1] أو الدعـوة الاصلاحيـة، التـى نـادى بهـا مـن قبـل الامـام ابـن تيميـة[2] ثـم جـاء الامـام المجـدد الشـيخ محمـد بـن عبـد

---

[1] غالب الظن أن مصطلح "الدعوة السلفية" لم يستعمل فى عهد ابـن تيميـة، ولا فـى عهـد الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهاب، وأن كل ماكان يتردد هو "العودة إلى ماكان عليه السلف" أو ".. أهل السلف" أى عهد الرسول ﷺ، وعهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، أى بما يغطى زمنياً حوالى ثلاثة قرون، وأن اصطـلاح "الدعـوة السـلفية" أو "الدعوة الاصلاحية" استعمل حديثاً.

[2] هو الامام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية، ولد بحران فى الشام عام ٦٦١هـ، ونشأ فى أسرة علمية، فكان عالماً فذاً، مجتهداً، لاتأخذه فى الله لومة لائم، وقد سببت له جرأته فى قول الحق العديد مـن الاضطهادات، حتى سجن ومات فى سجنه بدمشق عام ٧٢٨هـ. بعد أن ترك تراثاً ضخماً، مصنفاته تزيد على خمسمائة مجلد. د.محمد يوسف موسى، ابن تيمية، ص١١٦،١١٧.

الوهاب[1] فأحيا هذه الدعوة، عندما رأى أن البدع والخرافات، وكافة أنواع المنكرات قد انتشرت فى نجد وغيره من المجتمعات الإسلامية .. فكان حرىٌّ بكل من تناهت إلى اسماعه تلك الدعوة ألايستنكرها، أو يتمادى فى عداوتها، فلقد نودى بها من قبل.

عاد الشيخ من رحلته العلمية إلى بلدة حريملا، التى كان والده قد انتقل إليها من العيينة، وبدأ يعلن دعوته الاصلاحية، ثم مالبث والده أن توفى عام ١١٥٣هـ فعاد إلى العيينة مسقط رأسه، ووجد من أميرها عثمان ابن معمر مؤازرة لما يدعو له، وكشأن كل دعوة إصلاحية جديدة على أى مجتمع، كان لها أنصار ولها معارضون.

اتخذ الشيخ أسلوب الحوار العلمى، أثناء مناقشاته ومناظراته للعلماء المعارضين كوسيلة لاقناعهم بصواب مايدعو إليه، متبعاً منهج البحث الفقهى المبنى على استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية، وهو المنهج الذى كان سائداً بين العلماء الأوائل فى عصر ازدهار الأجتهاد، وترسيخ الأحكام للعلوم الشرعية بصفة عامة .. وهو عصر اتسم بالانفتاح الفكرى للرأى الآخر، ومقارعته بالحجة والبرهان، لابالرهبة والطغيان .. ولعل

---

(1) الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد، الوهيبى، التميمى، ولد عام ١١١٥هـ، بالعيينة على مسافة حوالى ٤٥كيلو شمال الرياض، من بيت علم، وقد دفعه طموحه العلمى إلى الرحلة فى طلب المزيد من العلم، فرحل إلى المدينة المنورة، والبصرة، والأحساء، وخلال اقامته فى تلك البلدان كان يناقش علماءها فى مسائل عديدة، ومنها مايشوب العقيدة من بدع وخرافات .. ثم عاد إلى نجد ليعلن دعوته .. توفى عام ١٢٠٦هـ. انظر: ابن غنام، روضة الأفكار، ج١، ص٢٥-٣٠.

رسائل الشيخ ـ وهي عديدة ـ إلى هؤلاء المعارضين، داخل نجد وخارجها[1] وكذا مؤلفاته الكثيرة، دليل ذلك النهج الذى سلكه الشيخ، واتبعته الدولة، لاقناع الخصوم عن رغبة لارهبة.

كان فى طليعة المعارضين من علماء نجد المحليين سليمان بن سحيم من الرياض، وعبد الله المويس من حرمة، اللذان عجزا عن مجاراة الشيخ محمد فى قوة حجته، وخشيا من نتيجة فشلهما، وضياع هيبتهما فى أعين الناس، فلجآ إلى أسلوب آخر، وهو الاستنصار بعلماء المناطق الأخرى، واستعداؤهم على الشيخ .. ومن ثمّ الإيعاز إلى القوى السياسية المتمثلة فى حكام تلك المناطق للتدخل والقضاء على الدعوة قبل استفحال أمرها.

أرسل ابن سحيم رسالة إلى علماء البصرة والأحساء، هاجم فيها الشيخ، واستنهض همتهم للوقوف إلى صفهم والرد عليه[2] وكان من نتيجة ذلك أن دخل حلبة الصراع حاكم الأحساء، سليمان بن محمد آل حميد، زعيم بنى خالد، الذى بعث يهدد الأمير عثمان بن معمر، ويطلب

---

[1] جمع الشيخ حسين بن غنام، فى كتابه "روضة الأفكار .." فى الفصل الثالث من الجزء الأول، معظم رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التى أرسلها إلى العلماء المعارضين، المعاصرين له، فى نجد والأحساء، وعلماء الحجاز. وقام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بجمعها وجمع كثيراً من رسائل علماء الدعوة، فى كتابه "الدرر السنية فى الأجوبة النجدية" كما قام الشيخ سليمان بن سحمان بجمع مجموعة أخرى فى كتابه "الهدية السنية والتحفة النجدية الوهابية" وأخيراً قامت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، بجمع تلك الرسائل وطباعتها بمناسبة اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذى أقامته عام ١٤٠٠هـ، وانظر أيضاً: د.العثيمين، بحوث وتعليقات، ص٩١-١١٣، حيث حلل موقف ابن سحيم من الدعوة تحليلاً جيداً.

[2] د.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٧٥، وابن غنام، المصدر السابق، ج١، ص١١٠-١١٣.

منه اخراج الشيخ من العيينه. وبعد تردد طلب ابن معمر من الشيخ الخروج، ولو لفترة، فخرج الشيخ إلى الدرعية عام ١١٥٧هـ لأن له فيها تلاميذ وأنصاراً، وفى مقدمتهم إخوة الأمير، على أمل أن يجد فى أميرها مناصراً له، ففى نفوذه منعة، وحصن يقيه غائلة المعادين، وصدق حدس الشيخ فقابله الأمير محمد بن سعود[1] وتم الاتفاق بينهما على مناصرة الدعوة، وكان ذلك بمثابة إعلان ميلاد دولة لها مبادئ فى المنطقة[2] دولة تحمى الدعوة، وتلتزم بتطبيق الشريعة، كما كان عليه أهل السلف .. وتتخذ من الحوار العلمى الشرعى منهجاً لاقناع الخصوم، والقبول بما تنادى به من إصلاح أمر الدين والدنيا، قبل أن تلجأ إلى الاحتكام للسيف، كآخر المراحل للانقياد لما أمر الله به، ونهى عنه. وفق تعاليم الشريعة.

وما أن استقر الشيخ فى الدرعية، وعقد حلقات التدريس، حتى توافد إليه مؤيدوه من البلدان الأخرى، بعضهم استقر عنده، والبعض الآخر عاد إلى بلده لينشر الدعوة فيها، وانضمت بعض بلدان العارض طواعية إلى الدولة الجديدة، خلال عامين من استقرار الشيخ فى الدرعية، وبهت أعداء الدولة من سرعة نموها فقرروا العمل على وقف هذا النمو

---

(١) الامام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى، تولى حكم الدرعية عام ١١٣٩هـ، وبعد ثمانية عشر عاماً من توليه قدم إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فآواه ونصره، وتصدى لهجمات خصوم الدعوة والدولة، على مدى ٢٢ عاماً، فكان النصر حليفه، توفى عام ١١٧٩هـ، فخلفه ابنه الامام عبد العزيز بن محمد.

(٢) د.العثيمين، بحوث وتعليقات، ص٢٤، وابن بشر، ج١، ص٤٢.

المتزايد، فبدأ دهام بن دواس عام ١١٥٩هـ بمهاجمة بلدة منفوحة التى انضمت للدولة، فكانت الدولة ملزمة بالوقوف بجانب أنصارها[١] وانضم إلى دهام بعض المناوئين من أمراء البلدان الأخرى، وكان على الدولة أن تدافع عن نفسها، وبذلك دخلت فى مرحلة جديدة، من الصدام المسلح الذى فُرض عليها. ولذا ورد فى إحدى رسائل الشيخ محمد مايؤيد هذا إلى حد ما، إذ قال: ".. وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلا دونه النفس والحرمة، وهم الذين أتونا فى ديارنا، ولا أبقوا ممكناً"[٢].

ودخل زعماء بنى خالد، حكام الأحساء، حلبة الصراع بصورة فعلية هذه المرة، فقد كان سليمان بن محمد بن غرير السبب فى اخراج الشيخ من العيينة وذهابه إلى الدرعية عام ١١٥٧هـ، ثم انشغلوا ببعض الفتن الداخلية التى حالت بينهم وبين الإقبال إلى نجد إلا فى عام ١١٧٢هـ، حيث قدم عُرَيْر بن دُجَين، الذى كان أمر الأحساء قد آل إليه، مستنفراً أهل الأحساء، وعربانه، وكذا مايأنس منهم من بلدان نجد وعربانه، لكنه لم يوفق[٣] وقدم مرة أخرى عام ١١٨٨هـ، ولم يكن حظه فيها بأفضل من الأولى[٤] وبعدها تحول ميزان القوى لصالح الدولة السعودية — وبخاصة بعد توحيد مناطق نجد عام ١٢٠٠هـ — مقارنة

---

[١] ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٥٠-٥٣.

[٢] د.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٩٣.

[٣] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٨١،٨٢.

[٤] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص١٢١،١٢٢.

بالأحساء، فاصبحت فى موقف المهاجم بدل المدافع، إلى أن ضمت الأحساء إليها عام ١٢٠٨هـ[١].

أما أشراف الحجاز فقد اتخذوا موقفاً معادياً، بناء على أخبار وصلتهم مشوشة ومختلقة، ربما عن طريق علماء نجد المعارضين، فقد كان الشريف مسعود بن سعيد بن زيد، هو الذى يتولى الإمارة فى مكة ذاك الوقت[٢] وكانت ظروفه المادية صعبة بسبب المنازعات بينه وبين ابن أخيه محمد بن عبد الله بن سعيد، الذى كان ينافسه على الإمارة، وقد استدان مبالغ من أمير الحج الشامى، وأمير الحج المصرى عام ١١٤٧هـ، لتسديد التزاماته، كما رفع للباب العالى يطلب المزيد من المخصصات لمواجهة زيادة النفقات، وطلبات بعض الأشراف، فصدر الأمر السلطانى بايقاف إرسال الهدايا التى كان يرسلها أمراء وأشراف مكة إلى الباب العالى، والوزراء، وذلك لاكتفائهم أولا، وحاجتهم لأثمان تلك الهدايا ثانياً، وأبلغ الشريف مسعود بذلك عام ١١٤٨هـ[٣] لكن يبدو أن أزمته المالية ظلت

---

[١] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٤-٢٠٦، وآل عبد القادر، محمد بن عبد الله، المصدر السابق، ج١، ص١٢٣.

[٢] الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى (الثانى) ابن بركات، عين فى شرافة مكة بعد ابن أخيه محمد بن عبد الله بن سعيد عام ١١٤٥هـ (١٧٣٣م) ثم أجبر على تركها لابن أخيه بعد ثلاثة أشهر من توليه، ثم عاد فتولاها عام ١١٤٦هـ، وظل بها إلى أن توفى يوم ١١٦٥/٣/٢هـ (١٧٥٢/٢/١٨م) فتولاها بعده أخوه مساعد بن سعيد، انظر: اسماعيل حقى حارشلى، المصدر السابق، ص١٣٨،١٣٩، وايوب صبرى باشا، المصدر السابق، ج١، ص١٠٩.

[٣] اسماعيل حقى حارشلى، المصدر السابق، ص١٣٨.

قائمة لفترة طويلة، ولهذا فهو ينتهز الفرصة بين الحين والآخر ليرفع إلى الباب العالى لزيادة المخصصات لمواجهة الأعباء، وما أن تناهت إلى اسماعه الأخبار المشوشة عن الدعوة والدولة حتى بادر بالرفع إلى الباب العالى عام ١١٦٢هـ (١٧٤٩م) فى خطاب يتضمن التهويل من شأن الدعوة والدولة[1] كى يحفز الباب العالى على سرعة إرسال الأموال والإمدادات لمواجهة هذا الخطر، فجاءه الرد فى صورة أمر سلطانى متضمناً السير إلى الشخص المذكور ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ والعمل على استئصاله هو واتباعه (هكذا !!) لاجتهاداته الباطلة، ومخالفته للمذاهب الأربعة (هكذا !!) وأنه قد أُنعِم عليه بمبلغ ٢٥ كيس رومى من الأقجات من خزينة مصر عام ١١٦٣هـ، لأجل تسديد رواتب ومؤن العساكر الذين سيقومون بهذه المهمة[2] وفى الوقت نفسه كُلّف عثمان باشا ــ متصرف جدة، ووالى ولاية الحبش (فالحبشة: أى جزء من أرضها الحالية ثم

---

[1] كان مما تضمنه خطابه: أنه ظهر شخص فى إحدى قرى نجد، يدعى محمد بن عبد الوهاب، يصدر اجتهادات مخالفة للمذاهب الأربعة، ويضلل الناس، وأنه استطاع التأثير على كثير من البلدان والقبائل بنجد، وأننا بحاجة إلى الامدادات والمعونات لزجره هو واتباعه. حيث تمكن من كسب سكان المنطقة إلى جانبه بكل الحيل، حيث لم يعد ممكنا التقرب (الاقتراب) من تلك الاطراف، وإن التقاعس بخصوص هذا الشخص، سيؤدى إلى ظهوره اكثر، وسيحتاج عندئذ إلى قوات اكثر عدداً لمحاربته .. انظر: اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٣٩.

[2] اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٣٩، وهامش الصفحة نفسها، وهى من تعليق المترجم، وقد أتى بالصورة الكاملة للأمر السلطانى، المحفوظ فى أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية، تصنيف جودت رقم ٦٧١٦، شوال ١١٦٤هـ. وفى خطاب الأمر السلطانى المشار إليه، جاءت الاشارة إلى الخطاب المرفوع من الشريف مسعود، وترديد لبعض ماورد فيه من معلومات عن الدعوة، والاتهامات الموجهة إلى صاحبها، وإلى اتباعه .. مما أوضحناه عاليه.

الصومال وجيبوتي كانت خاضعة لولاية جدة ذاك الوقت) وشيخ الحرم المكي - بالتعاون مع شريف مكة في هذه المهمة، بناء على الأمر السلطاني المشار إليه.

وكان من نتيجة الفكرة الخاطئة، والمعلومات المختلقة التي تلقاها الشريف مسعود عن الدعوة وأتباعها، قيامه بالقبض على الحجاج النجديين، الذين ذهبوا كالعادة لأداء فريضة الحج موسم ١١٦٢هـ، وحبسهم وبعضهم مات في الحبس، مع أنهم كانوا حجاجاً عاديين، و لم يكونوا مؤهلين للعمل على نشر الدعوة في الحجاز، أو بين الحجاج الوافدين إلى الموسم[1] واستمر الشريف مسعود في منع حجاج نجد من آداء فريضة الحج، وتبعه في ذلك أخوه مساعد بن سعيد .. ولاريب أن الحيلولة بين المسلم وآدائه الفريضة التي فرضها الله عليه، هو تجاوز في استغلال السلطة في غير ماهو مشروع، ومن المفارقات أن هذا المنع حدث أيضاً لأهل نجد في عهد الشريف حسين بن علي إبان تصعيده خلافاته مع الملك عبد العزيز، وكان ذلك من دواعي الاقدام على ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م).

---

[1] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٥٩، ٦٠، ود.العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص١٢٤-١٢٦، وقد ناقش الدكتور العثيمين ماأورده ابن دحلان في هذا الصدد، وفنده، حيث زعم أنهم كانوا ثلاثين عالماً، وأوردهم المؤرخ التركي، سليمان عزي، بأن عددهم كان ستين رجلاً.

المهم أن العداوة التى كانت نتيجة لتلك المعلومات المختلقة، أخذت تتصاعد، وصعب معالجتها بالوسائل السلمية بعد ذلك فى عهد الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢هـ ــ ١٢٢٨هـ) عندما بعثت الدرعية أحد العلماء لمناظرة علماء مكة[1] ووقع الصدام المسلح الذى طال مداه فى هذه المنطقة، حتى استولت عليها القوات السعودية عام ١٢١٧هـ[2].

وعلى كلٍّ فما أوردناه فيما سبق باختصار، يعطى دلالة أكيدة على أن الدعوة الإصلاحية قد تبنت منهج الحوار الفكرى، والانفتاح على الرأى الآخر، ونهجت أسلوب المناظرات لمعارضيها، مع ماكانوا يوجهونه إليها من أبشع الاتهامات والافتراءات .. وأن الدولة السعودية الأولى منذ نشأتها، كانت مسالمة للغاية، ولم تكن هى البادئة بالعداوة، وإنما فرض عليها القتال، وظلت فترة فى موقف المدافع عن وجوده، بينما الخصوم يجمعون لها الجموع الحاشدة .. ثم آن للمظلوم أن ينتصر .. ولمن نصر

---

(١) كان الشريف غالب بن مساعد قد طلب من زعماء الدرعية إرسال عالم لمناظرة علماء مكة، فبعثوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين، الذى سبق له أن ذهب إلى مكة فى سفرة مماثلة عام ١١٨٥هـ، فى عهد الشريف أحمد بن سعيد، وحمل معه رساله إلى الشريف أحمد بن سعيد، أوردها ابن غنام، روضة الأفكار، ج١، ص١٢٣، وقد ناظر الشيخ الحصين علماء مكة فى ثلاث مسائل واحتكموا إلى الكتب والمراجع الفقهية، وأخيراً سلم علماء مكة بأنه ليست هناك مخالفة لأى أمر من أمور الدين. وانظر هامش عنوان المجد لابن بشر، ج١، ص١١٧، وابن غنام، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٤،١٤٥.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٦٣، وقيل: إنه وقعت اكثر من خمسين وقعة بين حكام الدرعية والشريف غالب، فى الفترة من عام ١٢٠٥-١٢٢٠هـ، ابن دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٦٧،٢٦٨، وهامش ص١٥٣ من كتاب: أمراء مكة المكرمة فى العهد العثمانى، لاسماعيل حقى.

شـرع الله أن ينصـره الله، فثبـت الله الأقـدام .. وانقلـب ميزان القـوى، فتحـول المدافـع إلى مهـاجم.

ومادمنـا فـى معـرض تحسـس بعـض القضايـا التـى كـانت تثـار فـى غمـار السـرد التـاريخى مـن قبـل المنـاوئين فـى أى موقـع كـانوا، للنيـل مـن الدعـوة والدولـة، واستعراض الشـواهد التاريخيـة علـى مـدى مصداقيـة ماكـان يثـار، أويـردد مـن مغالطـات ضدهمـا .. فـإن هنـاك قضيـة لاتقـل أهميـة عمـا سـبق طرحـه، فلقـد صـوروا الدولـة وقادتهـا وأنصارهـا الوهـابيين[1] بـأنهم ملكـوا مـاملكوه بالرهبـة لابالرغبـة، وأخضعـوا فـى سـبيله الرقـاب والعبـاد بسـيفهم!. متناسـين هـذه الحـوارت والمنـاظرات العلميـة التـى أشـرنا إليهـا، وأن المعارضـة حينما فشلت فـى العثـور علـى الأدلـة الشـرعية التـى تؤيـد بهـا رأيهـا، لجـأت إلى القـوى السياسـية، التـى تطـور الموقـف بدخولهـا إلى الميـدان، وتحـول النقـاش العلمـى المسـالم، إلى خصومـة وعـداوة سياسـية، احتكـم فيهـا إلى السـيف، وكـان البـادئ فـى استعماله هـم المعـادون، وفـرض القتـال علـى الدولـة .. كمـا سبق أن ذكرنـا. فلمـا تحـول المدافـع إلى مهـاجم ـــ وهـذا حقـه للدفـاع عـن كيانـه ووجـوده، ومـن ثـم إبـلاغ دعوتـه، وتوطيـد شـرع الله ـ إدّعـوا أنهـم

---

(1) كان يحلو للمناوئين للدولة السعودية الأولى فى البداية إطلاق هذا المسـمى بغرض التشـنيع والتشـويه لهـم، لكنـه أصبح فيما بعد مألوفاً، عندما عرف العالم الحقيقة، وأن مدلولـه أنـاس متمسـكون بـأمور دينهـم. لـذا استعمله أنصارهم، واستعمله أيضاً بعض علمائهم ومؤرخيهم .. ونحن نتحـدث عـن الوقـت المبكـر مـن حيـاة الدعـوة والدولة، والذى كان اللفظ قد أطلق فيه للتشنيع .. وامتلأت المصنفات المعادية للدولة السـعودية الأولى بالكثـير من المغالطات والافتراءات .. ولانعنى مؤلفاً بذاته .. وإنما الجميـع فيـه سـواء، وإن تفـاوتت درجـة الحـدة فـى بعضها عن البعض الآخر.

ملكوا ماملكوه بالرهبة لابالرغبة .. وتناسوا أيضاً أن آثار الدعوة، وامتداد مؤثراتها إلى بعض المناطق والبلدان فى نجد، وفيما جاور نجد كان سابقاً لامتداد نفوذ الدولة، فبعض بلدان نجد دخلت فى الدعوة، وأعطت الطاعة والولاء للدولة قبل أن تشهر الدولة سيفها فى وجه خصومها[1] ونلحظ أن آثار الدعوة امتدت أيضاً إلى بعض المناطق المجاورة لنجد، قبل أن يمتد إليها نفوذ الدولة، وأقوى دليل على هذا هى منطقتنا المعنية بالدراسة، عسير وجازان، بل إن آثار الدعوة امتدت إلى معظم شبه الجزيرة العربية. وإلى خارجها، واصبح بها مناصرون ومؤيدون، دون أن تمتد إليها نفوذ الدولة أصلاً.

نلحظ ذلك فى استجابة بعض العلماء وتأييدهم للدعوة، وهم فى مناطق أخرى نائية من بلاد العرب، فمثلاً ممن أيدها وناصرها فى وقت مبكر ــ و لم يكن نفوذها قد شمل نجد بعدُ ــ العالم اليمنى الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعانى، المتوفى عام ١١٨٢هـ[2] المعروف بالأمير الصنعانى، فرغم أنه كان يتولى منصب الوزارة، وقاضى القضاة فى عهد كل من الإمام المنصور، وابنه الإمام المهدى من أئمة اليمن[3] وكان له دور بارز

---

(١) د.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٨٩،٩٥، د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ج١، ص٦٣،١٦٢.

(٢) ترجم له تلميذه الامام الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢، ص١٣٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٠٦،١١٢.

(٣) الامام المنصور الحسين بن القاسم، تولى الامامة عقب وفاة أبيه القاسم بن حسين بن القاسم بن المؤيد، عام ١١٤٠هـ، وتوفى عام ١١٦١هـ فتولى الامامه بعده ابنه الامام المهدى العباس بن الحسين حتى توفى عام--

فى تهدئة الأوضاع السياسية فى اليمن لصالح هذين الإمامين، ومع ذلك لم يمنعه منصبه من مناصرة الدعوة وتأييدها، عندما عرف حقيقتها، وأنها تدعو إلى العودة إلى ماكان عليه السلف، ولم ينخدع بافتراءات خصومها، كما أيدها تلميذه الإمام الشوكانى[1] كذلك أيدها من خارج شبه الجزيرة العربية المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى، وتعاطف مع أنصارها فى كتاباته، وندد بتصرفات محمد على باشا ضدها[2] وغير هؤلاء كثيرون[3]

--١١٨٩هـ، فتولى بعده ابنه الامام المنصور على بن العباس، الذى دخلت الدعوة الاصلاحية، وامتد نفوذ الدولة السعودية فى عهده إلى بعض مناطق اليمن حتى جنوب الحديدة. وتوفى عام ١٢٢٤هـ، فتولى بعده ابنه الامام المتوكل أحمد بن على، الذى توطدت فى عهده السيادة السعودية على المناطق التى سبق السيطرة عليها فى تهامة اليمن وتجاوزت الفتوحات السعودية كلا من الحديدة وتعز وأشار صاحب نفح العود ص١٧٧، إلى دخول مخلاف حجة فى طاعة السعوديين، وفى ص١٩٤، عن وصول عمال من الدرعية يشرفون على خراج تهامة اليمن واتخذوا اللحية مقراً لهم، وفى الصفحات التالية لذلك استولت السرايا السعودية على المخا، وحيس، ودخل أهلهما فى الطاعة، ودخل صاحب كوكبان فى الدعوة وأعلن الطاعة، حتى قدمت إلى المنطقة القوات العثمانية المصرية بقيادة محمد على باشا. انظر المقتطف، للجرافى، ص٢٥٠-٢٦١، وتاريخ اليمن، للواسعى، ص٢٢٨-٢٣١.

(1) حيث رثى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة بليغة، عند وفاته عام ١٢٠٦هـ، وأشاد فى القصيدة نفسها بآل سعود وجهودهم فى نشر الدعوة، د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص٦١،٦٢، ومقدمة التحقيق لكتاب نفح العود، للشيخ محمد بن أحمد العقيلى، ص٤٥.

(2) وذلك فى كتابه "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" المشهور باسم، تاريخ الجبرتى، وقد استخلص الأستاذ محمد أديب غالب مايتعلق بأخبار الحجاز ونجد، من تاريخ الجبرتى، وجمعه فى كتاب بعنوان "من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى" طبعته دار اليمامة، عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ولد عبد الرحمن بن حسن الجبرتى عام ١١٦٧هـ (١٧٥٤م) وتوفى عام ١٢٤٠هـ تقريباً (١٨٢٥م).

(3) هناك العديد من الدراسات والبحوث تناولت موضوع انتشار، أو أثر الدعوة الاصلاحية فى العالم الاسلامى، من بينها كتاب "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، خارج الجزيرة العربية" للأستاذ محمد كمال جمعه،--

ولسنا فى مجال الحصر أو الاحصاء، ولكن نستعرض الشواهد التى تعطى دلالة بأن الدعوة ونفوذ الدولة لم يمتد بالرهبة إلى المناطق التىامتدت إليها.. ومنطقتنا اكبر شاهد على هذا، كما سنوضحه فيما يلى.

الجنوب الغربى لنجد

أما فى منطقتنا المعنية بالدراسة ـ جازان وعسير ونجران ـ فإن موقف كل منهم كان مختلفاً إلى حد ما، بالنسبة إلى سرعة الاستجابة لمؤثرات الدعوة الاصلاحية، ومن ثم إلى الانضواء تحت ظلال الدولة الجديدة، وقد خضع هذا التفاوت فى الاستجابة لعدة اعتبارات من أهمها أن قيادة اليامين فى نجران اتخذت من البداية موقفاً عدائياً لظروف مختلفة، كما سبق أن أوضحنا جزءاً منه، ثم رضخت أخيراً، وأيضاً السلطة المركزية فى جازان (المخلاف السليمانى) التى خشيت من فقدان نفوذها فقاومت فى البداية ثم استسلمت، وأعلنت الطاعة فاستمر لها نفوذها. أما عسير فلم تكن فيها سلطة مركزية موحدة، لذا كانت استجابتها أسرع، ودورها ريادياً فى المنطقة.

ومن الملاحظ أنه فى بداية انتشار الدعوة، وعقب تردى الأوضاع الدينية والسياسية فى المنطقة، والتى سبق أن أتينا على ذكر بعض ملامحها

= طبعته دارة الملك عبد العزيز بالرياض. وكتاب "أثر الدعوة الوهابية فى الحياة الاجتماعية والعمرانية" للشيخ محمد حامد الفقى، القاهرة عام ١٩٣٥م.

فى الفصل السابق لهذا، نرى أن مؤثرات الدعوة قد استحوذت على أفئدة ذوى الهمم من أبناء المنطقة، الذى ينشدون الاصلاح لمواطنهم وبلدانهم، التى استشرى الخلل فى أركانها، فاتجهوا إلى الدعوة، أملاً فى اصلاح أمور دينهم ودنياهم، لاسيما وانهم رأوها قد أصلحت من كانوا أمثالهم، وربما فاقوهم شططاً وفرقة، فجعلتهم قلباً واحداً، وأمة واحدة، فى دولة واحدة لم يعهدوا لها مثيلاً وسط شبه الجزيرة العربية منذ مئات القرون .. لذا حثوا مطاياهم الاسراع صوب الدرعية.

وباستقراء الأحداث عند نشأة الدولة السعودية الأولى[1] يلاحظ أنها اتخذت مبدأ السبق للدخول فى الدعوة والانضمام إلى الدولة كمعيار للأفضلية والحفاظ على الكيان والمكانة، بمعنى أنه إذا دخلت إحدى البلدان، فى الطاعة، وتقدم رئيسها جميع الأهالى لإعلان ولائهم، وما يستتبع ذلك من أمور شرعية، كاعطاء الزكاة، استمرت إمارته على بلدته، وأمدته الدولة بالعلماء والقضاة والمرشدين، طالما كانت البلدة بحاجة إليهم، وكذا أمدته بالمال والسلاح وغيره، فإن نقض العهد أُبعد عن الإمارة بأى أسلوب كان، وولت الدولة أميراً على البلدة غيره، فإن عاد تائباً أعادت إليه الدولة إمارته، أو ولّته إمارة أخرى، كما نلحظ أن هناك بعض الأمراء أو القواد الذين بادؤوا الدولة بالخصومة أو العداوة، ثم عادوا

---

(1) كل من تاريخى ابن غنام، وابن بشر مليء بمثل تلك الوقائع التى تدلل على هذا المبدأ الذى سارت عليه الدولة السعودية الأولى، من حيث أفضلية السبق للدخول فى الدعوة وإعلان الولاء للدولة، وكذا بعض القواد الذى عادوها أولاً ثم ناصروها باخلاص شديد .. فنالوا مكانة مرموقة.

وأعطوا الـولاء والطاعـة فـى إخـلاص شـديد، فكـانت لهـم مكانـة مرموقـة لـدى الدولـة سـواء فـى إمـارة البلـدان، أو قيـادة الجيـوش .. ومنـه يتضـح أن الدولـة لم تكن موغلة فـى خصومتهـا، وأن التسـامح كـان مبـدءاً أساسـياً مـن مبادئهـا.

عسير وجازان

يغلـب علـى الظـن أن امتـداد أثـر الدعـوة الاصلاحيـة إلى المنطقتـين كـان متزامناً، أو قريبـاً مـن ذلـك. وإن كـانت بعـض الروايـات تفيـد بـأن دعـاة عسـير كـانوا أسبق[1] إذ قـدم إلى الدرعيـة عـام ١١٧٧م بعـض أعيـان عسـير، ومـن جملتهـم محمـد بـن عـامر الرفيـدى، وأخـوه عبـد الوهـاب، وطـامى بـن شـعيب، وهـم مـن آل المتحمـى[2] وايضـاً مـن آل الحفظـى[3] علـى بـن الحسـين، وعبـد القـادر بـن أحمـد، وعبـد الله بـن عبـد الرحمـن، وسـواهم، وذلـك بغـرض طلـب العلم على يـد علامـة زمانـه الشيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب، وان بدايـة انضمـام

---

[1] فيما يرويه الاستاذ محمود شاكر، نقلاً عن مذكرات جعفر الحفظى، حيث يقول إن وفد عسير إلى الدرعية كـان عام ١١٧٧هـ، انظر: د.محمد بن عبد الله آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ص١٨، ود.عبد الله ابن محمد بن حسين أبو داهش، عسير فى ظلال الدولة السعودية الأولى، ١٢١٥هـ-١٢٣٣هـ، ص١٤.

[2] المتاحمة من ربيعة رفيدة من عنز بن وائل.

[3] وآل الحفظى ينسبون إلى جدهم الأعلى أول من تلقب بالحفظى، وهو الشيخ أحمد بن عبـد القـادر الحفظى ابن بكرى، الذى يرتقى نسبه إلى جده الأعلى الشيخ موسى بن جعثم بن عجيل، الذى نزح من بلدته "بيت الفقيه" بضواحى الحديدة، فراراً من جور العثمانيين، أواخر القرن العاشر الهجرى، واستوطن بـلاد رجـال ألمع، وأخـذ فى نشر العلم، فقصده طلاب العلم. انظر: هاشم بن سعيد النعمى، عسير، قبيلة وبلاداً، العرب، ج٣،٤ شـوال ١٤١٢هـ/ أبريل ١٩٩٢. ص١٨١.

عسير كان عام ١١٧٩هـ. حينما وجه أمير الدرعية محمد بن سعود كتاباً مع محمد بن عامر وأخيه عبد الوهاب، إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه للعودة إلى التمسك بما كان عليه السلف، ونبذ البدع التي تؤدى إلى الشرك.

غير أن هذه الوفادة لرجالات عسير إلى الدرعية لم يشر إليها كل من ابن غنام وابن بشر، وهما المعنيان بتسجيل وقائع الدولة السعودية إبان نشأتها، لكن عدم ذكرهما لها لاينفى وقوعها، وربما يكون وقوعها بعد التاريخ المذكور. أى بعد عام ١١٧٩هـ، لأنه فى هذا التاريخ لم تكن نجد قد توحدت بعدُ، فضلاً عن المناطق الجنوبية لنجد، كوادى الدواسر، وبيشة، وهى المجاورة لعسير شرقاً، والتى كان لها أثر فعال فى إقدام أهل عسير على وفادتهم هذه.

وفى بداية القرن الثالث الهجرى كانت قد توحدت مناطق نجد فى ظل الدولة السعودية الناشئة، ابتداء من حائل شمالاً حتى وادى الدواسر جنوباً، وتملكت الدولة زمام المبادأة بالنسبة لخصومها فى الشرق والغرب، حتى ضمت الأحساء عام ١٢٠٨هـ، وشهدت عالية نجد، والمنطقة الغربية تصعيداً للحرب خلال الفترة من عام ١٢٠٥هـ حتى عام ١٢١٢هـ[١] نظراً لأن الشريف غالب بن مساعد هاله أن يرى انضمام كثير من قبائل بادية الحجاز إلى طاعة الدرعية، مثل قحطان برئاسة هادى بن قرملة،

---

[١] ابن بشر، ج١، ص٢٠٧-٢٤٢.

وعتيبة تحت قيادة محمد بن حمود بن ربيعان، والبقوم، وسبيع وغيرهم، كما دخلت في الطاعة بيشة وقراها[1] تحت قيادة سالم بن شكبان رئيس قبيلة شهران، وكذلك بلدان ، تربة، ورنية، والخرمة، لذا فزع الشريف غالب، وجمع جموعاً ضخمة إلى تلك البلدان، ولما بلغ الامام عبد العزيز بن محمد أمر هذا الحشد، سارع في إرسال نجدة من بوادي نجد: مطير، والعجمان، وسبيع، والسهول، وعتيبة، ووادي الدواسر، تحت قيادة ربيع ابن زيد الدوسري، رئيس المخاريم، وغيره من رؤساء تلك القبائل وأمرهم أن يسرعوا السير للانضمام إلى هادي بن قرملة رئيس قحطان، قرب الجمانية عند جبل النير بعالية نجد[2] بغرض التصدي لقوات الشريف .. ووقعت عدة معارك كانت أعظمها في "الخرمة" التي مُنيَ فيها جيش الشريف بهزيمة ساحقة، لم تقم له بعدها قائمة، كما يقول ابن بشر، لذا طلب الشريف الصلح من الامام عبد العزيز، وكان من شروطه السماح

---

[1] كانت بيشة من قديم تعد من أشهر أسواق بلاد العرب، لوقوعها في ملتقى طرق القوافل بين الحجاز، ونجد، وعسير، واليمن، وهي تبعد عن مكة المكرمة مسافة خمسمائة كيلو تقريباً، في الشرقي، وتشتمل على عدة قرى، منها: الروشن، والدحو، ونمران، وأبو الشوك، وواعر، والحيفة، والمبيدرة .. وكان سالم بن محمد بن شكبان، رئيس إحدى بطون قبيلة شهران، يقطن قرية الدحو، فلما دخل في طاعة الدولة السعودية هو وقبيلته، ولاه الامام عبد العزيز بن محمد إمارة بيشة، فكان من أهل الصدق والبذل والعطاء، ابن بشر، ج١، هامش ص٢٨٦.

[2] كانت قبيلة قحطان تنزل آبار المسيل، على مسافة خمسين ميلا تقريباً من بلدة الدوادمي، وكانت تعد قبل ذلك من بوادي الحجاز، رئيسها: هادي بن قرملة. الذي وفد إلى الدرعية عام ١٢٠٢هـ وبايع الامام عبد العزيز على السمع والطاعة، فولاه أميراً على قحطان، وكان صادق العطاء، قتل في معركة الجديدة عندما قدمت قوات محمد علي باشا، ونزلت ينبع، فتولى الامارة بعده ابنه مبارك بن هادي، ثم أخوه محمد بن هادي، ابن بشر، ج١، ص١٦٠،١٧٣،١٧٩،٢١٢-٢١٤.

لأهل نجد بأداء فريضة الحج[1] وكانت هذه الموقعة عام ١٢١٢، وشاعت السمعة الطيبة للدعوة والدولة، فشجع ذلك بعض قبائل بادية الحجاز للدخول فى طاعة الدولة السعودية، وتواجد بعض العلماء والدعاة السعوديين وعلى رأسهم الشيخ على والشيخ ابراهيم ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى موسم حج عام ١٢١٣هـ. وجلوسهم إلى غيرهم من حجاج المناطق الأخرى، والبلدان الاسلامية. فكان من آثاره إزالة الفكرة الخاطئة التى أشيعت حول الدولة والدعوة. وبدأ البعض يسمع بأذن واعية، وعقل منصف، حتىاطمأنوا إلى أنها الحق، فتحولوا إليها. وكان ممن تأثر بها من أهل الحجاز القائد عثمان بن عبد الرحمن المضايفى[2].

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٢٤١-٢٤٤، ويقول ابن بشر: إن الشريف دخل فى طاعة الامام عبد العزيز، لكن وقائع الأحداث تفيد بأن الصلح كان بغرض السلم، وايقاف الحرب لمدة ست سنين، والسماح لأهل نجد بأداء الفريضة. وقد نقض الشريف هذا الصلح بعد ثلاث سنين .. ونشبت الحروب بين الفريقين، حتى استولى السعوديون على الحجاز فى ٨محرم ١٢١٨هـ تحت قيادة سعود بن عبد العزيز قائد الجيوش السعودية فى عهد أبيه.

[2] عثمان بن عبد الرحمن بن عون بن جمهور المضايفى، من قبيلة عدوان، العدنانية، كان يقطن ببلدته العبيلا، بين الطائف وتربة، وكان متزوجاً من أخت الشريف غالب، وأحد الذين عملوا على عقد الصلح بين الامام عبد العزيز، والشريف غالب عام ١٢١٢هـ عقب موقعة الخرمة، ولما نقض الشريف غالب الصلح فارقه عثمان وانطلق إلى الدرعية، وعاهد الامام عبد العزيز بن محمد، ووالاه فأصبح أشهر قواده فى الحجاز، وقد ولاه الامام عبد العزيز على كافة الحجاز عام ١٢١٨هـ، وعند قدوم جيش محمد على باشا إلى المنطقة تصدى له ضمن القواد السعوديين الآخرين، حتى أسر عام ١٢٢٨هـ، وارسل إلى استانبول فأعدم فيها، ابن بشر، ج١، ص٣٣٤،٣٣٥،٣٣٦، وهامشهم.

قد تكون هناك نوازع وإرهاصات في وقت مبكر، لدى بعض العلماء، وذوى الهمم من المصلحين، فى كل من عسير وحازان، وأنهم وجهوا أنظارهم إلى اكثر من مكان بحثاً عن مخرج، فلما ظهرت الدعوةالاصلاحية فى نجد تطاولت إليها أعناقهم، لاسيما وأن الاتجاه السلفى يتوافق مع مذهبهم الشافعى[1] غير أن التأثير الفعال، والتجاوب الحقيقى كان عقب موقعة "الخرمة" وماترتب عليها من آثار، لعل أهمها عقد صلح لمدة ست سنين، دفع الناس للتحرك فى أمان، ونشط الدعاة فى الحضر والبادية، حتى كان من نتيجته دخول كثير من القبائل الحجازية فى الدعوة، واعطت ولاءها للدولة السعودية، وكان هذا أحد مبررات الشريف غالب لنقضه الصلح بعد ثلاث سنين فقط.

وغالب الظن أن هذا التأثير قد بلغ مداه إلى عسير وحازان، وتوافق مع طموحات رجالاتها، ودفعهم للوفادة إلى الدرعية للارتباط بها .. ولا يقلل من شأنهم أن وفادتهم حدثت عام ١٢١٣هـ أو بعده، بدلاً من عام ١١٧٩هـ[2] فلهم فضل السبق، وميزة المبادأة والسعى للارتباط بالدولة، عن رضا وقناعة تامة، و لم ينتظروا حتى يؤتوا، ولذا حفظ لهم قادة الدولة

---

(١) د.عبد الله أبو داهش، المصدر السابق، ص١٤.

(٢) وهو العام الذى ورد فى مذكرات جعفر الحفظى، ونقله عنه الاستاذ محمود شاكر، وتناقله عنه غيره من المؤرخين.. ولعل من أولى المآخذ على هذه الرواية: إذا كانت عسير قد انضمت إلى الدولة السعودية عام ١١٧٩هـ، فلماذا لم يظهر لها أو لرجالاتها أثر فى الحروب حتى عام ١٢١٥هـ، مثل غيرهم من المناطق التى انضمت للدولة، كوادى الدواسر، وبيشة وغيرها؟!.

فضل سبقهم، وكانت لهم المكانة المرموقة، التى اثبتوا أنهم حقاً جديرون بها، بما بذلوه من إخلاص وتفانٍ فى خدمة الدولة. وذلك بالعمل على نشر الدعوة فى مواطنهم بجهودهم الذاتية، حتى انقاد للدعوة وطاعة الدولة معظم أهل عسير، والعديد من أهل جازان، قبل أن يمتد إلى المنطقة النفوذ الفعلى للدولة، بل إن ذلك النفوذ الفعلى للدولة لم يمتد إلا بناء على طلبهم، وتنفيذاً لرغبتهم، عندما شعروا بأنهم بحاجة إليه لمواجهة خصومهم.

وفد إلى الدرعية نفر من علماء وأمراء عسير، يتقدمهم محمد بن عامر الرفيدى وأخوه عبد الوهاب[1] عام ١٢١٣هـ ويقال انهما أقاما عاما كاملاً فى الدرعية، وعند عودتهما حملهما الإمام عبد العزيز بن محمد كتاباً إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى اتباع الدين القويم، ونبذ الشرك، كما عهد الإمام بالامارة فى عسير لمحمد بن عامر، وكان هو الأكبر سناً من أخيه عبد الوهاب[2] فما انتصف عام ١٢١٥هـ حتى دخل

---

[1] أطلق عليه ابن بشر ج١، ص٢٦٢ كنية "أبو نقطة" وتناقله عنه المؤرخون، بينما يقول الدكتور أبو داهش نقلاً عن العجيلى فى "الظل الممدود، ص٢٣" أن هذه الكنية كانت تطلق على أخيه محمد بن عامر، وليست على عبد الوهاب، ونحن سنعتبرها من قبيل الأخطاء الشائعة كما يقول أهل اللغة على بعض الكلمات، ونطلقها أيضاً على عبد الوهاب، لأنه أصبح مشهوراً بها فى التاريخ، كما يلاحظ أن العجيلى ذكر أن دخول أهل عسير فى الدعوة كان عام ١٢١٣هـ فيما نقله عنه أيضاً الدكتور عبد الله أبو داهش، المصدر السابق، ص١٥،٢٢،٢٣.

[2] دكتورة ميّ العيسى، الحياة العلمية فى نجد، منذ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى، ص١٨٢.

سائر أهل عسير فى طاعة الدولة السعودية[1] عن قناعة ورغبة صادقة، دون قهر أو إكراه ونشط علماء عسير فى نشر الدعوة فى مواطنهم حتى لم يعد بها معارض، وكان شأنها فى ذلك شأن بعض بلدان نجد التى سارعت بالدخول فى الدعوة وبذل الولاء والطاعة للدولة من الوهلة الأولى، وجندت قواها لخدمتها.

أما جازان فإن الداعية أحمد بن حسين الفلقى، من أهل "صبيا" كان قد ذهب لآداء فريضة الحج موسم ١٢١٣هـ، وقيل: موسم ١٢١٤هـ[2] والتقى باتباع الدعوة، وأعجب بما سمعه منهم عن مبادئها، فانطلق إلى الدرعية لمعرفة المزيد عنها، والاتصال مباشرة بقادة الدولة، فأقام فترة، وعند عودته عينه الإمام عبد العزيز بن محمد داعية فى بلاده، وأرسل معه رسالة إلى رؤساء المخلاف السليمانى وعلمائه، وكافة أهاليه، يحثهم فيها على التعاون مع الداعية الفلقى لنشر الدعوة الاصلاحية[3] أما الداعية عرار ابن شار، أمير بنى شعبة فانطلق إلى سالم بن شكبان أمير بيشة من قبل الدولة السعودية، وعاهده على الدخول فى طاعة الدولة، ومناصرة الدعوة، والعمل على نشرها بين قومه، بنى شعبة وأحلافهم وسواهم من

---

(١) د.ابو داهش، المصدر السابق، ص١٥.

(٢) د.العثيمين، تاريخ الدولة السعودية، ج١، ص١٣٩.

(٣) نص الرسالة منشورة فى كل من كتاب "نفح العود فى سيرة دولة الشريف حمود، للشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلى، وتحقيق الشيخ محمد العقيلى، ص٦٨-٨٩، وكتاب "تاريخ المخلاف السليمانى، للشيخ محمد العقيلى، ج١، ص٤٤٠-٤٤٢.

أهل المخلاف[1]. كما سلك الطريق نفسه محمد بن دهمان، من بلحارث ببلاد بني شهر، فولى إمارة بنى شهر وبنى عمرو، وكذا غيرهما من رؤساء القبائل فى عسير وجازان.

عاد الفلقى إلى صبياً بالكتاب، ثم سلمه لأميرها ناصر بن منصور الخيراتي، الذى يرتبط إداريا بسلطة ابن عمه على بن حيدر الخيراتى الأمير العام على المخلاف السليماني، ومقره "أبو عريش" وبدأ الفلقى يدعو أهل صبيا، فاستجاب له البعض، ويبدو أنه شعر بتذمر من قبل الإدارة فى صبيا حيال مايفعله، خاصة وأنه لم يلمس أثراً طيباً للخطاب الذى سلمه، لذا فضل مغادرة صبيا إلى وادى بيش عند قبائل الجعافرة، الذين أفسحوا له صدورهم، وتجاوبوا مع مايدعو إليه، وفشت الدعوة فى المناطق المجاورة، واثمر غرسه عن دعاة بعثهم إلى العديد من مناطق المخلاف، وعاهده الكثيرون على الدخول فى الدعوة، وبذلوا الطاعة والولاء للدولة السعودية، وخلع طاعة أميرهم، وبعث له بعض أهل صبيا يطلبون منه العودة للوقوف معه، لكنه آثر البقاء بوادى بيش لدى الجعافرة، وعندئذ شعر أمير صبيا بالخطر المحدق به، فأبلغ ابن عمه الأمير على بن حيدر أمير المخلاف، فطلب منه التريث[2] وفى الوقت نفسه كان عرار بن شار يمارس نشاطه الدعوى فى بنى شعبة، وفيما جاورها، وتبعه أناس،

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤، والبهكلى، نفح العود، ص١٠١.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٢، وأيضاً تعليقه فى ص٨٤ على كتاب "نفح العود".

وعارضه آخرون، فرفع الأمر إلى الدرعية عن طريق ابن شكبان أمير بيشة، فجاءه الأمر بالتريث مع الاستمرار في نشر الدعوة بحكمة.

وأمر طبيعي أن تجد الدعوة لها مناصرين، ومناوئين، فهذا حالها في كافة المناطق، لكنها في جازان تختلف إلى حد ما، فالذين حملوا عبء الدعوة من أهلها، والمناصرين لها دخلوا برغبتهم عن رضا وقناعة تامة، والمناوئين كانوا هم أصحاب السلطة الذين داخلهم الوهم بأن امتداد تلك الدعوة إليهم سينزع منهم سلطانهم ونفوذهم، مثلهم مثل غيرهم ممن قاوم الدعوة والدولة في بعض المناطق، و لم يدركوا أن الدولة تُبْقي ذوي السلطة في سلطتهم إن هم أقبلوا إليها مواليين طائعين، وهو الأمر الذي أدركوه مؤخراً فحفظت لهم الدولة نفوذهم، ودعمتهم عندئذٍ. و لم يطل بهم الوقت في مناوآتها، وانما حملوا فضيلة الرجوع إلى الحق بمجرد معرفته، و لم يتمادوا في الباطل.

جاء وقت خرص الثمار، فبعث أمير المخلاف عماله إلى مزارع الجعافرة لعمل اللازم نحو تسلم مطلوبات السلطة من زكاة الناتج الزراعي، فمنعهم الجعافرة[1] من مباشرة عملهم، فعادوا أدراجهم، وعندئذ تأكد للأمير مخالفتهم والخروج عن طاعته، فاستعد لمحاربتهم. وجهز جموعه

---

[1] الجعافرة: حلف يضم عدداً من القبائل، انضوت تحت اسم القبيلة الرئيسية منهم "الجعافرة" تمتد مواطنهم من حربية إلى المقارية، وهم أهل الأثلة، وأهل قرية الحجرين، والطمحة، والشواجر، والمقارية، والسباعية، والحفاوية وغيرهم. انظر: نفح العود، هامش ص٩٠ من تعليق المحقق الشيخ العقيلي. والمتن ص٩٨.

وخرج من أبو عريش، وبعث إلى عمه الأمير حمود بن محمد للاشتراك فى الحملة، التى أنتهت بهزيمة الجعافرة فى موضع يسمى "الحجرين" غرب وادى صبيا[1] عام ١٢١٥هـ وبعد المعركة نشب خلاف بين الأمير على ابن حيدر وعمه حمود على منصب الإمارة، انتهى بتنازل الأمير عنها لصالح عمه، الذى أراد أن يثبت مقدرته على التصدى للخارجين عن طاعتهم، دون أن يمعن النظر فى أسباب هذا الخروج، بينما نلحظ أن بعض الأشراف من آل خيرات قد مالوا إلى الدعوة عندما عرفوا حقيقتها، مثل الشريف يحيى بن محمد، الأمير الأسبق للمخلاف[2] وأخوه الأمير ناصر بن محمد، أمير صبيا السابق قبل ابنه منصور، الذى كان أميرها وقت هذه الأحداث[3].

كان أنصار الدعوة فى حاجة إلى تنسيق قبل معركة الحجرين، فلم تتح الفرصة لعرار بن شار الشعبى للاشتراك فيها بأتباعه، وعقبها انسحب الفلقى بأتباعه إلى وادى بيش، وسارع بابلاغ القيادة فى الدرعية بالموقف، طالباً المساعدة بسرعة الدعم، فصدرت أوامر القيادة فى الدرعية إلى حزام ابن عامر العجمانى بسرعة التحرك إلى المخلاف (جازان) يقود ألفاً وخمسمائة جندى من العجمان وغيرهم، وكانت القيادة لحزام، فتوجه إلى

---

(١) العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٣، ونفح العود، ص٩٨،٩٩.

(٢) تولى الإمارة فى المخلاف مرتين، أولاهما: فترة من عام ١١٩٢هـ، وثانيتهما: من منتصف عام ١١٩٣هـ حتى عام ١٢٠٥هـ، وكان هو الذى يتولاها قبل علي بن حيدر، الذى تنازل عنها لعمه حمود بن محمد.

(٣) العقيلى، هامش نفح العود ص٧٨-٨٠، والمتن من الكتاب نفسه، ص١١٩،١٢٩،١٣٢.

درب بني شعبة وصحب عرار بن شار معه على رأس مجموعة من بني شعبة، وتقدموا ومن معهم إلى الجعافرة بوادى بيش لدعمهم ضد خصومهم وعسكروا فى الحجرين، وشعر أمير صبيا الأمير منصور بن ناصر بخطورة الموقف فيما لو حدث اشتباك بين الفريقين، فعمل جهوده فى الاتصال بعمه الأمير حمود أمير المخلاف وبغيره من أعيان المخلاف حتى تم تشكيل وفد لمقابلة حزام ومن معه والتباحث فى ايجاد حل سلمى، وتشكل الوفد من الأمير يحيى بن محمد الخيراتى، عن منطقة أبى عريش، والشيخ أحمد بن عبد الله الضمدى عن منطقة ضمد، والأمير منصور بن ناصر عن منطقة صبيا. وتم الاتفاق على الدخول فى الطاعة، وأعطوا العهد والبيعة للامام عبدالعزيز بن محمد، فأنابهم حزام كل على جهته مؤقتاً لحين صدور الموافقة النهائية من لدن الإمام عبدالعزيز فى الدرعية، وبذلك انتهت مهمة حزام دون قتال[1] فيما عدا بعض المناوشات اليسيرة خلال الطريق إلى بنى شعبة[2] وبهذا يمكن ان يقال إن المخلاف (جازان) دخل فى طاعة الدولة دون حرب، وأن الغالبية الغالبة من أهله بذلت الولاء عن رضا وقناعة تامة. وكان الوضع الادارى فى المخلاف (جازان) بعد هذا الاتفاق الذى عقده حزام مع وفد المصالحة عام ١٢١٥هـ كالآتى:-

---

[1] يلاحظ أن بعض المؤلفات التاريخية قد بالغت بشكل ملفت للنظر فى مهمة حزام العجمانى هذه، وصوروه على أنه اغتصب الأرض، وأكره أصحابها على غير مارغبوا، انظر: كتابنا "مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية" ص١٨-٢٥،٣٦،٣٧.

١- من وادى ضمد وجنوباً تحت سلطة الأمير حمود بن محمد.

٢- وادى صبيا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر بن محمد.

٣- من صبيا شمالاً وغرباً إلى بيش تحت سلطة الفلقى - ماعدا قرية الملحا فإنها تتبع صبيا.

٤- من بيش شمالاً إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار[1].

ويبدو أن الأمير حمود لم يكن راضياً على هذا الاتفاق الذى قلص من سلطته، ولأنه لم يكن ضمن الأطراف التى أقرته ووقعته، فاعتبر نفسه فى حل منه، لذا بعث إلى الإمام المنصور على بن المهدى عباس[2] طالباً نجدته، لكن الإمام لم ينجده. وخلال ذلك انتهز فرصة استعانة أهل "الملحا" به ضد الفلقى فبعث قوة حاربت الفلقى، ثم عرار بن شار الذى قدم لمناصرة الفلقى، وذلك أواخر عام ١٢١٦هـ[3] وهَمَّ بمحاربة ابن أخيه أمير صبيا الشريف منصور بن ناصر على أساس أنه والى الدرعية، لكن بعض الأشراف تدخلوا وحالوا بين وقوع الحرب بينهما.

---

(٢) العقيلى، تاريخ المخلاف، ج١، ص٤٤٥،٤٤٦.

(١) العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٧.

(٢) الامام المنصور على، تولى الامامة فى اليمن بعد وفاة أبيه فى ١٩رجب سنة١١٨٩، حتى وفاته فى ١٢٢٤هـ، وكان ضعيفاً، عارضه عمه، وخرجت عليه بعض القبائل، واستقلت بعض أطراف اليمن فى عهده، الواسعى، تاريخ اليمن، ص٢٣٠.

(٣) البهكلى، المصدر السابق، ص١١٢-١١٧.

علمت القيادة فى الدرعية بالموقف فأصدرت أوامرها باستنفار جميع قبائل عسير بما فيها شهران وقحطان وبنى شهر، وبنى عمرو، وغامد وزهران وغيرهما يقودها عبد الوهاب بن عامر المتحمى، المعروف بأبى نقطة[1] وأن ينضم إليه كل من منصور بن ناصر، أمير صبيا، والفلقى وعرار. بما لدى كل منهم من قوات، وتقدم هذا الحشد الذى تجاوز عشرين ألف مقاتل فعسكر بالقرب من "صبيا" فى ١٢/١٠/١٢١٧هـ، ثم تقدموا إلى أبى عريش فجر ١٥/١٠/١٢١٧هـ، ودارات رحى معركة عنيفة، انهزمت فيها قوات الأمير حمود، فسارع بطلب الأمان، والصلح، معلناً طاعته للدولة السعودية، فقبل منه عبد الوهاب بن عامر عهده وموالاته، واستشار كبار أصحابه فى استمرارية الأمير حمود فى الإمارة، فاستقر رأيهم أخيراً على إبقائه، بشرط القيام بمتطلبات الإمارة، من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومحاربة البدع، والعمل على نشر الدعوة فى المناطق الجنوبية بتهامة اليمن، والجهاد فى سبيل ذلك، ثم استدعاه ابن عامر، وأبلغه ذلك، وقال له: إن هذا مرهون بموافقة الامام عبد العزيز بن محمد. ثم رفع الأمر إلى الدرعية، فأتى الأمر بالموافقة، وعلى أن يخضع

---

[1] كان محمد بن عامر المتحمى، الذى عينته الدرعية أميراً على عسير، قد توفى أوائل عام ١٢١٧هـ، فأسندت القيادة فى الدرعية إمارة عسير إلى أخيه عبد الوهاب، وكانت كنية "أبو نقطة" تطلق على محمد، فلما مات أطلقت أيضاً على عبد الوهاب، واشتهر بها بين المؤرخين.

إدارياً لعبد الوهاب بن عامر، أمير عسير[1]. وبذلك دخل الأمير حمود في طاعة الدولة، ووظف جهده وسيفه لخدمتها.

لكن يلاحظ هنا أن تكليف الأمير حمود بالعمل على نشر الدعوة في أرض اليمن، بما يستلزمه ذلك من الدخول في حروب، والاستيلاء على أراض، إنما كان صادراً بادئ ذي بدء من القائد عبد الوهاب بن عامر، وربما يكون منشئوه من إقتراح أحد كبار قواده، خلال اجتماعه بهم لبحث تقلّد منصب الإمارة عقب معركة أبو عريش، لاسيما وأن البعض طالب باستبعاد حمود عن هذا المنصب بعد أن حدث منه ماحدث، وكان لديهم علم بالمكاتبات التي جرت بينه وبين إمام اليمن، طالباً نصرته، وسرعة نجدته[2] وذلك بهدف وضع حمود في موقف حرج، من حيث معاداته لإمام صنعاء حليف الأمس، ثم مدى مصداقيته في طاعة الدرعية، وولائه لحكامها، بما يلتزم به من تنفيذ أوامرها، وبالتالي فإن باب دخول الدرعية في منازعة مع أئمة اليمن كان موصداً حتى ذلك الوقت، بالرغم من أن بعض علماء الزيدية كانوا قد انتقدوا الدعوة الاصلاحية إبان انتشارها، و لم يهتم علماء الدعوة بانتقاداتهم، فكفاهم أن يثني عليها علماء السنة في صنعاء، كابن الأمير الصنعاني، والشوكاني[3].

---

[1] البهكلي، المصدر السابق، ص١٢٨-١٣٨.

[2] البهكلي، المصدر السابق، ص١٣٩، والعقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٠.

[3] سبق أن أوضحنا موقف العالم الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعاني، والشوكاني في ص٣٤ من هذا البحث، وانظر: د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٦٠-١٦٢.

كما يلاحظ أن أئمة صنعاء لم يهتموا بدخول عسير وجازان (المخلاف) في طاعة الدولة السعودية، ولكن اهتمامهم ظهر واضحاً عندما تقدمت الجيوش السعودية بالزحف جنوباً نحو الحديدة وغيرها من بلدان تهامة اليمن ـ كما سنوضحه فيما بعد ـ وهذا يؤكد ماسبق أن أوضحناه، واستشهدنا عليه بوقائع تاريخية عديدة، من أن هذه المناطق ـ جازان وعسير ونجران ـ لم تكن محسوبة ولا معدودة ضمن أرض اليمن، لاجغرافيا، ولاسياسياً، خلال المراحل التاريخية السابقة، ولاعذر لمن يتعلل من المؤرخين بضعف الإمامة الذى دعاها إلى الصمت حيال هذا الموقف[1] وأحرى بها ألا تصمت لو كانت متأكدة من أن لها حقاً، أو نفوذاً فى المنطقة، مثلما فعلت فى تهامة اليمن، فقد خرجت عن حالة الصمت، بالرغم من انها كانت ماتزال تعيش حالة الضعف نفسها، وما ذاك إلا لأنها ترى أحقيتها واضحة فى أرض تهامة اليمن، كالحديدة وغيرها.

ورأى آخر بحاجة إلى تنبيه، أو إمعان فكر ونظر، وهو أن بعض المؤرخين ـ من خلال سردهم لتلك الأحداث التى نحن بصددها ـ يخرجون باستنتاجات، من بينها: أن نجاح الدولة السعودية الأولى، فى تشكيل أعظم قوة عسكرية، شجعها على اقتحام أرض اليمن، وضمها إلى حوزة

---

[1] من هؤلاء: الواسعى، المصدر السابق، ص٢٣٠، والبهكلى، نفح العود، ص١٣٩، ود.حسين عبد الله العمرى، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص١٣٠،١٣١، ود.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٥٩،١٦٩.

أملاكها، نظراً لما كانت تتمتع به اليمن من أهمية اقتصادية[1] أى أن العامل الاقتصادى هو الأساس فى إقدامها نحو اليمن!!.

فحقيقة إن العامل الاقتصادى عنصر مهم لكل الدول، لاعتمادها عليه فى نموها، وضرورى لبناء قواها فى شتى المجالات، لكنه ليس أهم العناصر باطلاق، فالدولة الإسلامية فى عهد الفتوحات لم يكن العامل الاقتصادى هو الباعث الأول لحفز همتها لتلك الفتوحات، وإنما كانت هناك رسالة أهم بكثير من هذا العامل، تتمثل فى العمل على نشر الإسلام والجهاد فى سبيله، ومع تغير الأوضاع والظروف الدولية، فإن الوضع بالنسبة لحكام الدولة السعودية، أنهم تعاهدوا على مناصرة الدعوة الإصلاحية، وأوقفوا حياتهم على خدمتها، والعمل على نشرها، وهى دعوة دينية بحتة، تخدم الإسلام بالدرجة الأولى، وبالتالى فهى عامة وليست قاصرة على مجتمع نجد، أو وسط جزيرة العرب فحسب، وقد جاء توطيد ملكهم، ثم اتساعه، ثم رخاؤهم الاقتصادى بالتبع، دون تخطيط مسبق لكل ذلك. فحين عاداهم خصومهم فى نجد وما حولها شرقاً وغرباً، نصرهم الله عليهم، فتوطد ملكهم واتسع مداه، وامتلأت خزائن مالية الدولة فى الدرعية بالأموال دون تخطيط اقتصادى مسبق[2] فقد كانوا بسطاء فى تفكيرهم المادى، و لم يجمعوا الأموال لخزينة الدولة إلا بالطرق

---

[1] د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٥٧.

[2] انظر عن مالية الدولة السعودية فى عهد الامام عبد العزيز بن محمد، وابنه الامام سعود، ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٣-٢٧٥.

المشروعة. وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، وكانوا ينفقونها أيضاً بالطرق المشروعة، ولم يستحوذ العامل الاقتصادى على أدنى جهد من تفكيرهم، الذى كان شاغله الشاغل هو العمل على نشر الدعوة الاصلاحية على أوسع نطاق بين المسلمين، دون الالتزام بالمعالم الجغرافية، والفواصل السياسية بين المسلمين فى بلاد العرب .. فلم تكن تلك الفواصل يومها قد حُددت ورُسمت بشكل دقيق كما هى فى وقتنا الحاضر.

ولهذا وافقوا على الفكرة التى رفعها إليهم فى مقرهم بالدرعية القائد عبد الوهاب بن عامر، بتكليف الأمير حمود بالعمل على نشر الدعوة باسمهم فيما جاوره من أرض تهامة الجنوبية، لاسيما وانهم شوافع، ولم يمعنوا النظر فى غنى هذه المنطقة أو فقرها، أو يفكروا فى العائد المالى والاقتصادى من وراء تنفيذ هذه العملية، أو ينتهزوا الضعف الذى كان يمر به الحكم، أو غير ذلك من تخمينات واستنتاجات غير دقيقة، لأن كل همهم كان هو نشر الدعوة الاصلاحية بين المسلمين كافة فى بلاد العرب، ولذا كانوا يعرضون على القبائل ورؤساء البلدان الدخول فى الدعوة، اقتضاء للمنهج التشريعى، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والمثير للانتباه ويستحق إمعان النظر حقاً، هو أن المنطقة من جنوب "حرض" حتى مشارف "الحديدة" دخل أهلها فى الدعوة ـ حضر وبادية ـ واعلنوا الولاء للدرعية بطريقة سلمية، لم ترق فيها قطرة دماء، وخلال مدة يسيرة، وكأنها كانت فى انتظار الداعية، بالرغم من أن بها قبائل ذات شوكة وبأس ومنعة، كالواعظات، وعبس، والزرانيق وغيرهما.

بعد أن تأكد الأمير حمود من استمرار ولايته على "أبو عريش" بوصول الموافقة من الدرعية، أراد أن يؤكد إخلاصه وولاءه لها، فجهز ابن أخيه الأمير على بن حيدر ـ الوالى السابق للمخلاف ـ بسرية صغيرة قوامها ثلاثون فارساً، وأمره بالتوجه جنوباً لدعوة القبائل ورؤساء البلدان للدخول فى الدعوة، وإعطاء الولاء. وكانت حرض وما حولها حتى جنوب الواعطات تابعة قبل ذلك للمخلاف، تبعية إدارية وسياسية.

ولنا أن ننظر إلى مايرويه البهكلى، وهو معاصر لتلك الأحداث، وشاهد عيان لها:

انطلق الشريف على بن حيدر إلى حرض فى ذى القعدة ١٢١٧هـ، وكتب إلى بنى مروان، وهم من أعتى القبائل بالمنطقة فى ذلك التاريخ، يدعوهم إلى الدخول فى الدعوة والطاعة، فاستجابوا، وصحبه جماعة منهم، ثم نزل بلاد بنى حسن ودعاهم فأقبلوا طائعين، وصحبه جماعة منهم، ثم توجه إلى بلاد عبس، فبذلوا له الطاعة عقب أن دعاهم، ثم توجه إلى الواعظات، وكما يقول البهكلى: هى آخر البلدان التى حكم ولايتها أشراف أبى عريش، فأما ماوراءها إلى اليمن (أى جنوبها)، فولايتها إلى أعمال "اللحية" و"الزيدية" تحت خليفة صنعاء[1] ذاك الوقت. وهذا كلام واضح فى أن مابعد الواعظات جنوباً هو تابع للمخلاف تبعية إدارية وسياسية.

---

[1] انظر فيما سبق "نفح العود .." ص١٤٦،١٤٧، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٣.

ويبدو أن التعليمات التى كان يحملها قائد تلك السرية، الأمير على ابن حيدر، هى أن يبعث الدعاة فى مقدمته، تحمل كتباً منه إلى القبائل ورؤساء البلدان التى يزمع التوجه إليها، تدعوهم للدخول فى الدعوة، وإعطاء الطاعة، وذلك بمجرد خروجه من "أبو عريش" ونلحظ أنه خلال وجوده فى الواعظات بعث الرسل بكتب إلى أهل "الزعلية" وأهل "صليل" فأقبل وفد من مشايخهم ورؤسائهم، تعلن الدخول فى الدعوة وتعطى الولاء، وكذلك الزيدية، والجرابح، وكتب إلى عامل بلدة "مور" من قبل إمام صنعاء، وكتاباً آخر إلى زعماء أهلها، فقدم إليه هؤلاء الزعماء والمشايخ فى الواعظات، معلنين طاعتهم والدخول فى الدعوة، أما العامل فترك مور وذهب إلى "اللحية" وكانت مور تتبع اللحية إدارياً. عندئذ تحرك ابن حيدر ودخل مور، ومنها كتب إلى عامل اللحية، وكان عاملها هو صالح بن عبد الملك العُلفى[1] فتردد فى أمره بين المقاومة، أو تسليم البلدة، ثم داخله الفزع عندما بلغه أن بعض السفن التابعة للسعوديين دخلت ميناء اللحية[2] فترك اللحية هارباً إلى الحديدة. فدخلها ابن حيدر فى أول ذو

---

(1) كان هو وأمير الحديدة صالح بن يحيى العلفى، أبناء عمومة، وهما أيضاً أبناء عمومة وزير الامام المنصور، الحسن ابن الحسن بن عثمان العلفى، الأموى، القرشى، الذى كانت له مكانة فى عهد الامام المنصور.

(2) كانت بعض السفن قد خرجت من ميناء "الشقيق" بالمنطقة التابعة لادارة عرار بن شار الشعبى، وهى سفن صغيرة، حملت بعض الرجال لأعمال الاغارة على الموانئ الساحلية لليمن، وربما لبث الرعب فى النفوس ولاثبات أن منطقة عرار بن شار لها أيضاً مشاركات، وإلا فلم يكن هناك تنسيق بين حمود، وعرار، كما أن تلك السفن لم تكن مهيأة بالمدافع والأسلحة الكافية للدخول فى معركة بحرية .. المهم أنها أحدثت الرعب فعلاً فى روع أمير اللحية، فخرج هارباً، انظر: هامش ص١٤٨ من "نفح العود" تعليق الشيخ العقيلى.

الحجة سنة ١٢١٧هـ، واقبل إليه أهلها معلنين الطاعة، والدخول في الدعوة، ومن اللحية بعث إلى أمير الحديدة يطلب منه الدخول في الدعوة، وبذل الطاعة، لكن هذا كاتب إمام صنعاء طالباً النجدة، فجاءته الاجابة بالمقاومة لحين وصول الغوث والدعم، وبدأ يجمع قواته للتصدى لابن حيدر، وبهذا تعتبر الحديدة أول بلدة قاومت، المهم أن ابن حيدر خلال إقامته في اللحية كان قد بعث كتباً إلى بعض القبائل والبلدان الواقعة بين اللحية والحديدة، فوصله عَهْدٌ من على بن حميدة شيخ قبيلة القحرى، ويرأس بعض بطون باجل، كما وصله عَهْدٌ من عبد البارى بن الأهدل، رئيس بلدة المراوعة، وهى من توابع بيت الفقيه[1] وكان الدعاة يتقدمونه لدعوة الناس للدخول في الدعوة الاصلاحية، فاستجاب لهم كثيرون من أهل تهامة اليمن وبعض أهل الجبال، حتى ان أعراب "ريمة" قبلوا الدعوة، ودخلوا فيها، وبدأوا يتعرضون للذاهب من الحديدة إلى صنعاء، أو العائد منها، ممن لم يدخل في الدعوة، وخشى الناس سلوك الطريق الذى يمر عليهم فتجنبوا المرور فيه[2].

ويتضح مما سبق أنه خلال شهر واحد (ذو القعدة ١٢١٧هـ) شملت الدعوة، وامتد نفوذ الدولة السعودية إلى كل من: الزيدية، واللحية، ومور، وبوادى بيت الفقيه، ومشارف الحديدة، وإلى بعض القبائل بالجبال، بالرغم من أن السرية التى قادها الشريف على بن حيدر كانت محدودة

---

[1] انظر: فيما سبق نفح العود للبهكلى، ص١٤٦-١٥١، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٣،٤٥٤.

[2] البهكلى، المصدر السابق، ص١٥٣.

للغاية، ولايمكن أن توصف بكونها جيشاً جراراً، يبعث الرهبة فى نفوس الناس، ويرغمهم على قبول الدعوة، وبذل الطاعة عن رهبة. وكما يقول البهكلى: انقاد الناس للدعوة، والدخول فى الطاعة، وإعطاء الولاء، دون طعنة ولاضربة[١] ولذا يمكن أن توصف هذه السرية بأنها سرية سِلْم، لاسرية حرب. ويبدو أنه لسهولة مهمتها فيما وصلت إليه من تحقيق المطلوب دون إراقة دماء، أن تشجع الأمير على بن حيدر فى تكليف أخيه يحيى بن حيدر بقيادة قوة يسيرة من الفرسان للاستيلاء على الحديدة،عندما تأخر عليه جواب عاملها ابن العلفى، ظناً منه أنها ستبذل الطاعة كغيرها، ولايدرى أن ذلك العامل يعد عدته لأية مواجهة، ولذا كانت الدائرة على الشريف يحيى وفرسانه، فقد ووجهوا بقوات ضخمة، لذا عادوا إلى مور، التى اتخذها الأمير على بن حيدر مقراً له. وولى على اللحية كلاً من حسن النعمى، ومحمد بن قيراط[٢].

وصلت أخبار تلك السرية التى قادها الأمير على بن حيدر إلى أسماع قبائل المخلاف وعسير وماجاورهما، فسعدوا بها، وحفزهم للمشاركة فى هذا الميدان، لاسيما وقد بلغهم خبر هزيمة مجموعة الفرسان الذين قادهم الأمير يحيى بن حيدر فى مواجهة عامل الحديدة، فخفت إلى المنطقة سرايا من قحطان، والدواسر، والعجمان، وشهران، إلى الأمير حمود يطلبون منه المشاركة فى غزو تهامة اليمن، وذلك فى أوائل محرم

---

[١] البهكلى، المصدر السابق، ص١٥١.

[٢] البهكلى، المصدر السابق، ص١٥٠،١٥١، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٤.

١٢١٨هـ (١٨٠٣م) فقادهم بنفسه مع من انضم إليه من قبائل عسير والمخلاف، واتجه صوب الحديدة، غير أن عاملها كان مستعداً أكثر هذه المرة فحدثت بعض المعارك بينهم، أصيب فى إحداها الشريف حمود بمسمار قذيفة فى صفحة عنقه، فشفى بعدها، لكنها تركت فيه أثراً، ولذا أطلق عليه منذ ذلك الوقت "حمود أبو مسمار" المهم أنه لم يستطع الاستيلاء على الحديدة، وتراجع عنها عائداً عن طريق الساحل إلى "غلافقة" ثم "المجيلس" حتى بلغ "التحيتا" من قرى زبيد، ومنها إلى أبو عريش، وخلال مسيره فى عودته كان يأتيه رؤساء البلدان والقبائل لتأكيد ولائهم وطاعتهم، وعلى كل فقد امتد نفوذ الدولة أوائل عام ١٢١٨هـ إلى مشارف الحديدة، وبوادى بيت الفقيه.غير أنه مما كان يؤرق خاطر حمود هو ارتباطه بالقائد عبد الوهاب بن عامر أمير عسير، فهو غير راض عن رئاسته له من البداية، وحملها فى نفسه للظروف التى وقعت عقب معركة أبو عريش، فهو يعتد بنفسه لكفاءته، ويعتز بنسبه، وقد كان أميراً على المخلاف كافة، فاقتُطع منه جزء يديره عرار بن شار، وجزء آخر (صبيا وما يتبعها) يديره ابن أخيه منصور بن ناصر. بينما عبد الوهاب ابن عامر، لم يترأس قبل دخوله فى الدعوة إلا على قبيلته وما بحوزتها من بلدان عسير، وأن سبقه للدخول فى الدعوة هو الذى أعطاه ميزة الرئاسة فى عسير، ثم إن الظروف هى التى جعلت نفوذه يمتد إلى المخلاف، والآن وقد أثبت حمود إخلاصه للقيادة فى الدرعية، وجهاده فى ضم كثير من بلدان تهامة اليمن إلى حوزة الدولة، لذا فهو يطمح فى أن تعيد القيادة

نظرتها إليه، وتحقق أمله في انفصاله عن عبد الوهاب بن عامر، وتجعل صلته بها مباشرة دون وسيط[١].

وما أن استقر في أبو عريش بعد حملته هذه حتى تواترت الأخبار باستشهاد الإمام عبد العزيز بن محمد، وهو يؤدى صلاة العصر بمسجد الطريف بالدرعية، في العشر الأواخر من شهر رجب ١٢١٨هـ. على يد رجل مشعوذ من أهل العمادية بالقرب من الموصل بالعراق[٢] وانطلقت الوفود من كافة المناطق إلى الدرعية للتعزية، وتأكيد العهد والولاء لابنه الامام سعود بن عبد العزيز، المعروف بـ (سعود الكبير) فانتهزها حمود فرصة واستدعى ابن أخيه منصور بن ناصر أمير صبيا، وتبادل معه الرأى، الذى استقر على ارسال وفد للدرعية بغرض التعزية وتأكيد العهد والولاء للامام سعود، ومن ثم السعي في المطالبة بالانفصال عن رئاسة عبد الوهاب بن عامر أمير عسير، وتشكل الوفد من الشيخ حسن بن خالد الحازمي، وابن أخيه أحمد بن حيدر، ومعهما ناصر بن منصور أمير صبيا، ليتكلم عن نفسه، والآخران نيابة عن حمود، والجميع يسعون في فصل المخلاف عن عسير. وقد نجح الوفد في مهمته في الانفصال عن رئاسة عبد الوهاب، وأصبح اتصالهما مباشراً بالقيادة في الدرعية[٣] إلا إذا حدث

---

[١] البهكلي، المصدر السابق، ص١٥٦-١٦٥، والعقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٤،٤٥٥.

[٢] ابن بشر، ج١، ص٢٦٤، والبهكلي، المصدر السابق، ص١٦٥-١٦٧.

[٣] البهكلي، المصدر السابق، ص١٦٧-١٦٩، والعقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٥،٤٥٦.

استنفار عام، فإن ناصر بن منصور يخضع لرئاسة عبد الوهاب أبو نقطة خلال ذلك الاستنفار، وكذلك عرار بن شار.

ولما علم أبو نقطه بما سعى إليه حمود وابن أخيه، ونجاحهما في مسعاهما، حملها في نفسه، وظل يتتبع مايصدر عنهما من تقصير، ليرفعها إلى الدرعية، وزادت الوحشة بينهما، ووجد الوشاة جواً خصباً لنشر سمومهم، وآذاناً من الطرفين تسمع وتنفعل، حتى كادت تقع المواجهة بالسلاح بينهما، لولا تدخل القيادة في الدرعية التي سارعت بارسال وفد لتقصي الوضع، ومعرفة الحقيقة، في محاولة لتهدئة حدة التنافس بين قادة المنطقة، عبد الوهاب، وحمود، وعرار[1] وكان من نتيجة تدخل القيادة في الدرعية أن خمدت حدة النزاع بين هؤلاء القادة لكن إلى حين.

المهم أن جبهة حمود هي التي كان موكل إليها العمل في الجنوب بتهامة اليمن بتكليف من قبل القيادة العامة في الدرعية، أما القواد الآخرون فيشاركون كمساندين لها، أو يشاركون في ميادين أخر كالحجاز مثلاً، ويهمنا إلقاء الضوء على هذه الجبهة الجنوبية لأن لها علاقة بما نحن بصدده تاريخياً.

بدأ الامام المنصور يدرك خطورة الوضع، بسبب خروج بلدان تهامة اليمن، فيما هو جنوب الواعظات وحرض حتى مشارف الحديدة،

---

[1] انظر: دواعي هذا التنافس، أو بالأصح الخلافات في العقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٧-٤٦٠، والبهكلي، ص١٦٥،١٦٩،١٧٠،١٩٣،١٩٤.

وبيت الفقيه، ونتيجة لما كان يرفعه إليه عامل كل من الحديدة وبيت الفقيه من سرعة التحرك، قام بامدادهما بالرجال والعتاد، للتصدى لهذا الزحف الذى يهددهما، ومما زاد من قلق إمام صنعاء أن النفوذ السعودى بدأ يمتد أيضاً إلى اليمن الأعلى بالجبال، فمخلاف "حجة" المجاور لكوكبان، والمشهور بزراعة البن، والذى يبعد عن صنعاء مسافة ١٢٧ كيلو متر، فى الشمال الغربى، وبه دفن الامام أحمد بن يحيى المرتضى، وحفيده الامام شرف الدين، أقبل وفد من مشايخه وأعيانه إلى الشريف حمود ليعلنوا الطاعة والولاء للدولة السعودية، والدخول فى الدعوة، فبعث معهم عاملاً وداعياً أوائل عام ١٢١٩هـ[١] وذلك بالاضافة إلى امتداد الدعوة إلى أعراب "ريمة" بالجبال، فى الشمال الشرقى من الحديدة. لذا سارع الامام المنصور بتزويد عامل الحديده صالح بن يحيى العلفى، بالرجال والعتاد مما مكنه من استعادة قلعة الزيدية[٢]، ولما علم الشريف حمود بعث سرية من الفرسان يقودها على بن حيدر، لكنها لم تستطع استخلاصها فعادت أدراجها إلى مور، فشجع ذلك عامل الحديدة على التقدم نحو اللحية لاستعادتها هى الأخرى فى بداية عام ١٢١٩هـ.

وعلم حمود بتحركات العلفى فجمع جموعه، وتحرك فى ٩صفر ١٢١٩هـ، والتقى بالعلفى عند مكان يسمى "دير على" وكانت بينهما

---

[١] البهكلى، المصدر السابق، ص١٧٧.

[٢] تبعد الزيدية عن الحديدة مسافة ٦٢ كيلومتر، فى الشمال الشرقى، بالقرب من وادى سرور، المقحفى، ابراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص١٩٤.

وقعة مهولة، منى فيها العلفى بالهزيمة، ثم تصالحا على عقد هدنة لمدة عام، على أن يسلم أمير الحديدة: الزيدية وما وراءها إلى حدود سهام وشمال الحديدة للشريف حمود، ويقتصر نفوذ العلفى على الحديدة، وما وراءها جنوباً[1] ثم بعث إمام صنعاء جيشاً أواسط عام ١٢٢٠هـ، إلى حجة فاستعادها[2] وكانت معركة "باجل" من أشد المعارك التى وقعت ذلك العام بين حمود وعامل الحديدة صالح العلفى وانتهت بتوقيع صلح لمدة عام آخر، وتأكيد نفوذ كل منهما على المناطق التى سبق تحديدها فى الصلح السابق، وقد استخدم حمود فى هذه المعركة جنداً من بكيل، واستخدم العلفى جنداً من يام، الذين حصلوا منه على أموال عديدة، وعادوا إلى نجران، مما كان سبباً فى وقوع خلاف بينه وبين قيادته فى صنعاء، وجعله فى النهاية يخلع طاعتهم، وينضم إلى طاعة القيادة فى الدرعية، تحت تأثير مكاتبات وصلته من الشريف غالب عندما وقع صلحاً مع الامام سعود عام ١٢٢١هـ، ودخل فى طاعته، يحثه الشريف غالب على الدخول أيضاً فى طاعة الامام سعود، وكذلك مكاتبات من القائد عبد الوهاب بن عامر، وبذلك أصبح العلفى رجل عبد الوهاب، المنافس لحمود فى المنطقة[3].

---

(1) البهكلى، المصدر السابق، ص١٧٠-١٧٥.

(2) البهكلى، المصدر السابق، ص١٧٨، ١٨٥.

(3) البهكلى، المصدر السابق، ص٢٠٣-٢١٠، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٦٣، ٤٦٤.

ونتيجة لذلك دخلت المنطقة التى كان يحكمها صالح العلفى فى حوزة الدولة السعودية، وهى الحديدة، وبيت الفقيه، غير أن إمام صنعاء تصرف بسرعة فبعث قوة انضم إليها جنوده الموالين له فى كل من المخا والحديدة، فاستولوا على الحديدة، وقبضوا على أولاد العلفى، ونهبوا أمواله، وكان هو فى ذاك الوقت فى بيت الفقيه، فاستنجد بعبد الوهاب أبو نقطة لانقاذ أولاده، وكان عبد الوهاب مشغولاً بحرب نجران وقتها، فبعث حمود قوات إلى الحديدة استولت عليها، وانقذت أبناء العلفى، كما بعث قوات عن طريق البحر لمساعدة صالح فى بيت الفقيه فيما لو قدمت قوات الامام إليها، وفى الوقت نفسه كانت قد وصلت إليه قوات لمساعدته من طرف عبد الوهاب بن عامر[1].

وفى أواسط عام ١٢٢٣هـ وصلت الخلافات بين حمود وعبد الوهاب بن عامر أبو نقطة إلى طريق مسدود، بالرغم من محاولات القيادة فى الدرعية تصفية تلك الخلافات أكثر من مرة، ولإحساس حمود بأن عبد الوهاب له الحظوة لدى الدرعية أكثر منه، وربما يكون ذلك لكثرة الشكايات التى تصلها فى حقه[2] لذا بادر باظهار الخلاف، والعمل على

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٦٣-٤٦٦، البهكلى، المصدر السابق، ص٢٠٥-٢٠٩،٢١٧-٢٢٢. وعبد الله بن مسفر، السراج المنير، ص٥١،٥٢.

[2] ففضلا عن عبد الوهاب أبو نقطة، فقد شكاه إلى الامام سعود كل من الشريف حيدر، والشريف منصور بن ناصر، إبنى أخيه، البهكلى، ص٢٣٧-٢٤١، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٧٨-١٨١، والعقيلى، ج١، ص٤٦٨،٤٧١.

استقلاله بالمنطقة فيما بين أبو عريش حتى جنوب الحديدة[1] ووصلت تلك الأخبار إلى الدرعية فأصدرت القيادة العليا في الدرعية تعليماتها إلى عبد الوهاب أبو نقطة بالعمل على إخضاع حمود بالاستعانة بقبائل عسير وماجاورها، فاستعد كل منهما للآخر، ثم التقيا في وادى بيش في معركة رهيبة يوم ١٢٢٤/٦/٢٨هـ، أسفرت عن هزيمة حمود، ومقتل عبد الوهاب بن عامر الرفيدى[2] فتولى إمارة عسير بعده ابن عمه طامى بن شعيب، بناء على تعليمات القيادة فى الدرعية.

وبعد ذلك أصبحت المنطقة التى بحوزة حمود، وهى من أبو عريش جنوباً حتى الحديدة مسرحاً للعمليات والغارات من قبل القواد السعوديين فى المنطقة حتى عام ١٢٢٥هـ، فقد تكررت غزوات كل من عثمان المضايفى، وطامى بن شعيب، وعرار بن شار، ومحمد بن أحمد المتحمى، وغيرهم، ووصلت غزواتهم إلى اللحية والحديدة وغيرهما من بلدان حتى استولوا على الحديدة[3]، وكانوا يستعملون فى بعض تلك الغزوات السفن التى تحمل جنوداً للمساندة البحرية، تنطلق من ميناء الشقيق إلى ميناء

---

[1] ويقال إن مما شجعه على اتخاذ موقف انفصالى عن القيادة فى الدرعية، أنه كان يتصل سراً بالشريف غالب بن مساعد وعلم منه أن الدولة العثمانية كلفت والى مصر محمد على باشا بالذهاب إلى الحجاز لمحاربة الدولة السعودية، وأنه يستعد لذلك. فشجع ذلك حمود على التمرد، نفح العود، هامش ص٢٣٩. دراسة وتحقيق الشيخ محمد بن أحمد العقيلى.

[2] البهكلى، المصدر السابق، ص٢٥٣-٢٥٥، والعقيلى، المصدر السابق، ص٤٦٨،٤٦٩، وابن بشر، ج١، ص٣٠٢-٣٠٤، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٨٢-١٨٤.

[3] ابن بشر، ج١، ص٣١٢. وعبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص٦٤.

اللحيـة، أو الحديـدة. ثـم انشـغلت القيـادة فـى الدرعيـة، وهـؤلاء القـواد أيضـاً بالتصدى لقـوات محمـد علـى باشـا التـى قدمـت إلى الحجـاز عـام ١٢٢٦هـ[١].

وممـا يلاحـظ علـى المنطقـة بصفـة عامـة، خـلال هـذه الفـترة التـى استعرضنا وقائعهـا:

١ - أصبحـت العقيـدة السـلفية، بمـا تحملـه مـن مبـادئ واصلاحـات لأمـور الديـن والدنيـا، تحتـل المكانـة الأولى فـى قلـوب أبنـاء كـل مـن منطقـة عسـير والمخـلاف (جـازان) بمـن فيهـم سـراة القـوم وعـامتهم علـى حـد سـواء، وتخلصـوا مـن البـدع والخرافـات، وأسـاليب الطـرق الصوفيـة التـى كـانت شـائعة فـى المنطقـة، ولأن العلمـاء كـانوا قـد ملّـوا واقعهـم الدينـى المشـوب بالخرافـات، الـذى كـانوا يعيشـونه قبـل الدعـوة فقـد وجـدوا فـى أنفسـهم دافعـاً قويـاً لمنـاصرة الدعـوة، وشمـروا عـن سـواعدهم لنشـر مبادئهـا، وتـولى أعمـال التدريـس، والقضـاء، والافتـاء، دون الاسـتعانة بعلمـاء مـن خـارج المنطقـة فـى هـذا المجـال، ممـا دفـع القيـادة فـى الدرعيـة إلى الوثـوق بهـم، فجعلـت أحـد علمـائهم رئيسـاً للقضـاة فـى عسـير، وهـو الشـيخ أحمـد الحفظـى، وفـى جـازان الشـيخ حسـن بـن خـالد الحـازمى[٢] ونظـراً للقناعـة الذاتيـة لـدى أبنـاء المنطقـة فـى مصداقيـة

---

[١] د.أبو داهش، المصدر السابق، ص١٤.

[٢] ابن بشر، ج١، ص٣٦٤.

الدعوة، فقد كان ولاؤهم لحكام الدرعية خالصاً وصادقاً، وارتباطهم بهم مصيرياً في الشدة والرخاء، بدليل مشاركتهم لهم في تصديهم لقوات محمد على باشا، ثم تصديهم لتلك القوات خلال غزوها للمنطقة، بشجاعة واستماتة تستلفت الأنظار، وأن قناعتهم لمصداقية الدعوة، ووفاءهم لروّادها وأصحابها لم ينته بزوال النفوذ السياسي في الدرعية عام ١٢٣٤هـ بل استمر وتواصل مع حكام الدولة السعودية في مرحلتها الثانية، ثم الثالثة بعد ذلك.

٢- قام أبناء المنطقة، وعلماؤها بدور الدعاة والمرشدين، لنشر الدعوة في معظم أرجاء أرض اليمن في الحواضر والبادية، مستغلين صلاتهم السابقة بهم، ومعرفتهم بمواطنهم، ووضعهم الاجتماعي، واتجاهاتهم الفكرية، مما كان له أثر بالغ في اندفاع العديد من بلدان تهامة اليمن وقبائلها إلى قبول الدعوة واعلان الولاء والطاعة، حال وصول الدعاة إليهم بشكل رسمي برفقة سرية الشريف على بن حيدر، التي سبق أن أشرنا إليها[1] وأن أثر الدعوة امتد عن طريقهم إلى مشارف صنعاء، في حجة وكوكبان[2] وكان عامل صعدة محمد بن على القاسمي قد مال

---

[1] انظر ص١٠٤-١٠٦ من هذا البحث.

[2] كوكبان من أشهر جبال اليمن، وهي منطقة تبعد عن صنعاء مسافة أربع ساعات سيراً على الأقدام، وكان عامل صنعاء بها هو السيد/شرف الدين بن أحمد، ولما أراد الدخول في الدعوة، وإعلان الولاء للدرعية، طلب من--

قلبه إلى الدعوة، وأرخى حبل المودة لحكام الدرعية، حتى أنه توسط فى الخلافات بينهم وبين الشريف حمود عام ١٢٢٤هـ، فقبلوا وساطته[1].

٣- أن إمام صنعاء لم يحفل بدخول كل من عسير وجازان (المخلاف) تحت نفوذ وطاعة الدولة السعودية، لأن الوضع فيهما لم يكن يمثل بالنسبة إليه أهمية دينية أوسياسية، فقد كان الحكم فيهما شبه استقلالى، كما سبق أن أوضحناه[2] وعندما امتد نفوذ الدولة السعودية إلى تهامة اليمن، وبات يهدد الحديدة بدأ القلق يساوره مخافة استمرار الزحف إلى صنعاء، فحاول امداد عامل الحديدة ببعض التعزيزات حسب امكاناته وقتها، ثم تأكد لديه الخطر الذى يخشاه عندما خرجت كل من حجة وكوكبان عن طاعته، ففزع وعمل جاهداً على استخلاصها، حتى نجح فى هذا، ثم وجه همته نحو تهامة اليمن لتخليص الحديدة، فلم يستطع تخليصها، وعندما انشق الشريف حمود عن

-- الشريف حمود أن يبعث إليه مجموعة من الرحال برفقة أحد رحاله قائداً لهم. لكى يتعلل بهم لدى إمام صنعاء بأنه مغلوب على أمره، البهكلى، المصدر السابق، ص٢٤٢،٢٤٣.

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص٢٧٧، وهى التكملة على نفح العود، من تأليف ابن عاكش، الحسن بن أحمد، وفيها ذكر أن تلك الوساطة التى قام بها عامل صعدة كانت عام ١٢٢٦هـ، والصواب أنها كانت قبل ذلك. انظر: العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٠. ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٨٤. وابن مسفر، المصدر السابق، ص٦٥.

(٢) انظر: الفصل الأول من هذا البحث ص٥٨.

الدرعية، استغل هذه الفرصة لتخليصها ظناً منه أن حمود أصبح ضعيفاً، لكنه لم يستطع أيضاً، ثم حاول أن يضع يده في يد حمود ليكون ردءاً له، وحائلاً فيما بينه وبين الدولة السعودية، وأثناء ذلك كانت قوات محمد علي باشا قد وصلت إلى الحجاز، فكاتب كلاً من السلطان العثماني، ومحمد علي باشا عام ١٢٣٤هـ (١٨١٩م) طالباً منهما العمل على استخلاص تهامة اليمن لصالحه[1] وبهذا يتأكد القول بأن تهامة اليمن، من جنوب حرض حتى الحديدة، هي ماكان يهمه أمرها دون ماعداها.

نجران:

سبق أن تحدثنا عن نجران قبيل ظهور الدعوة الاصلاحية[2] ثم دور اليامين بقيادة المكرمي، حسن بن هبة الله، في بداية نشأة الدولة السعودية الأولى، وقدومه إلى نجد لمحاربتها عامي ١١٧٨هـ، ١١٨٩هـ، ثم لم يعاود بعدهما القدوم إلى نجد، وولى وجهه جهات أخر، ليحقق فيها ماينشده من غنائم وأسلاب، فربما أدرك أن شأن الدولة السعودية في تزايد مستمر، وأن قدومه إلى نجد قد يجلب عليه من الخسائر أضعاف ما ينشده من غنائم لذا مارس هوايته بجهة أخرى، لأنه يصعب أن يقر لليامين قرار، فقد

---

[1] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٨٥.

[2] انظر: ص٦٦-٧٠ من هذا البحث.

امتهنوا أعمال الغزو والسلب من مئات السنين، وتأصلت فيهم كمصدر لرزقهم، فضلاً عن أنها كانت تعتبر من مظاهر الفروسية بمعايير ذلك العصر، وهى تشبع رغبتهم فى امتشاق الحسام، والضرب والنزال، وهو أمر يكاد يكون مشتركاً بين كافة البادية، لكنه كان أوضح فى اليامين، الذين أطلق عليهم أنهم جنود مرتزقة، يمتشقون الحسام لالمبدأيعتنقونه، وإنما لمغنم يطلبونه، وسيفهم مع من يدفع أكثر، ولايعرفون الولاء لغير رؤسائهم، ثم لذوى الرئاسة الدينية فيهم من المكارمة، وكان العداء مستحكما بينهم وبين أئمة صنعاء فى مختلف العصور، نظراً للاختلاف المذهبى، واتخذوا أرض اليمن مسرحاً لغزوهم نظراً لكثرة خيراتها، وقام بعض أئمة اليمن بغزوهم لتأديبهم وكسر شوكتهم، لكن شوكتهم كانت أصلب من أن تنكسر، فحاولوا كسب مودتهم ببذل المال، والاستعانة بهم كمحاربين ضد خصومهم، فأخذوا المال، وانفضوا من حولهم دون ولاء، تاريخهم كاد يكون أنموذجاً للشراسة والعنف فى شتى صوره، فسبحان من طوّعهم لمن أراده الله من خلقه، فاستكانوا واطاعوه وبذلوا له الولاء، وانتظموا فى سلك رعيته مستكينين، مسئولين عن الأمن فى مواطنهم، والمسالك والدروب المؤدية إليها .. وانساب اليهم رزقهم رغداً من غير أعمال الغزو والسلب، التى امتهنوها مئات السنين!.

وعلى كلٍ فقد جنح الحديث بنا عما كنا فيه، بسبب ماعرف عن يام من سلوكيات خلال الأزمان السابقة، فهى ظاهرة بحاجة إلى دراسة مستقلة عن سلوكيات البادية قبل العصر الحديث، الذى استقرت فيه

الأوضاع السياسية، والأمنية، والاقتصادية، للمقارنة بين ماكانت عليه الأوضاع فى الجزيرة العربية بصفة عامة وبين ماتعيشه الآن من أمن ورخاء، للتذكير بنعمة الله والتحدث بها. ثم نسبة الفضل لذويه ممن بذلوا الجهد فى استقرار الأوضاع .. ولنعد إلى ماكنا فيه.

ابتعد الياميون عن نجد، ومارسوا أعمال الغزو فى أرض اليمن، وفيما جاورهم من مناطق. فغزوا عسير عام ١١٩٩هـ[١] واستخدمهم أشراف جازان قبل الدعوة كجنود مستديمين مرتزقة، فأفسدوا حكمهم، وكاتبهم الشريف حمود ليقفوا معه قبيل موقعة أبو عريش عام ١٢١٧هـ، التى أعلن طاعته بعدها، وأصبح قائداً من قواد الدولة السعودية، فقدم إليه بعضهم عند حرض، فبعث إليهم بالأموال مع ابن أخيه على بن حيدر كحافز للاقدام إلى أبو عريش، والالتزام بالوقوف معه، فقالوا لابن أخيه: إن حركات جند نجد بطيئة، ونحن نسير إلى اليمن ننهب منه مايقوينا على الحرب، ونعود قبل وصول جند نجد، فحاول إغراءهم فلم يستجيبوا، وانصرفوا ينهبون، و لم يعودوا[٢] وحاول إمام صنعاء أن يستعين بهم ضد القوات السعودية التى دخلت تهامة اليمن، فاستدعى إليه عبد الله بن حسين بن نصيب اليامى، أحد رؤسائهم من المواجد[٣] وأغراه ببذل

---

[١] د.محمد آل زلفة، المصدر السابق، ص١٧، ١٨.

[٢] البهكلى، المصدر السابق، ص١٢٧، ١٣٠.

[٣] يقول البهكلى ص١٥٥ "يزعم ابن نصيب هذا أن نسبه يعود إلى الحارث بن كعب، ذو العصم أحد جمرات العرب" فإن صح هذا فإن يام تكون قد انضمت إليها ـ تحت هذا الاسم ـ بعض القبائل الأخرى بالتحالف.

الأموال على أن يقود بطون يام إلى تهامة اليمن، لكن البطون اليامية الأخرى لم تستجب لابن نصيب، ونقموا على إمام صنعاء، وخرجوا ينهبون فى أرض اليمن[1] وحاول عامل الحديدة من قبل إمام صنعاء، صالح بن يحيى العلفى، أن يستعين بهم ضد قوات الدولة السعودية بقيادة الشريف حمود، والتى كانت تزحف جنوباً صوب الحديدة، فحدثت معركة بينهم عند جبل باجل، أوائل شهر رمضان ١٢٢٠هـ، وكان يقود يام كل من جابر بن مانع بن مذكور، من آل فاطمة، وعبد الله بن نصيب من المواجد، ثم أخذوا من عامل الحديدة أموالاً جزيلة وانصرفوا عائدين إلى نجران، و لم يستمروا معه، وكانت هذه الأموال سبباً فى توجيه اللوم والتهديد من صنعاء إلى عاملها فى الحديدة، صالح العلفى، مما دعاه إلى التفكير فى خلع طاعة إمام صنعاء والدخول فى طاعة أئمة الدرعية، لاسيما وأنه وقع تحت تأثير مراسلات كلٍ من الشريف غالب، وعبد الوهاب بن عامر أبو نقطة، مما شجعه على خلع طاعة أئمة صنعاء، والدخول فى طاعة أئمة الدرعية[2].

وبالنظر لكون يام تميل إلى الإغراءات المادية، فتثير فيها نزعة المغامرة ولأن حكام الدرعية لم يتعودوا بذل تلك الاغراءات، لذا كانت يام كثيراً ماتنحاز إلى جانب خصومهم، بمقابل كجنود مرتزقة، بالرغم من العداء المذهبى بينهم وبين الزيدين، الذى يتلاشى مؤقتاً أمام ذلك الاغراء المادى،

---

[1] البهكلى، المصدر السابق، ص١٥٥،١٥٦.

[2] البهكلى، المصدر السابق، ص١٨٩-١٩٢،١٩٤،٢٠٢،٢٠٦.

وكان ذلك مما يقلق القادة السعوديين فى الميدان الجنوبى بتهامة اليمن، الذى تندفع إليه يام دون غيره من ميادين، وكان قد بدرت منها تعديات على عشيرة من قبيلة سنحان المجاورة لهم بجنوب عسير وهى ضمن رعايا الدولة السعودية، وكان الامام سعود مشغولاً ذاك الوقت بالحدود الشمالية والشرقية للدولة، لذا أصدر أوامره عام ١٢٢٠هـ إلى القائد عبد الوهاب ابن عامر أبو نقطة، بأن يقود قبائل عسير لتأديب يام، والعمل على إخضاعها، كما أصدر أوامره إلى فهاد بن سالم بن شكبان ـ الذى تولى إمارة بيشة بعد أبيه، وإلى الدواسر، تحت قيادة كل من ربيع بن زيد، وابراهيم بن مبارك بن عبد الهادى ـ رئيس الودّاعين بالدواسر، الذى تولاها بعد ابيه ـ وإلى قبائل قحطان ووادعة الجنوب، بأن تسير جموعهم تحت قيادة أبو نقطة إلى نجران[1] فالتقت تلك الجموع التى تجاوز عددها ثلاثين ألفاً، مع جميع بطون يام وبادية نجران بالقرب من بلدة بدر الجنوب[2] ووقع قتال شديد على مدى ثلاثة أيام، قتل من الطرفين قتلى عديدون، كان منهم ابراهيم بن مبارك، رئيس الودّاعين، وإدريس بن حويل، وأقام أبو نقطة فى موضعه هذا حوالى شهرين، ثم بنى فيه قصراً بما يشبه الحصن سمى "الثغر" فى قرية حمضه، وترك فيه مرابطة ليضيقوا على

---

[1] ابن بشر، ج١، ص١٨٩، والبهكلى، ص٢٠٧. وابن مسفر، المصدر السابق، ص٥٢.

[2] بلدة بدر إحدى أكبر مدن نجران، وهى حالياً توسعت ويتبعها بعض القرى، وبها أمير، وعديد من المنشآت الحكومية للادارة والتعليم والصحة والمواصلات وغيرها.

بادية نجران[1] ويثبت لهم امتداد نفوذ الدولة السعودية إليهم، وكان لهذا تأثيره على معظم أهل نجران وبخاصة باديتها، وأقبل وفد منهم إلى الدرعية ليبذلوا الطاعة والولاء. ويؤدوا الزكاة إلى الإمام سعود. فكتب الإمام سعود بن عبد العزيز كتاباً لهم جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من سعود إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر، وحسن ابن دهشان، وحمزة ومحمد ابنا حسن، وحسين بن أحمد، ومقبل بن محمد، وصالح بن عبد الله، وأحمد بن معوض، وأحمد على بن شما، وصالح حسين مسلى، سلمهم الله من الآفات، واستعملهم بالباقيات الصالحات. وبعد: ألقى[2] علينا مقبل بن عبد الله، وأشرف على مانحن عليه، وماندعو إليه، ومانأمر به، وما ننهى عنه، ويصف لكم من الرأس اكثر من القرطاس، إن شاء الله، ونخبركم أننا متبعون لامبتدعون، نعبد الله وحده لاشريك له، ونتبع رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فيما يأمر به وينهى عنه، ونقيم الفرائض، ونجبر مَنْ تحت يدنا على العمل بها، وننهى عن الشرك بالله، وننهى عن البدع والمحرمات، ونقيم الحدود، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونأمر بالعدل، والوفاء بالعهود، والمكاييل والموازين، وبّر الوالدين، وصلة الأرحام.

---

[1] ابن بشر، الجزء والصفحة نفسها، والبهكلى، المصدر، والصفحة نفسها. ود.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص١٤٥.

[2] ألقى: أى قدم.

هـذه صفـة مـانحن عليـه، ومـاندعو النـاس إليـه، فمـن أجـاب وعمـل بمـا ذكرنا، فهو أخونا المسلم، حرام الدم والمال، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرنا .. وانتم أخص الناس باتباع محمد ﷺ، والحق عليكم أكبر منه على غيركم، والاسلام هو عزكم وشرفكم، كما قال تعالى: "لقد أنزلنا عليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون"[1] وقال تعالى: " وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون"[2] فالمأمول فيكم الدعوة إلى الله، لأن الدعوة سبيل من اتبعه ﷺ، كما قال تعالى: "قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين"[3] وقال تعالى: " ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين"[4] ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الداعين إليه المجاهدين فى سبيله، لتكون كلمته هى العليا، ودينه هو الظاهر، وصلى الله على محمد وسلم[5].

وهو كتاب موجه من الامام سعود بن عبد العزيز إلى المذكورين أعلاه، ويبدو أنهم كانوا من أكابر نجران[6] يحثهم فيه على الدخول فى

---

[1] سورة الأنبياء، آية١٠.

[2] سورة الزخرف، آية٤٤.

[3] سورة يوسف، آية١٠٨.

[4] سورة فصلت، آية٣٣.

[5] نفح العود، للبهكلى، هامش ص٢٠٦ أورده محقق الكتاب الشيخ العقيلى، وأيضاً فى كتابه "نجران فى أطوار التاريخ" ص١٣٢-١٣٥.

[6] سبق أن أشرنا إلى أن هناك قبائل أخرى غير اليامیين بنجران، منهم: آل خريم، وأولاد عبد الله، والأشراف، وغالب الظن أن رسالة الامام سعود موجهة إلى هؤلاء وإلى غيرهم من بعض بطون يام.

الدعوة، والالتزام بتعاليم الاسلام الصحيحة، وأنه كان من نتيجة هذا الترغيب أن دخل البعض في طاعته رغبة منهم، وأدوا إليه الزكاة كما قال ابن بشر[1] كما يلاحظ أن بعض بطون يام لم يدخلوا في الطاعة ضمن من دخلوا عام ١٢٢٠هـ، لأنهم إشتركوا في حرب وقعت عام ١٢٢٤هـ ضد الدولة السعودية[2] ثم حدثت مهادنة بين الطرفين إلى أن كانت حروب الدرعية، فلم يسهموا بأى دور مع أيٍّ من الطرفين، وظلوا بعيداً عن ساحتها، بخلاف قبائل عسير وجازان، التى تصدت لهذا الغزو الخارجى، كما سنعرفه فى الفصل الثالث.

ويقال أن اليامين بقيادة المكارمة توغلوا فى أرض اليمن وأخضعوا مناطق بداخلها لحكمهم عام ١٢٢٩هـ، كمنطقة صعفان غربى مسار، من أعمال مناخة، ونصبوا أمراءها وجندها من أهل نجران، وذلك فى وقت يوسف بن على بن هبة الله المكرمى[3] الذى ولّى عليها ابن أخيه حسين ابن حسين بن على المكرمى[4] وكذلك على حراز والحيمة غربى صنعاء واستمرت فى يدهم إلى مابعد عام ١٢٦٨هـ[5].

---

[1] ابن بشر، ج١، ص١٨٩،٣٥٤.

[2] د.العثمين، المصدر السابق، ج١، ص١٤٥، وابن بشر، ج١، ص٣٠٣.

[3] توفى يوسف بن على عام ١٢٣٤هـ، انظر: فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٧٥.

[4] سيد الماحى، نجران الارض والناس والتاريخ، ص٢٨،٢٩.

[5] مؤلف مجهول "صفحات مجهولة من تاريخ اليمن" تحقيق القاضى حسين السياغى، ص٤٤،٧٨،١١٣.

وعلى كل فإن ولاء بعض البطون اليامية، والقبائل الأخرى وبخاصة بادية نجران استمر مبذولاً إلى أئمة الدولة السعودية الأولى، والثانية كما سنراه فيما بعد.

الفصل الثالث

وجود قوات محمد على باشا، الوالى العثمانى لمصر، فى هذه المناطق.

كانت الدولة العثمانية تعتبر نفسها وريثة الخلافة الإسلامية، من منطلق امتداد نفوذها إلى البلاد العربية، بعد قضائها على نفوذ المماليك فى الشام ومصر، وأنها أصبحت تمثل العالمين العربى والاسلامى أمام دول العالم الخارجى، واكتسبت زعامتها الاسلامية من كونها راعية لأرض الحرمين الشريفين، وقد هالها الفزع بسبب امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى معظم شبه الجزيرة العربية، وبخاصة الحجاز ــ أرض الحرمين الشريفين ــ وذلك عام ١٢١٨هـ[1] ثم الحيلولة بين وصول وفودها الرسمية، ووفود الولايات التابعة لها ــ العراق والشام ومصر ــ إلى الأماكن المقدسة على الصفة التى كانت تأتى بها، فى مصاحبة المحمل[2] بالاضافة إلى التقدم شمالاً نحو العراق والشام، رداً على محاولات الولاة فى الولايتين مهاجمتها، وبعث الحملات إليها. وفشلهم فى ذلك[3] ورأت أن خروج الحرمين الشريفين عن دائرة نفوذها يعتبر صفعة قوية ستفقدها الزعامة التى تتمتع

---

[1] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٩-٢٦٣، وأيوب صبرى، المصدر السابق، ص١٤٢.

[2] محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى، ص١١١، وابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٩١،٢٩٢، وأيوب صبرى، الصدر السابق، ص١٤٤.

[3] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص١٥٢،١٩٧-٢٢١،٢٩٨.

بها على العالم الاسلامى، ومما زادها فزعاً هو أن امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى أصبح له تأثير ورنين أخاذ على الساحة الدولية، وأضحى مثار اهتمام من بعض الدول المهتمة بالمنطقة، كانجلترا، وفرنسا، وروسيا القيصرية، بسبب ظهور قوة جديدة فى المنطقة تهيمن على مساحات شاسعة من بلاد العرب، وتتحكم فى الشاطئ الغربى للخليج العربى، والشاطئ الشرقى للبحر الأحمر، فبدأوا يطلبون ودّها وصداقتها، ويتنافسون فى هذا المجال، بإرسال وفودهم إلى الدرعية، بغرض عقد اتفاقات، أو على الأقل كشف الوضع عن ماهية تلك الدولة المتنامية بصورة ملفتة[1].

رأت الدولة العثمانية أن صورتها قد اهتزت أمام العالم على يد الدولة السعودية، فحرصت على استرداد هيبتها أمام العالم الاسلامى، باستعادة نفوذها على أرض الحرمين الشريفين، فعهدت بتلك المهمة إلى واليها على مصر، محمد على باشا، بعد أن فشل ولاتها بالعراق والشام فى تلك المهمة.

ومع أن الدولة العثمانية لم يكن لها نفوذ حقيقى وسط شبه الجزيرة العربية، وبخاصة على أرض نجد، ولم تكن تطمع إلا فى استعادة نفوذها على أرض الحرمين الشريفين، إلا أن محمد على باشا، قد وجدها فرصة لصنع نفوذ له فى شبه الجزيرة العربية، على حساب الدولة السعودية،

---

[1] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٤،٢٧٨-٢٨٤،٢٨٦-٢٨٨.

وعندما تأتّى له هذا النفوذ تمرد على الدولة التى أعطته تلك الفرصة، ودخل معها فى منازعات وحروب، أضعفها وأوهنها، ثم تحجمت على اثر ذلك قوته بفعل التدخل الدولى ضده، وكان قد نجح فى القضاء سياسياً على الدولة السعودية، لكنه لم يستطع القضاء عليها دينياً وعاطفياً، فتأججت فى الصدور جذوة الكفاح ضد قواته فى طول البلاد وعرضها، و لم تخمد إلا بقيام الدولة السعودية فى دورها الثانى.

وتشير الوثائق إلى أن أول تكليف ورد من السلطان مصطفى الرابع[1] إلى محمد على، للقيام بتلك المهمة، كان عام ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م) إلا أن محمد على أرسل إلى السلطان يعتذر عن عدم تمكنه من القيام بالمهمة، بسبب تدهور الحالة الاقتصادية للبلاد، واستيلاء المماليك على صعيد مصر، وعندما اعتلى السلطان محمود الثانى سُدّة الحكم عام ١٢٢٣هـ، عاود تكليف محمد على باشا القيام بالمهمة، فجعل يتعلل بالأعذار السابقة بالاضافة إلى تعلله بخشيته من أطماع الدول الأوربية فى مصر فيما لو تركها وذهب إلى الحجاز، ثم من تخوفه من سليمان باشا والى الشام، الذى يأوى المماليك الفارين من مصر، ويحرضهم عليه، وطلب إبعاد سليمان باشا عن ولاية الشام، وتعيين صديقه يوسف كنج

---

(1) السلطان مصطفى الرابع، حكم لمدة عام واحد ١٢٢٢هـ - ١٢٢٣هـ (١٨٠٧-١٨٠٨م) ثم تولى بعده السلطان محمود الثانى، الذى استمر حكمه حوالى واحد وثلاثين عاماً ١٢٢٣هـ - ١٢٥٥هـ (١٨٠٨-١٨٣٩م) وفى عهده كانت الحروب ضد الدولة السعودية الأولى.

بدلاً منه، أو أن يشترك معه فى الحملة[1] وظل يماطل حوالى ثلاث سنين إلى أن أجبر الدولة على الاستجابة لبعض مطالبه، كتزويده بجزء من العتاد والأموال للإعداد للحملة، وفى الوقت نفسه كان قد استطاع الاستعداد، بعد تثبيت أقدامه فى مصر، وإحكام قبضته عليها، والتخلص من أمراء المماليك واتباعهم، فى مذبحة القلعة التى دبرها لهم يوم ٤صفر ١٢٢٦هـ (٢٨فبراير ١٨١١م) فى الحفل الذى أقامه لتقليد ابنه أحمد طوسون خُلْعة القيادة لتلك الحملة[2] وكان هذا من المفارقات العجيبة أن يبدأ تحرك الحملة من القاهرة بإراقة الدماء. ثم خلال مسيرتها من البداية إلى النهاية.

كانت الحملة التى قادها طوسون تتكون فى البداية من ثمانية آلاف جندى، بكامل معداتهم، منهم خمسة آلاف من المشاة والمدفعية، خرجوا من القاهرة يوم ١٩رجب ١٢٢٦هـ (١٨١١م) ليسافروا بحراً من السويس، وثلاثة آلاف من الفرسان ومعهم طوسون قائد الحملة خرجوا يوم ١٢رمضان، ليسافروا بالبر عبر العقبة إلى ينبع البحر، التى اختيرت لتكون نقطة التجمع لجنود البر والبحر[3].

---

[1] د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٨-٣٠٠ اعتماداً على الوثائق التركية التى ذكر أرقامها وتواريخها، والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

[2] د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٢.

[3] محمد أديب غالب، المصدر السابق (نقلاً عن الجبرتى) ص١٢٦، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٣، وابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٣٢١،٣٢٢، ويقول إن عدد جنود الحملة كان أربعة عشر ألف رجل، أو يزيدون.--

قـام محمـد علـى منـذ أن عـرف بـأمر تلـك المهمـة، بـاجراء الاتصـالات بالشـريف غـالب مـن خـلال المراسـلات التـى كـان يحملهـا التجـار الذيـن يترددون بين جـدة والقـاهرة، وعـن طريقـه عـرف الكثـير عـن المنطقـة، كمـا أنـه بـث العيـون بـين القبـائل لمعرفـة المزيـد، ولـذا وضـع فـى مخططـه منـذ البدايـة العمـل علـى استمالة مـايمكن مـن القبـائل إلى جانبـه، بأسـلوب بـذل الأمـوال والأعطيـات والهدايـا، وقـدم مـع الحملـة لهـذا الغـرض[1] ابـن المحروقـى كبـير التجار فى القـاهرة، ومعـه مجموعـة ممـن يجيـدون التعـامل مـع الأعـراب.

ويبـدو أن القيـادة فـى الدرعيـة لم تكـن لديهـا المعلومـات الاسـتطلاعية الكافيـة عـن تحركـات محمـد علـى، متـى تبـدأ، وعلـى أيّ السـواحل يكـون نزولها؟. لـذا أخـذت تـترقب، ثـم غلـب علـى ظنهـا أن الـنزول سـيكون فـى جـدة، لـذا أمـر الامـام سـعود ابنـه عبـد الله بقيـادة بعـض القـوات، والـنزول بوادى فاطمـة بـين مكـة المكرمـة وجـدة[2].

--ومعروف أن قوات محمـد علـى التى قدمـت إلى الجزيـرة العربيـة كـانت تتكـون مـن جنسـيات مختلفـة كالأتراك والأرناؤوط، والألبان، والمغاربة وغيرهم، ولم يكن بها أحد من المصريين، لأن محمـد علـى لم يعتمـد على المصريين فى جيوشه إلا بعد توقيع معاهدة ١٨٤٠م. انظر الجبرتى ج٤، ص٢٤١-٢٤٥.

[1] محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٣٠، د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٣٠٤،٣٠٥، حيث استند إلى وثائق محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، تشير صراحة إلى استجلاب قلوب القبائل والعشائر الموجودة باقليم الحجاز، وان البعض استجاب لذلك.

[2] ابن بشر، ج١، ص٣٢٩، ووادى فاطمة كان يعرف فيما مضى باسم: مرّ الظهـران. وهـو جنـوب غـرب مكـة بحوالى ثلاثين كيلو متراً فى الطريق إلى جدة.

وصلت السفن التى تقل الجنود إلى ينبع البحر، التى لم تكن بها إلا قوة يسيرة فتغلبوا عليهم، واستولوا عليها أوائل شوال ١٢٢٦هـ، ثم وصلت القوات القادمة بالبر، ومعها طوسون فتقدموا إلى ينبع النخل[١] فاستولوا عليها بعد مقاومة أميرها من قبل الدرعية الشريف جابر بن جبارة، فى ٢١شوال ١٢٢٦هـ، ثم تقدموا إلى الصفراء والجديدة فى ١٧ذى القعدة، وبلغ خبر نزول الحملة واستيلائها على ينبع النخل إلى القيادة العامة فى الدرعية، فأعلنت النفير العام، فتحول الأمير عبد الله بن سعود بمن معه من قوات من معسكره فى وادى فاطمة إلى وادى الصفراء شرق ينبع[٢] للتصدى لهذه القوات، ومنعها من التقدم نحو المدينة المنورة،

---

[١] سماها الجبرتى "ينبع البر" وقال: وأنهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية، وتسمى قرية السويق. انظر: محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٣٠، والشريف جابر بن جبارة العباش، كان أميراً على ينبع النخل للامام سعود، وابنه الامام عبد الله، وأبلى بلاء حسناً فى محاربة جيوش محمد على باشا. ابن بشر، ج١، هامش ص٣٦٢.

[٢] قال البكرى فى كتابه معجم ماستعجم، ج٣، ص٨٣٦: الصفراء قرية فوق ينبع، كثيرة المزارع والنخيل، وماؤها عيون، يجرى فضلها إلى ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، والصفراء على بُعد يوم من جبل رضوى فى جهة الغرب منه وتبعد عن المدينة المنورة بحوالى ١٤٠كيلومتر، ويسكنها جهينة والأنصار وغيرهم، وبها مات عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكانت قد قطعت رجله يوم بدر، فرحل إليها مرتثئاً، قالت هند بنت أثالة بن عبيدة بن عبد المطلب ترثيه:

وقد ضمنوا الصفراء مجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلاً وارف اللب والعقل

وقد زارها ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة، وهو فى طريقه إلى المدينة المنورة. رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٧٨.

ولحق بالأمير عبد الله كثير من أهل نجد والمناطق الأخرى[1] فنزل بهم الأمير عبد الله "الخيف" من وادى الصفراء، والتقى الجمعان فى عدة معارك كانت نهايتها. وقوع هزيمة فادحة بجيش طوسون، تشتت على إثرها قواته، وسارع بعضهم بالفرار إلى ميناء البريكة جنوب ينبع، وركبوا السفن ـ التى أعدت بها من قبل احتياطيا ـ وعادوا بها إلى مصر، وغنم جيش الأمير عبد الله كثيراً من أسلحتهم وامتعتهم. ويقول ابن بشر: إن قتلاهم أكثر من أربعة ألاف رجل، وقتل من المسلمين من جميع النواحى نحو ستمائة رجل، منهم مقرن بن حسن بن مشارى بن سعود، وسعد بن ابراهيم بن دغيثر، وبرغش بن بدر الشبيبى العتيبى، وهادى بن قرملة رئيس قحطان، ومانع بن كرم رئيس عبيدة .. وغيرهم ممن عدّد أسماءهم، وكانت هذه الموقعة فى العشر الأواخر من ذى القعدة ١٢٢٦هـ[2] ولنقرأ بعضاً مما كتبه الجبرتى عن هذه الموقعة، نقلاً عمن شاهدوها وشاركوا فيها، ثم هربوا إلى مصر عقب الهزيمة:

---

[1] شارك فى هذه الموقعة قوات مثلت معظم أقاليم الدولة السعودية، جنود كل أقليم تحت رئاسة أمير الإقليم، والجميع تحت قيادة الأمير عبد الله بن سعود، الذى جعل أخاه فيصل بن سعود، وحباب بن قحيطان المطيرى قائدين لجناحى الفرسان، ووزع مهمة المشاة على القواد الآخرين.

[2] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٢-٣٢٦، ومما يؤيد رأى ابن بشر فى أن عدد قتلى جند طوسون يزيد عن أربعة آلاف رجل، أن الجبرتى فى ج٤، ص١٣٨، ذكر أن طوسون أحصى جنده عقب المعركة، فوجدهم ثلاثة ألاف جندى فقط، من بين ثمانية ألاف قدم بهم، ولو قدرنا أن الفارين إلى مصر عقب المعركة يقرب من الألف، فيكون الأحياء أربعة آلاف، والموتى مثلهم. وهم مجموع جيشه الذى قدم به، وهذا يعطينا دليلاً على هول الهزيمة وفداحتها فى تلك المعركة.

فى ٢٥ذى الحجة ١٢٢٦هـ (١٠ ينـاير ١٨١٢م) وصلـت قافلـة مـن السويس، بصحبتهم مكاتبات، وأخبروا أن جيش طوسون ارتحـل مـن ينبـع البر (النخل) فى ١٣ذى القعدة، ووصلوا إلى منزله بالصفراء والجديدة، ثم نصبوا خيامهم بالقرب من الجبال، وارتقت بعض الجنود إلى قمم تلك الجبال، فوجدوا بها متاريس وأحجاراً (يبدو أن الأمير عبد الله كان قد سبق إلى المنطقة، ووضع عناصر استطلاعية متقدمة على قمم تلك الجبال) فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه، ثم أخذوا متراساً آخر، حتى صعدوا إلى قمم الجبال فهالهم كثرة الجيش الذى بصحبة الأمير عبد الله، وقامت اشتباكات فى أعلى الجبال استمرت يوماً وليلة إلى مابعد الظهر من يوم الأربعاء ٢٣ذى القعدة، وسارت الخيالة فى مضيق من الجبال، ثم ماشعر الجنود الذين بأسفل الوادى إلا والعساكر الذين فى أعلى الجبالى، هابطون منهزمون، فأنهزموا جميعا، وولوا الأدبار، وتركوا خيامهم وأحمالهم واثقالهم، وطفق الجنود المنهزمون ينهبون ماخف عليهم من أمتعة رؤسائهم، والقوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف. ويأخذ دابته ليركبها، وربما قتله فى سبيل ذلك .. وسار بعضهم إلى ساحل البريكة، لأنهم كانوا قد أعدوا بها عدداً من المراكب من باب الاحتياط، ووقع الرعب فى قلوبهم، واعتقدوا أن القوم ـ أى القوات السعودية ـ فى اثرهم، والحال أنه لم يتبعهم أحد، لأنهم لايذهبون خلف الُدْبر (أى المنهزم للنجاة، وهو مبدأ إسلامى معروف: لاترفع السيف علــى مَنْ لاسيف لـه، ولاتتبع المنهزم) ويواصل الجبرتى وصفه فيقول: .. ولو تبعوهم لما أبقوا منهم شخصاً واحداً .. وحدث هرج وفزع عند ركوب السفن فى البريكة، حتى أنهم

كانوا يتقاتلون على الأسراع فى ركوبها، وبعضهم يخوض فى البحر إلى رقابه، وكأنما العفاريت فى آثارهم تريد أن تتخطفهم. وكثير من العساكر والخدم، لما شاهدوا الازدحام فى البريكة على السفن، ذهبوا مشاة إلى ينبع البحر، وسار بعض الخيالة إلى المويلح راجعين لمصر، وعاد طوسون إلى ينبع البحر بعد أن تغيب يوماً عن معسكره، حتى أنهم ظنوه قد مات. ورجع ابن المحروقى وغيره من كبار الحملة و لم ينتظروا إذن الباشا (أى محمد على) فى رجوعهم إلى مصر، وبعضهم رجع عن طريق القصير.. ولما عادوا طفق بعضهم يتهم البعض الآخر فى أسباب الانهزام، ويكيلون التهم لبعضهم البعض، وقال لى بعض أكابرهم، من الذين على شئ من الصلاح والتورع: أين لنا النصر؟ وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لايتدين بدين، ولاينتحل مذهباً، وبصحبتنا صناديق المسكرات، ولايسمع فى معسكرنا آذان، ولا تقام فيه فريضة، ولايخطر فى بالهم شعائر الدين، أما القوم (السعوديون) فتقام فى معسكرهم الفريضة، فإذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد، بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائم، أذن المؤذن، وصلوا صلاة الخوف .. وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته[1].

ولاريب أن الجبرتى أعطى وصفاً دقيقاً ومحايداً عن معركة الصفراء، كما أعطى بعض اللمحات عن اتباع الدعوة الإصلاحية، والتزامهم بآداء

---

[1] محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٣٠-١٣٥، فيما نقله عن الجبرتى، ج٤، ص١٣٧، ١٣٨.

الفريضة التى شرعها الله، وعلى الوجه الـذى بيّن سبحانه وتعالى كيفية آدائها فيه، أثناء الحرب، فى القرآن الكريم[1] أعطانا الجبرتى لمحة يسيرة عن اتباع الدعوة، وأخرى عن خصومها "الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس .." [2] وعقب تلك الهزيمة التى مُنِىَ بها طوسون سارع فى الكتابة إلى أبيه يصف له الموقف، ويطلب نجدة، فبعث له القائد أحمد بن نابرت الخازندار على رأس قوة ضخمة، مجهزة بالأسلحة والمعدات والتموينات، اتجهت إلى المنطقة عن طريق البر فى صفر١٢٢٧هـ (١٨١٢م).

ويبدو أن الأمير عبد الله بن سعود، توقع عند انهزام قوات طوسون، وسرعة عودتها إلى الساحل فى ينبع والبريكة، أنها ربما تركب السفن وتتجه إلى جدة، ولو تتبعها لعرف الحقيقة، وأنها من أثر الفزع والرعب، وكان بمقدوره أن يقضى عليهم، ولايبقى منهم شخصاً واحداً، كما يقول الجبرتى، لكن جنده انشغلوا بجمع الغنائم والأسلاب ولأن هذه المعركة كانت أواخر ذى القعدة، وكان من المقرر أن يذهب والده الإمام سعود إلى آداء الفريضة موسم عام ١٢٢٦هـ، فخشى الأمير عبد الله أن يركبوا السفن، وينطلقوا إلى جدة، ويذهبوا إلى مكة المكرمة وقت الحج، ووالده يقود الحجيج لهذا الموسم، لذا سارع بالتوجه إلى مكة، ومعه معظم القوات والقيادات، فأدوا الفريضة وبعدها عسكر بموضعه السابق ــ وادى فاطمة ــ لبعض الوقت فى انتظار المغيريين، لكن المغيرين لم يغيروا خطتهم،

---

[1] فى سورة النساء، آية ١٠٢.

[2] سورة الانفال، آية ٤٧.

من حيث الزحف نحو المدينة المنورة عندما وصلت إليهم الامدادات، ومحاصرة القوات التى كانت فيها، والتى دافعت عنها ببسالة قبل استسلامها فى ذى القعدة ١٢٢٧هـ[1] فأقبل الأمير عبد الله بقواته إلى شرق المدينة المنورة، بغرض استدراج طوسون إلى هذه المنطقة، واستنزاف قواته فى صحرائها، ثم الاجهاز عليها، لكن قوات طوسون لم تتقدم شرق المدينة المنورة.

وعقب انسحاب قوات الأمير عبد الله من معسكره بوادى فاطمة، كتب طوسون إلى الشريف غالب طالباً منه المساعدة فى استيلاء بعض قواته على مرفأ جدة، فاستجاب، فدخلت بعض القوات البحرية، والبرية جدة يوم ١٢محرم ١٢٢٨هـ (١٥يناير ١٨١٣م) وتيسر لها الزحف نحو مكة والاستيلاء عليها أواخر محرم[2]. بمساعدة بعض قبائل البادية التى أغراها بريق المال، وترتب على ذلك أن قامت القيادة السعودية باجراء تعديل على خطتها، تهدف إلى استدراج قوات طوسون إلى الداخل، حيث الصحارى والوديان، التى تعتبر جديدة عليهم، لم يتعودوا الحرب فيها، بالاضافة إلى إبعادهم عن مراكز تموينهم وامداداتهم، ثم طول ووعورة خطوط مواصلاتهم، مما يسهل الايقاع بهم، والقضاء عليهم،

---

(١) وقبضوا على أمير المدينة المنورة من قبل الإمام سعود وهو الشيخ حسن قلعى، وعلى مسعود بن بلوى بن مضيان رئيس قبيلة حرب، أرسلوها إلى مصر ثم إلى استانبول، ابن بشر ج١، ص٣٢٩، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٥٠، ١٦٣.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٠، ٣١١.

وقاد الامام سعود القوة الرئيسية واتجه صوب الحناكية في شهر ربيع ١٢٢٨هـ، لمهاجمة القوة التي تود التحرك نحو نجد، كما قاد ابنه الأمير فيصل جانباً آخر من القوات اتجه به إلى جنوب تربة، لوضع القوة الزاحفة بين شقي الرحى، لكن فيصل أسرع واشتبك مع القوة الزاحفةنحو نجد، وكانت تحت قيادة كل من مصطفى بك رئيس الفرسان والشريف راجح ابن مساعد، وأنزل بها هزيمة ساحقة، أما الامام سعود فلما وصل إلى الحناكية، كانت مجموعة من قوات طوسون بقيادة عثمان الكاشف قد استولت على حصنها، فحاصرهم الامام سعود حتى طلبوا الأمان، فأمنهم الامام سعود، وشرط عليهم أن يخرجوا ويسيروا نحو العراق حتى لاينضموا مرة أخرى إلى طوسون، ثم عهد إلى محمد بن علي أمير حائل أن يصحبهم حتى يبلغوا مأمنهم في طريقهم إلى العراق، وواصل الامام سعود سيره نحو المدينة المنورة، وماحولها حتى الصفراء، وقام بتأديب بعض القبائل التي تعاونت مع طوسون، ثم عاد إلى المنطقة فيما بين مكة ونجد[1] وقد ترتب على هزيمة قوات طوسون في الجبهتين أن سارع بارسال خطاب إلى أبيه يخبره فيه بموقفه الصعب، والهزائم التي لحقت بقواته عند تربة، وأنه لايعرف مصير الحامية التي كانت في الحناكية بقيادة عثمان الكاشف، وانه يخشى أن ينقلب العربان عليه، وطلب سرعة ارسال نجدة، وعلى إثر ذلك قرر محمد علي الحضور بنفسه إلى الحجاز، وعهد بادارة مصر إلى ولديه

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٣٣٢-٣٣٣.

ابراهيم واسماعيل في ٢٨شعبان ١٢٢٨هـ (٢٥/٨/١٨١٣م) [(١)] وكان طوسون عندما رأى أن موقفه صار مهدداً، فكر في عقد صلح ينقذ به موقفه واعتبر نفسه أنه قد حقق نسبة كبيرة من مهمة الحملة ـ والمتمثلة في إعادة نفوذ الدولة العثمانية على أرض الحرمين الشريفين ـ وكاتب الأمير عبد الله بن سعود بهذا الشأن، لكن وصول أبيه إلى الحجاز جعله يعرض عن إتمام هذا المشروع[(٢)] ثم عاد طوسون وطرحه بعد عامين تقريباً، وبالغ هو وأبوه في وضع شروط الصلح، مما جعل الامام عبد الله ـ الذى كان قد آل إليه الأمر بعد وفات أبيه ـ يرفضه[(٣)].

كان الإمام سعود الكبير مع علمه وورعه رجل حرب، متمرساً عليها منذ صغره، ولديه الموهبة لإدارة حرب الصحراء بكفاءة عالية، لذا وضع في مخططه من البداية استدراج قوات طوسون إلى قلب الصحراء، لاستنزافها ومن ثم القضاء عليها، وعهد إلى ولديه عبد الله وفيصل بقيادة جناحي الجيش السعودى، عبد الله في شرق المدينة المنورة فيما بينها وبين القصيم، وفيصل شرق مكة والطائف، ومع كل منهما بعض رجالات آل سعود ومجموعة من القواد السعوديين بجنودهم من كافة البلدان والمناطق، وكان هو على رأس قوة لمساندة أحد الجناحين فيما لو احتاج إلى مدد، والقضاء على أى تقدم لقوات طوسون نحو نجد، ولذا فإنه سارع إلى

---

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٢-٣١٣.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٣.

(٣) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٣.

الحناكية عندما سقطت فى أيدى عثمان الكاشف، واستخلصها وبعث به وبمن معه إلى جهة العراق، كما سبق أن ذكرنا.

وعقب معركة الصفراء التى حلت فيها هزيمة ساحقة بقوات طوسون، وقتل فيها ضمن من قتل اثنان من أكبر قواد عسير: هادى بن قرملة رئيس قحطان، ومانع بن كرم أحد رؤساء عبيدة[1] ونظراً لتحول معظم قوات طوسون إلى منطقة مكة المكرمة فإن قوات عسير وجازان تحولت بالتالى للانضمام إلى الجناح السعودى الذى يقوده الأمير فيصل بن سعود فى الطائف وتربة. وقاموا بدور كبير فى إلحاق الهزيمة بقوات مصطفى بك والشريف راجح عند تربة فى شعبان ١٢٢٨هـ[2] بالتعاون مع بقية إخوانهم تحت قيادة الأمير فيصل، مما صعب من مهمة طوسون فبعث إلى أبيه مستنجداً. ويبدو أنه كان قد تشكلت فى هذا الجناح السعودى، كتيبة من الفرسان سريعى الحركة، بقيادة عثمان المضايفى، وطامى بن شعيب وحاولوا استرداد الطائف، ونجحوا فى الاستيلاء على بعض نواحيها، ونزلوا قصر بسل[3] غير أن طوسون دفع بقوات كثيرة إلى الطائف منعت تقدمهم، واضطرتهم إلى الانسحاب، وفى حال انسحابهم قبضوا على القائد عثمان المضايفى فى ١٠ رمضان ١٢٢٨هـ وأرسل إلى

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٣٢٦، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١٠٠.

[2] ابن بشر، ج١، ص٣٣٤.

[3] قصر كان قد بناه الامام سعود فى وادى بسل شرقى الطائف.

مصر، ومن هناك إلى استانبول، فقتل هناك، وكان الامام سعود أرسل من يفتديه بالمال فرفضوا فداءه وفك أسره[1].

ونتيجة لاستنجادات طوسون بأبيه، قرر محمد على الحضور إلى الميدان بنفسه لادارة المعركة، لأنه أحس بأن خصمه ليس سهلاً، بالرغم من كثرة الرجال وضخامة المعدات التى دفع بها إلى المنطقة، فخرج من القاهرة إلى الحجاز عن طريق السويس فى ١٤شوال سنة ١٢٢٨هـ (١٠/١٠/١٨١٣م) وأخذ فى وضع الخطط، لاستمالة شيوخ القبائل[2] وجعل مدينة جدة المستودع الرئيسى لعتاد الحملة، ورتب الوسائل الكفيلة بنقل هذا العتاد إلى الميدان، واستأجر عشرين سفينة لمدة عام من سلطان مسقط للعمل على نقل المعدات والتموينات والرجال من مصر إلى المنطقة، وغير ذلك من ترتيبات، وفى ذى الحجه سنة ١٢٢٨هـ قبض على الشريف غالب حليفه بالأمس لخشيته من نواياه، وعلى والى جدة، وبعثهما إلى مصر، ثم إلى استانبول[3] وعيّن خلفاً له ابن أخيه الشريف

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٣٣٤-٣٣٦. وهامش تلك الصفحات ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٤٨-١٥٠،١٦٣.

[2] محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٤١،١٤٢،١٤٧، ويقول د.عبد الرحيم، ص٣١٤، أنه وصل إلى جدة أول رمضان ١٢٢٨هـ.

[3] وظل الشريف غالب مقيماً فى سلانيك، هو وأولاده إلى أن توفى بها عام ١٢٣٢هـ (١٨١٦م) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٥،٣١٦، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٤،١٥٧، واسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٥٥-١٥٧،١٦٠، وفيه أن عزل الشريف غالب كان فى ذى القعدة ١٢٢٨هـ، وأورد المعلق روايات عن وفاته: قيل عام ١٢٣٠هـ، وقيل: ١٢٣١هـ، وقيل: ١٢٣٢هـ، حسب الرواية--

يحيى بن سرور بـن مساعد، لأنه رأى فيه الانقياد والإفادة له أكثر من أخيه عبد الله بـن سرور ذى المطامح الواسعة، وأيضاً الشريف راجح الذى كانت مطامحه أكبر وأوسع، وكان من نتيجة هذا العزل والاختيار أن دخل الشك فى نفوس الأشراف من نوايا محمد على تجاههم، وبات معظمهم لايأمنه، لأنهم توقعوا أن يحدث لهم مثلما حدث للشريف غالب، فهرب يحي بن مساعد إلى تهامه، ثم تمرد الشريف راجح ضده، وانضم إلى القوات السعودية، بأتباعه ورجاله، مما كان له الأثر السئ على محمد على[1] وزاد موقفه سوءاً عندما أراد أن يوسع منطقة نفوذه على الساحل جنوباً، بغرض تفتيت جهود الجبهة السعودية الصامدة أمامه، والتى تمنع تقدمه تجاه تربة، فبعث قوة بحرية عام ١٢٢٩هـ للاستيلاء على القنفذة، ومنها تتقدم جنوباً وشرقاً نحو جازان وعسير. فتصدت لها قوات من قبائل عسير وجازان تحت قيادة طامى بن شعيب، وألحقت بقواته هزيمة كبيرة، واستولت على أسلحتها وتموينناتها التى كانت قد أنزلتها إلى البر فى

=عاليه، وان الدولة العثمانية كانت قد فوضت محمد على فى اختيار وتعيين من يراه من الأشراف، فعين أخاه الشريف يحي بن سرور بن مساعد، واستمر فى هذا المنصب إلى أن وقعت خصومه بينه وبين الشريف شنبر بن مبارك تصاعدت إلى أن دفع بعض خدمه لقتل الشريف شنبر عند الصفا، عقب صلاة العصر يوم ٢٨شعبان ١٢٤٢هـ، فتم عزله من منصبه، وعين بدلاً منه الشريف محمد بن عون، وهو من فرع العبادلة، وذاك من ذوى زيد، واستمرت بعد ذلك فى العبادلة، الذين كان آخرهم الشريف على بن الحسين، الذى غادر الحجاز على يد الملك عبد العزيز.

[1] اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٥٨،١٥٩، وابن بشر، ج١، ص٣٣٨،٣٣٩، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٦٠، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص١٥٠،٣١٦، وفيه أن محمد على عين الشريف راجح بدلاً من الشريف غالب، وليس ذلك صحيحاً.

القنفذة، وهرب من نجا منهم فى السفن عائداً إلى جدة[1] مما حدا بمحمد على إلى إعادة النظر فى خططه، بالعمل على جذب أكبر عدد ممكن من قبائل الحجاز إلى جانبه، وعقد تحالفات مع بعضها، وبعث يطلب إمدادات ومؤناً من مصر ومن ثم التركيز بشكل أكبر على المنطقة الجنوبية[2] وفى تلك الأثناء تصدع جانب كبير من الجبهة السعودية، بوفاة القائد الفذ الإمام سعود الكبير، بعد مرض لازمه عدة أشهر، وذلك فى ١١جمادى الأولى ١٢٢٩هـ (أبريل ١٨١٤م) الذى يعد أقوى قادة الدولة السعودية الأولى، وخلفه ولىّ عهده، وأكبر أبنائه الإمام عبد الله[3] و لم تكن له خبرة أبيه الحربية أو الإدارية.

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٣٤٠، ٣٤١، ٣٦٧، ود.عبد الرحيم، ج١، ص٣١٦، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٦٢، ١٦٣.

[2] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٧، ٣١٨، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص١٥٨.

[3] ولد الامام سعود بن عبد العزيز فى الدرعية عام ١١٦٥هـ، وتولى بعد أبيه عام ١٢١٨هـ، وانجب من الأبناء اثنى عشر ولداً، أكبرهم عبد الله الذى تولى الحكم بعده، ثم فيصل، وابراهيم، وتركى ـ ماتوا فى الدفاع عن الدرعية عام ١٢٣٣هـ ـ وناصر، مات فى حياة أبيه، ومشارى الذى فر من حرّاسه بالقرب من وادى الصفراء، وعاد إلى نجد عام ١٢٣٥هـ، وحكم الدرعية، لكن عبوش أغا القائد التركى قبض عليه، وسجنه فى عنيزه حتى مات فى سجنه، ثم سعد، وفهد، وعمر، وعبد الرحمن، وحسن، وخالد، وهؤلاء نقلوا إلى مصر بأولادهم وماتوا بها، فيما عدا خالد الذى دفع به محمد على مع اسماعيل أغا من مصر، وعززهما بخورشيد باشا، ليتولى فى نجد باسم محمد على، فرفضه أهل نجد، وثاروا عليه وعلى من معه عام ١٢٥٧هـ، فهرب إلى الأحساء، ثم إلى جدة فمات بها حوالى عام ١٢٦٥هـ. انظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، آل سعود، ص١٥، ١٦، وليس صحيحاً ماذكره أحمد عسة فى كتابه " معجزة فوق الرمال" ص١٦ من أن الأمير عبد الله ابن محمد بن سعود، والد الامام تركى، والذى يعتبر بمثابة جد الامام عبد الله بن سعود لأنه عم أبيه سعود بن عبد العزيز، من أنه نازع الامام عبد الله بن سعود فى الحكم عقب وفاة أبيه، ذلك لأن الحرب القائمة بينهم--

رأى محمد على أهمية المنطقة الجنوبية المحيطة بمكة المكرمة بالنسبة لموقفه الحربى فى منطقة مكة، لاحتمال أن تقوم القوات السعودية الموجودة فى تلك المنطقة بتطويق قواته فيما لو تقدمت شرقاً نحو نجد، فعمل على تطهير بلاد زهران وغامد من القوات التى تهدده. وبعث لهذا الغرض قوات يقودها عابدين بك إلى وادى زهران فى جمادى الآخرة ١٢٢٩هـ، استطاعت تطويق حصن "بحروش علاش"[١] لكن القوات السعودية بقيادة طامى بن شعيب استطاعت فك الحصار، واتخذت موقف الهجوم وألحقت الهزيمة بقوات عابدين بك التى انسحبت عائدة إلى الطائف، تاركة خلفها الكثير من المعدات والذخائر، ثم طاردت قوات عابدين حتى الطائف، وسارعت فى عمل حصار حول الطائف، وكان بالطائف ذاك الوقت طوسون الذى أصبح محاصراً، ولما سمع والده بحصاره وهو فى جدة، أقبل مسرعاً، وفك الحصار بحيلة انطلت على بعض القوات السعودية، ففكوا الحصار، وتراجعوا عن الطائف[٢].

تأكد محمد على من أهمية المنطقة الجنوبية، وخطورتها على قواته بصفة عامة، لاسيما وانه وصلته أوامر من الباب العالى فى ٣ربيع

--وبين محمد على باشا، لاتجعله يفكر فى هذا الأمر، و لم يشر أحد من المؤرخين إلى هذا حتى أن مؤلف كتاب "لمع الشهاب" وهو كتاب مناوئ للدعوة والدولة السعودية، وكان معاصراً لتلك الأحداث، يقول، ص١٢٠: إن ولده الكبير عبد الله، ولى عهده، لم يكن حاضراً فى الدرعية وقت وفاة أبيه، ولما سمع حضر بعجلة، وقد استمر أمره فى الحكومة من غير مخالفة أحد له من أهل مملكته.

(١) حصن كان يقع فى بلاد زهران أطلق عليه اسم شيخ قبيلة زهران.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٨، وابن بشر، ج١، ص٣٦٨،٣٦٩.

١٢٣٠هـ تحثه على ماكان يفكر فيه من حيث تصفية تلك المنطقة من القوات السعودية، ليسهل عليه بعد ذلك التقدم لمهاجمة الدرعية، وهو مأمون الظهر، خشية أن تقوم القوات السعودية الموجودة بتلك المنطقة من تطويق قواته الزاحفة، والحيلولة بينها وبين اتخاذ خط الرجعة فيما لو تأزم موقفها، ومحاصرتها، ومنع الامدادات عنها، ومن ثم القضاء عليها[١] ويبدو أن محمد على كان يفكر جدياً فى هذا الموضوع، لأن عقب انتهائه من موسم حج عام ١٢٢٩هـ[٢] قام بتعديل خطته على هذا الأساس، وقرر أن يقود بنفسه هذه الجبهة بداية عام ١٢٣٠هـ، للاستحواذ على المنطقة الجنوبية بكاملها ـ جازان وعسير ونجران ـ فبعث ابنه طوسون فى ١٣ذو الحجة ١٢٢٩هـ، ليتولى القيادة فى الجبهة الشمالية، ومقرها المدينة المنورة، لمواجهة القوات السعودية من أهل نجد والقصيم وحائل والمنطقة الشرقية، التى كان يقودها بنفسه الامام عبد الله[٣] كما أرسل حسن باشا وأخاه عابدين بك كطلائع له، فى الجبهة الجنوبية، فتقدما وعسكرا فى "الكلخ" فيما بين الطائف وتربة، فى مواجهة الجبهة التى يقودها الأمير فيصل بن سعود أخو الامام عبد الله. ومعه بعض قبائل وبلدان نجد، وكافة قوات الجنوب التى يقودها طامى بن شعيب، وخلال هذه الفترة كان محمد على

---

[١] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٠، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٧١.

[٢] وفد هذا الموسم كما يقول ابن بشر ج١، ص٣٧٠ الحاج الشامى والمصرى، وكما يقول الجبرتى حجت هذا العام زوجة محمد على أم أبنائه، ووفد حجاج كثيرون من استانبول وبقية ولاياتها، بعد أن بلغهم عودة الحرمين إلى نفوذ الدولة العثمانية.

[٣] ابن بشر، ج١، ص٣٦٩.

قـد استطاع استمالة الشريف راجح، فانحـاز إليـه، فبعثـه مـع حسـن باشـا إلى الكُلْخ على أسـاس أن لـه درايـة بمنـافذ ومسـالك المنطقـة الجنوبيـة (عسـير وحـازان) وأيضـاً الاستفادة منه فـى العمـل علـى كسـب ولاء القبـائل عـن طريق بـذل الأمـوال[1].

تقـدم محمـد علـي علـى رأس قواتـه مـن الطـائف، واحتـل وادى ومرتفعـات "بسـل" بـالقرب مـن الطـائف شـرقاً[2] يـوم ٢٦محـرم ١٢٣٠هـ (١٨ ينـاير ١٨١٥م) فـى بدايـة زحفـه إلى تربـة، إلا أن الأمـير فيصـل بـن سعود، القـائد السعودى لتلـك الجبهـة، لم يمهـل محمـد علـى للمسير إلى تربـة، فسـارع والتقـى بـه فـى وادى بسـل ودارت بينهمـا عـدة معـارك عنيفـة، استمرت يومـين، كـانت نتيجتهـا النهائيـة تفـوق قـوات محمـد علـى بما لديهـم مـن أسـلحة حديثـة وبـالحيل والمنـاورات، فـأنهزمت القبـائل أمـام فاعليـة تلـك الأسـلحة، وبـدلاً مـن أن تـتراجع إلى معسـكرها فـى تربـة، الـذى كـانت رابضـة فيـه قبـل المعركـة، إذا بهـا تنسـحب إلى مواطنهـا، وعندمـا رجـع الأمـير فيصـل بمـن ثبـت معـه إلى مقـره فـى تربـة، لم يجـد بهـا إلا القليـل مـن قواتـه، فانسـحب إلى رنيـة ليتخـذ منهـا خـط دفاعـه الأول، إلا أن معظـم قـواده رأوا انسـحاب

---

[1] محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٦٩،١٧١،١٧٤، وفيه أنه تم القبض على الشريف راجح وارسل إلى مصر فى ١٧رمضان ١٢٣٠هـ. وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٦، ونفح العود، ص٢٩٠،٢٩١، وفيه: كُلاخ، بدل: كُلخ.

[2] كان عثمان المضايفى ـ قبل القبض عليه ـ قد أقام حصناً على مرتفعات وادى بسل، ومنه كان يشن هجماته على قوات طوسون، عندما تقدمت واحتلت الطائف.

كـل منهـم إلى موطنـه ليجمـع قواتـه، متوقعـين أن محمـد علـى سـيتوقف مكانــه طالما أنـه لايجـد أمامـه قـوات تحاربـه، وبذلـك خـلا الطريـق أمـام محمــد علــى، فأنتهزهـا فرصـة وواصـل زحفــه إلى تربــة فأحتلهــا بعــد مقاومــة يســيرة مــن أهلها، وقـرر مواصلـة زحفـه إلى عسـير[1] فاسـتولى فـى طريقـه علـى رنيـة وبـلاد زهـران وغـامد، ثـم بيشـة، وتبالـة، وبـلاد شـهران وغيرهــا مــن بلــدان عســير الشـمالية ـ الشـرقية منهـا والغربيـة ـ متغلبـاً علـى المقاومـة التـى واجهتــه وهــى مجـزأة ومفتتـة، حتـى وصـل إلى قلـب عسـير فقابلـه طـامى بـن شـعيب بمـن استطاع جمعهـم مـن قبـائل عسـير، مقسـماً قواتـه إلى ثلاثـة أقسـام، قسـم يقـوده ابـن عمـه عـوان المتحمـى ويحي بـن شـعيب ومقـره قريـة الطلحـة ببــلاد ربيعــة رفيـدة، وقسـم يقـوده محمـد بـن احمـد الرفيـدى، للدفـاع عـن حصـون طبـب، والقسم الثـالث تـولى هـو قيادتـه ومعـه كـل مـن: سـعيد بـن مسلّط، وعلـى بـن مجثّـل، ويحي بـن مرعـى، ومحمـد بـن دهمـان وغـيرهم، وقــد اتخــذوا مواقعهــم فـى رؤوس الجبـال، ومضـايق الأوديــة، وعندمــا تقدمــت قــوات محمـد علــى انزلـوا بهـا هزائـم متتاليـة، إلا أنهـا مـاتلبث عقـب كـل هزيمـة أن تسـتتر خلــف أسـلحتها التـى كــان لهــا الأثــر الفعــال فـى الميـدان، والصمــود فــى أغلــب المعـارك، وشـارك محمـد علـى جنـوده النصـب والتعـب كـى يبعـث فيهـم العزيمـة والصمـود، حتـى استطاعوا فـى النهايــة أن يتغلبـوا علــى الطلحــة، ويسـتولوا علـى حصـون طبـب، ويوقعــوا الهزيمـة بمـن نـزل إليهـم مـن رؤوس الجبــال،

---

[1] لقد بعث محمد على رسالة إلى السلطان بتاريخ ٧صفر ١٢٣٠هـ يصف له فيها معركة تربة، ويوضح له اعتزامه الزحف إلى عسير، وان ولده طوسون الموجود فى المدينة المنورة، سيزحف إلى الحناكية، ثم القصيم وحيل شمر.

وعندها فرّ طامى بن شعيب إلى تهامة بقرية "مسلية" فى أعلى وادى بيش بجازان، وكان بها حصن له وبها بعض أتباعه، ثم قُبِض عليه بحيلة فى ربيع الأول ١٢٣٠هـ، وسُلّم إلى محمد على، فبعث به إلى مصر ومنها إلى استانبول[١] فتولى قيادة المقاومة بعده فى عسير ابن عمه محمد بن أحمد المتحمى، الذى هادن محمد على فترة إلى أن تمكن فقاد ثورة ضد حكمه[٢].

وكان محمد على أثناء تحركه من تربة إلى عسير، قد بعث قوة بحرية استولت على القنفذة وما حولها، واصبحت الميناء الرئيسى الذى يمد قواته بالتموين والمعدات خلال حربه فى عسير، ومنه أركب طامى بن شعيب ليسافر بحراً إلى مصر[٣] وبذلك هدأت المقاومة فى عسير وألمع، وكان الشريف حمود ونائبه الحسن بن خالد مازال يهيمن على معظم جازان من أبو عريش جنوباً حتى الحديدة وبيت الفقيه، ودخل فى عدة حروب مع

---

[١] انظر فيما سبق: ابن بشر، ج١، ص٣٧٠-٣٧٥، والجبرتى، ج٤، ص٢٣٢-٢٣٥، ود. أبو داهش، المصدر السابق، ص٢٦،٢٧، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٩،٣٢٠، ونفح العود، ص٢٩١،٢٩٢، ود.منير العجلانى، تاريخ البلاد العربية السعودية، ص٣٩-٤٩، والدكتور عبد المنعم ابراهيم الجميعى، عسير خلال قرنين، ص٥٨-٦١، وفى المصادر المحلية أن الذى قبض على طامى بن شعيب، بحيله هو الشيخ حسن بن خالد الحازمى، وسلمه لمحمد على، بينما يقول الجبرتى فيما نقله عنه محمد أديب غالب، ص١٧٢، إن الشريف راجح هو الذى أوقع به، وسلمه إلى محمد على.

[٢] د.أبو داهش، المصدر السابق، ص٢٧، ود.العجلانى، المصدر السابق، ص٢٩-٥٢.

[٣] عبد الله بن مسفر، السراج المنير فى سيرة أمراء عسير، ص٧٠،٧١، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٠.

إمام صنعاء خلال هذه الفترة[1] و لم يستطع إمام صنعاء استعادتها، ولما قدم محمد على إلى المنطقة بعث إليه حمود يهادنه ويظهر ولاءه للدولة العثمانية، لذا اعتبره محمد على موالياً للدولة العثمانية و لم يتقدم بجيوشه نحو أبو عريش أو غيرها مما يبسط عليها الشريف نفوذه جنوباً حتى الحديدة، ثم عين محمد على باشا أحد رجاله أميراً على عسير، وجعل مركزه مدينة "طبب" وسار بمعظم قواته إلى عقبة "تيّه" قرب حدود عسير الجنوبية، ثم إلى القنفذة عائداً إلى جدة بالبحر، وعين حسن باشا أميراً على جدة، وقائداً للجبهة الجنوبية التى تقابل منطقة مكة، وكان ابنه طوسون قائداً للمنطقة الشمالية التى تقابل منطقة المدينة المنورة، ثم بلغ محمد على نبأ مؤامرة تحاك ضده فى مصر للاستيلاء على الحكم، وقيل: بلغه خبر هروب نابليون بونابرت من منفاه بجزيرة "ألبا" فخشى أن تكون مصر هدفاً لحملة فرنسية جديدة يقوم بها نابليون، لذا أسرع بالعودة إلى مصر من طريق جدة فى ٥ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ (٢٠ مايو ١٨١٥م)[2].

وقيل إن محمد على قبل عودته إلى مصر أوصى ابنه طوسون، بأن يظل فى الحناكية ولايتقدم نحو نجد، إلا أن طوسون شعر بأن والده

---

[1] من بينها وقعة قرية مختارة عام ١٢٢٩هـ، وهى قرية سبق أن بناها حمود بجهة بلاد بنى قيس، للاقامة فيها، نفح العود، ص٢٨٢،٢٨٣، وهامش ص٢٩٣.

[2] ابن بشر، ج١، ص٣٧٦، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص١٧٣، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢١، وابن مسفر، المصدر السابق، ص٧١، وقد سافر محمد على من جدة إلى القصير، ثم منها إلى القاهرة فوصلها فى ١٥ رجب ١٢٣٠هـ (٢٣يونير ١٨١٥م)

يشكك في مقدرته العسكرية، فأراد أن يثبت كفاءته، فتقدم واحتل بلدتي "الرّس" و"الخبرا" بممالأة من بعض أهلهما وبعض القبائل المجاوره لهما[1] فسارع الإمام عبد الله يقود جموعاً من أهل نجد والقصيم وحائل والحسا ووادى الدواسر وغيرهم، وقاتل طلائع طوسون والقبائل الموالية له، ووقعت بين الطرفين عدة معارك فيما حول الرّس، ويبدو أن طوسون أحس بصعوبة موقفه وبخطئه في تقدمه نحو نجد، فأخذ في مراسلة الإمام عبد الله لإمكانية عقد صلح، ودارت بينهما مفاوضات حول مشروع الصلح، وذهب وفد سعودى إلى مصر في شوال ١٢٣٠هـ (سبتمبر ١٨١٥م) يضم كلاً من: عبد الله بن محمد بن بنيان، والقاضى عبد العزيز ابن حمد بن ابراهيم[2] ليتفاوض مع محمد على مباشرة، وتوقف القتال على الجبهات في شعبان ١٢٣٠هـ، انتظاراً لنتيجة تلك المفاوضات، التي تعثرت بسبب تعنّت محمد على في شروط الصلح، وكان طوسون قد اضطر إلى سحب قواته من الرس وعاد إلى المدينة عند سفر الوفد إلى القاهرة، ومن المدينة كتب إلى والده يأذن له في العودة إلى مصر لمرضه فأذن له[3] وتولى المهمة بعده أخوه ابراهيم باشا، ويبدو أن طوسون كانت

---

(1) ابن بشر، ج١، ص٣٧٦، ود. العجلانى، المصدر السابق، ص٥٤-٥٦.

(2) ويذكر الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، محقق كتاب ابن بشر عند ذكر هذا الوفد (ص٣٧٨-٣٧٩) أن الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم هو سبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أى ابن بنته، وهو من بنى عمومة الشيخ، توفى في سوق الشيوخ بالعراق التى رحل إليها بعد تخريب الدرعية.

(3) ابن بشر، ج١، ص٣٧٨،٣٧٩، والجبرتى، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٤، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٣،٣٢٤، د.العجلانى، المصدر السابق، ص٥٧-٥٨.

لديه الرغبة فى وضع حدّ لهذه الحروب، مكتفياً بما حققه خلالها، ولذا انسحب من الرّس إلى المدينة المنورة، وغالب الظن أن الامام عبد الله كانت له أيضاً النية الصادقة فى إكمال هذا الصلح ووضع حدّ لهذه الحروب، لكن محمد على كانت له نويا أخرى، اكتشفها ابنه طوسون بعد عودته إلى مصر، وكان الوفد السعودى مازال فيها[1].

وعلى كل فإن مقتضيات منهج البحث لهذه الدراسة تلزمنا بتتبع الأحداث التى أعقبت وجود قوات محمد على باشا فى المنطقة المعنية بالدراسة لنتعرف على مدى ثبات أو تغير الولاء فى المنطقة خلال هذا الوجود الأجنبى، بالرغم من أنه كان وجوداً اسمياً فى معظم الأحيان، وان هناك مناطق فى عسير ظلت بمنأى عن نفوذ محمد على إبان هذا الوجود.

يبدو أن محمد على عندما قرر غزو عسير، بعث إلى الشريف حمود ــ الذى يتظاهر بالمودة لمحمد على إتقاءً لشره ــ مندوباً اسمه "يوسف أغا" يطلب من حمود المؤزارة ضد العسيريين، والدولة السعودية بصفة عامة، فتعلل حمود بقلة إمكاناته، فواصل المندوب سيره إلى صنعاء، فأحسن الإمام استقباله، لكنه اعتذر بلطف عن المشاركة فى محاربة نجد، أو عسير، وأمر بتوجيه بعض السفن الصغيرة التى كانت بحوزته، إلى محمد على

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٣٨٣،٣٨٤، ود.العجلانى، المصدر السابق، ص٥٧-٦٨، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص١٧٤،١٧٧، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٤-٣٢٦.

لتساعد فى نقل الجنود والمعدات فى البحر الأحمر[1] ثم كانت واقعة تسليم طامى بن شعيب لمحمد على لإزالة أى شك فى نواياه من جهة حمود، وتأكيداً لطاعته للدولة العثمانية، وأردف ذلك بمكاتبات وهدايا إلى محمد على، من بينها مكاتبة يطلب منه أن يرد بعض المناطق والأراضى إلى نفوذه، منها جزيرة فرسان، ودرب بنى شعبة، ورجال ألمع، فبعث إليه محمد على يطمئنه، ويطلب منه عدم الاتصال برجالات الدولة السعودية، وعدم الاستبداد فى الحكم[2].

وبذلك سلمت المنطقة الممتدة من أبو عريش وما يحوزتها ثم جنوباً حتى الحديدة، من دخول قوات محمد على باشا إليها، خلال هذه الفترة، على اعتبار أن حاكمها موالٍ للدولة العثمانية ولو إسمياً، واستمر الوضع كذلك حتى أوائل عام ١٢٣٣هـ، حين أعلن حمود تمرده على الدولة، ودخل معها فى حروب أصيب أثناءها بجروح، ثم توفى يوم ١٤/٣/١٢٣٣هـ (١٨١٨م)[3] فبعث وزيره الحسن بن خالد خطاباً إلى الامام عبد الله بن سعود، يفيده فيه بوفاته، وان قبائل المنطقة بتهامة وعسير مازالت على ولائها وطاعتها للامام عبد الله، وإلى جانبه فى العسر واليسر، مؤكداً على استمرارية الولاء بالرسائل المتبادلة بينه وبين القيادة

---

[1] د.العجلانى، المصدر السابق، ص٣٥. ويقال إن محمد على استأجر تلك السفن.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٢،٤٧٣.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٦، ومحمد غالب، ص١٨٤، وبعض الوثائق بدار الوثائق القومية بالقاهرة بالمحفظة بر بحرا، منها الوثيقة رقم ١٣،٦٣،٦٦،٨١،١٢١،١٤١.

في الدرعيـة[1] ومما يلاحظ أن هـذه المكاتبـة كـانت قبيـل حصـار ابراهيـم باشـا للدرعيـة بحوالى شـهرين. ومنـه يستفاد بـأن الـولاء ظـل مسـتمراً، وإن خفتـت جذوته أحياناً بسبب الجفـاء والخـلاف الـذى وقـع بـين حمـود وبـين بعـض قـادة عسـير، والتـى كـانت تعتـبر خلافـات شـخصية بدليـل التغـاضى عنهـا، والتجمـع لمواجهة الغـزو الخـارجى، حـين تـاكدوا أنـه يهـدف إلى اسـتئصالهم جميعـاً.

تـولى أحمـد بـن حمـود الأمـر بعـد أبيـه، وسـار على نهجـه فـى معاداتـه للدولة العثمانيـة، فزحـف إليـه خليـل باشـا الـذى قـاد حملـة إلى عسـير فـى صفـر ١٣٣٤هـ (١٨١٨م) بعـد فراغـه مـن عسـير، واسـتطاع انـتزاع المنطقـة التـى يهيمـن عليهـا أحمـد بـن حمـود ــ وهـى أبـو عريـش ومـا بحوزتهـا وجنوبـاً حتـى الحديـدة[2] ــ وكـان يرافقـه فـى حملتـه الشـريف علـى بـن حيـدر[3] فـولاه علـى أبـو عريـش ومـا بحوزتهـا ثـم جنوبـاً حتـى الزيديـة[4]، علـى أن يخضـع لحـاكم عـام الحجـاز، أمـا المنطقـة جنـوب الزيديـة حتـى الحديـدة فقـد فـاوض بشـأنها

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٨-٤٧٩، وقد اورد نص الخطاب الذى يعتبر وثيقة تاريخيـة هامـة، حيـث ذكر فيه اسماء كثير من البلدان والقبائل التى مازالت على عهدها وطاعتها بالرغم من الاضطهاد والدمـار الـذى لحقها على أيدى قوات محمد على.

[2] أسير أحمد بن حمود أثناء هذه الحملة، وأرسل إلى مصر فمات فيها عام ١٢٣٥هـ (١٢٠م).

[3] الشريف على بن حيدر الذى كان يتولى حكم المخلاف قبل الشريف حمود، ابتداء من عام ١٢٠٥هــ ثـم تنـازل عنه لصالح عمه حمود عقب معركة الحجرين عام ١٢١٦هـ، ثم وقع خلاف بينهما، فارقـه علـى إثـره علـى بـن حيدر، ثم هادن محمد على حتى ولاه تلك المنطقة، وظل يحكمها حتى وفاته عام ١٢٥٤هــ، فتولاهـا ابنـه مـن بعده.

[4] الزيدية: ناحية المنيرة من قراها بلدة المهجم الخربة حالياً، والتى كان قتل فيها الصليحى حوالى عام ٤٧٣هـ، وهى تسقى من وادى سردد، وكانت فى بداية الاسلام تعتبر من توابع ولاية مكة المكرمة.

إمام صنعاء، بأن يسلمها إليه مقابل دفع جباية سنوية للباب العالى، فقبل الإمام ذلك، فسلمها إلى مندوبيه ليديرونها، ثم عاد خليل باشا إلى جدة فى ذى القعدة ١٢٣٤هـ (١٨١٩م) [1] واستمر الوضع فى المنطقة هكذا حتى حركة " تركجة بيلمز"[2] التى استولى فيها على المنطقة التى سُلّمت من قبل إلى إمام صنعاء ـ وهى من الزيدية إلى الحديدة بالاضافة إلى المخا ـ فأعيدت إلى إدارة على بن حيدر، الخاضع لحاكم عام الحجاز[3] واستمر يديرها ثم من بعده ابنه حسين بن على بن حيدر إلى عام ١٢٦٤هـ الذى ناوأ الدولة، ثم زهد فى الحكم بعد وقوع حروب بينه وبين إمام صنعاء، فزحف توفيق باشا ومعه الشريف محمد بن عون وتسلم تهامة اليمن[4] من الأمير حسين بن حيدر فى ذلك العام. ثم تسرب النفوذ العثمانى بعد ذلك إلى أرض اليمن فى فترات متلاحقة.

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٥٠٤-٥٠٦، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٥٥،٥٦،١٩٨،١٩٩.

[2] تركجة بيلمز، كان أحد رؤساء الجند غير النظاميين بقوات محمد على فى الحجاز وكانوا من الألبان، فأعلن تمرده على القيادة هو ومن معه ـ يقال بتحريض من الانجليز ـ ثم استولى على بعض السفن من ميناء جدة واتجه بها إلى الحديدة فى ٣٠ ربيع الثانى عام ١٢٤٨هـ، واستولى عليها وعلى ماحولها شمالاً حتى حدود ولاية على ابن حيدر، ثم لما بعثت إليه الدولة حملة للقضاء عليه عليه استطاع الهرب باحدى السفن البريطانية من ميناء المخا.

[3] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٧١-١٨٦،٢٠٥، والعقيلى، ج١، ص٤٨٢.

[4] أى جنوب الزيدية حتى الحديدة.

أما عسير فقام زعماؤها: محمد بن أحمد الرفيدى المتحمى[1] وسعيد ابن مسلّط[2] وعلي بن مجثّل[3] وعائض بن مرعى[4] بالتوالى بقيادة ثورات متوالية ومتصلة الحلقات ضد قوات محمد على باشا، والتف حولهم زعماء قبائل وبلدان عسير، حتى صارت عسير مصدر قلق وازعاج لمحمد على منذ أن نزلت قواته إليها عام ١٢٣٠هـ، وظل يرسل إليها الحملات المتتابعة فى محاولة للقضاء على الثورات المتأججة ضده[5] واستعمال أساليب العنف والقسوة حيناً واللين أحياناً أخرى، حتى اضطر أحمد باشا يكن حاكم عام الحجاز إلى عقد صلح عام ١٢٥٦هـ، مع الأمير الذى آل إليه الأمر أخيراً فى عسير، وهو عائض بن مرعى، الذى عاصر قيام الدولة السعودية فى دورها الثانى[6] وذلك الصلح كان الطرف الآخر فيه هو

---

[1] محمد بن أحمد، هو ابن عم طامى بن شعيب، تولى القيادة فى عسير بعد القبض على طامى عام ١٢٣٠هـ، حتى أواخر عام ١٢٣٤هـ، حين قبض عليه وأرسل إلى مصر.

[2] سعيد بن مسلط، تولى القيادة بعد محمد بن أحمد عام ١٢٣٤هـ، ثم شاركه فيها على بن مجثل، حتى وفاته الطبيعية فى صفر ١٢٤٢هـ.

[3] على بن مجثل هو ابن عم سعيد بن مسلط، وأخوه لأمه، شارك سعيد فى قيادة الثورات فى عسير ضد قوات محمد على، واستطاع التوسع بالاستيلاء على تهامة اليمن حتى الحديدة عام ١٢٤٨هـ، توفى فى محرم، وقيل ١٢ شوال ١٢٤٩هـ (٢٢ فبراير ١٨٣٤م).

[4] عائض بن مرعى المغيدى، من بنى عمومة على بن مجثل، تولى القيادة بعده بوصية منه عام ١٢٤٩هـ حتى وفاته الطبيعية عام ١٢٧٣هـ، وهو المؤسس الأول لإمارة آل عائض فى عسير.

[5] عن هذه الثورات تفصيلاً انظر: د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٣٣-١٦٧.

[6] توجد بدار الوثائق القومية بالقاهرة مجموعة كبيرة من الوثائق تناولت الفترة السابقة التى تحدثنا عنها، أورد بعضها الدكتور عبد الرحيم فى كتابه "محمد على وشبه الجزيرة العربية" ج١، الذى رجعنا إليه.

الشريف محمد بن عون شريف مكة، حسب ماكانت تقتضيه الظروف الدولية وقتها.

والواضح من وقع الأحداث أن قيام أهل عسير برفض حكم محمد على باشا، واشعالهم ثورات متوالية ضده، إنما يعود إلى عدة أسباب ياتى فى مقدمتها تشبعهم بمبادئ الدعوة السلفية، ووفائهم وولائهم لأئمة آل سعود، والأنفة من الخضوع للأجنبى.

خلال هذه الفترة كانت الدولة السعودية فى دورها الثانى قد عادت إلى سابق عهدها على يد تركى بن عبد الله (١٢٤٠هـ ــ ١٢٤٩هـ)[1] فوصل زعماء عسير صلاتهم بالدرعية، وفاء منهم، وتأكيداً لولاء غير معلن رسمياً، تجنباً لمزيد من الاستعداء والبطش من عدوهم بل إن ذلك الولاء المعلن إسمياً للدولة العثمانية ممثلة فى شخص محمد علي، لم يكن فى كل الأوقات، ولافى جميع المناطق المعنية بهذه الدراسة، ولاتلهج به ألسنة كافة المواطنين، وإنما الغالب هو السخط وعدم الرضا تجاهه.

---

[1] الامام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود (الذى ينسب إليه آل سعود) ابن محمد بن مقرن بن مرخان المريدى، والامام تركى هو جد الأسرة السعودية الحاكمة حالياً، وهو مؤسس الدولة السعودية فى دورها الثانى، تولى الحكم عام ١٢٣٩هـ حتى آخر عام ١٢٤٩هـ (١٨٢٤م - ١٨٣٤م) فتولى الحكم بعده ابنه الامام فيصل بن تركى جد الملك عبد العزيز.

الفصل الرابع

علاقة المناطق بالدولة السعودية الثانية

لقد عمت الفتن والاضطرابات بلدان نجد عقب الانهيار السياسى الذى لحق بالدرعية على يد ابراهيم باشا فى ٨ذى القعدة ١٢٣٣هـ (٩سبتمبر ١٨١٨م) و لم يقدر لهذا الانهيار أن يدوم طويلاً، لأن مقومات نهوض الدولة مرة ثانية كانت متوفرة بصورة فعالة وواضحة، إذ أن الأسس التى بنيت عليها فى المرة الأولى مازالت فى معظمها قائمة، ويأتى فى مقدمتها الإيمان الراسخ بمبادئ الدعوة السلفية، التى غيرت المجتمع النجدى، إلى مجتمع مُتوحد ومُتّحد، قلباً وقالباً، يُكنُّ الولاء ويحفظ الوفاء لحكامه من آل سعود الذين تبنوا نشر تلك الدعوة، والجهاد فى سبيلها، ولمس الجميع من قبل نعمة الرخاء التى أفاءها الله عليهم، بسبب مناصرتهم لدين الله، والسير فى ركاب من يناصرونه، لذا لم يستجب معظمهم لاغراءات محمد على، و لم يخضعوا للعسف الذى مارسه جنوده، بل قاوموا وطالت أنفاسهم فى ميادين المجالدة والمقاومة، حتى حولوا الأرض إلى نار مستعرة، لايقر لغزاتهم فيها قرار[1] وتمكن تركى بن عبد

---

[1] كتب التاريخ مليئة بألوان من تلك المقاومة، مثل تاريخ ابن بشر، والجبرتى، ود.عبد الرحيم عبد الرحمن، وغيره، وكذا كثير من الوثائق العثمانية، بدار الوثائق القومية بالقاهرة، واستانبول.

الله من تملك زمام تلك المقاومة، حتى استطاع بعد جهاد طويل من إعادة الكيان السياسى للدولة السعودية فى دورها الثانى، متخذاً من الرياض عاصمة لها بدلاً من الدرعية، وبايعه أهلها بالإمامة عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) [1] ودخلت بقية بلدان نجد بعد ذلك فى طاعته، واعاد نفوذ الدولة السعودية إلى الأحساء، والبحرين، وساحل الخليج جنوباً حتى عُمان، وأعاد علاقته وصلته بزعماء وأمراء كل من منطقتى عسير وجازان، تلك العلاقة التى تنم عن الوفاء والولاء للدولة السعودية الثانية فى كافة أطوارها.

تلاحقت الحوادث والوقائع فى كل من عسير السراة وتهامة عسير خلال الفترة من عام ١٢٣٠هـ (١٨١٤م) الذى حلت فيه قوات محمد على بالمنطقة، حتى عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) وهو العام الذى انسحبت فيه قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن التى أصدرتها الدول الأوربية، بشأن تحجيم قوة محمد على. وشهدت المنطقة ثورات متتابعة ضد قوات محمد على، كما شهدت صراعاً بين زعمائها فى بعض الأحيان، بغرض دعم مركز كل منهم، لكن الحقيقة المستخلصة من استقراء تلك الوقائع تشير إلى أن الولاء إن لم يكن يهدف

---

[1] بدأ الامام تركى تزعم المقاومة لقوات محمد على، وأيضاً لبعض القوى المحلية، كمحمد بن مشارى بن معمر، عام ١٢٣٧هـ، كما يقول ابن بشر، ج٢، ص٢٤، حتى استطاع التغلب على خصومه، وبايعه الناس بالإمامة عام ١٢٤٠هـ، وتوجد تفاصيل عديدة فى كتب التاريخ لهذه الفترة حتى استشهاده يوم الجمعة آخر ذى الحجة عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م).

إلى الاستقلال الذاتى، فإنه كان يتجه فى معظمه صوب الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية، وهو وإن لم يكن معلناً فى بعض الأحيان مخافة المزيد من استعداء الخصوم، فإنه كان ولاء خفياً فى معظم الأحوال، لايجهر به إلا عند اللزوم، أما ماكان يعطى من ولاء لمحمد على فى بعض الأحيان، فإنه كان من باب المداراة وسد الذرائع، أو لكسب منفعة مؤقته اقتضتها الظروف.

فإمارة كل من: عبد الوهاب بن عامر المتحمى (١٢١٧هـ — ١٢٢٤هـ) وطامى بن شعيب (١٢٢٥هـ — ١٢٣٠هـ) ومحمد بن أحمد المتحمى (١٢٣٠هـ ـ ١٢٣٣هـ) على عسير كانت بتعليمات مباشرة من الدرعية، وإمارة سعيد بن مسلط (١٢٣٩هـ ـ ١٢٤٢هـ) وعلى بن مجثل (١٢٤٣هـ ـ ١٢٤٩هـ) كانت بالتزكية من ذوى الرأى، والتوصية من الأمير السابق، وقد أظهر كل منهما الموالاة لآل سعود، وإمارة عائض بن مرعى المغيدى (١٢٥٠هـ ـ ١٢٧٣هـ) كانت بعهد من سالفه الأمير على ابن مجثّل. ثم رشح الأمير عائض للإمارة أحد رَجُلَيْن أحدهما ابنه محمد.

وإذا كان من مصداقية الدعوى إثبات البيّنة لدعم حجيتها، واستعراض الأدلة المؤيدة لصحتها، فى ساحة الادعاء أو المناظرة، فمن المناسب قياساً على هذا تصفح بعض الشواهد التاريخية والوثائقية التى تشير إلى هذا الولاء، بشكل مباشر أو غير مباشر. بغرض تنبيه الباحث فحسب إلى هذه الحقيقة.

فمن هذا القبيل في عهد الدولة السعودية الثانية:

- وثيقة عثمانية[1] عبارة عن رسالة بتاريخ ٧ربيع الأول ١٢٤٠هـ من أحمد باشا يكن - محافظة مكة المكرمة وحاكم عام الحجاز - إلى محمد على باشا، يصف فيها الوضع في عسير، ويتهم فيها سعيد بن مسلّط بأنه يراسل تركي بن عبد الله، لتنسيق جهودهما، والتعاون فيما بينهما لإنزال الهزيمة بعدوهم المشترك (أي قوات محمد علي) وأن كثيراً من قبائل عسير تؤازر سعيد ابن مسلّط في هذا. وأن تركي بن عبد الله أرسل من قبله شيخاً مرعى الجانب للتفاهم مع سعيد حول وسائل التعاون بينهما.

- الأمير على بن مجثّل عاصر معظم عهد الإمام تركي بن عبد الله، وتوفيا في عام واحد[2] وكان ابن مجثل مُشْبَعاً بمبادئ الدعوة السلفية[3] واستمر على عهد سلفه في الصلة بالإمام تركي من أجل التنسيق في مواجهة العدو المشترك، واستطاع أن يمد نفوذه خارج حدود عسير في بعض الأحيان، فاستولى على تهامة اليمن حتى الحديدة والمخا أوائل عام ١٢٤٩هـ، ونلحظ أن المؤرخ النجدي ابن بشر يورد هذا الخبر بشيء من الاعتزاز

---

[1] الوثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٩) بحر برا، برقم (٦٦) وتاريخ ٧ربيع الأول ١٢٤٠هـ، ٣٠ أكتوبر ١٨٢٤م.

[2] توفي ابن مجثل في ١٢شوال ١٢٤٩هـ، والامام تركي في الجمعة الأخيرة من ذي الحجة نفس العام.

[3] العقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٥٣٥.

والمباهـاة، نظـراً لانتصـار اتبـاع ابـن مجثـل علـى الـترك، ويعنـى بهـم قـوات محمـد علـى باشـا[1] كمـا يـورد تـاريخ وفـاة ابـن مجثـل[2] علـى أنـه مـن الأبطـال والشـخصيات المرموقـة.

- الأمـير عـائض بـن مرعـى المغيـدى، الـذى عهـد إليـه سـلفه علـى بـن مجثـل بالإمـارة، استمر أيضـاً علـى عهـد سـلفه فـى الصلـة بأئمـة آل سـعود. وعقـب انتصـاره فـى إحـدى المعـارك علـى قـوات محمـد علـى باشـا عـام ١٢٥١هـ، بعـث مندوبيـه إلى الريـاض، يحملـون بشـائر النصـر والهدايـا إلى الإمـام فيصـل بـن تركـى، كمـا بعـث خمـس الغنـائم التـى غنمهـا فـى حروبـه، ومعهـا قصيـدة للشـيخ علـى بـن الحسـين الحفظـى يذكـر فيهـا مفـاخر قومـه، ومـا حققـوه مـن انتصـارات[3] وفعـل ذلـك أيضـاً عندمـا انتصـر علـى القـوات العثمانيـة عـام ١٢٦٩هـ[4] ثـم صفـا لـه الوضـع فـى عسـير بانسـحاب قـوات محمـد علـى مـن شـبه الجزيـة العربيـة عـام



---

[1] ابن بشر، ج٢، ص٩٢،٩٣.

[2] ابن بشر، ج٢، ص٩٥.

[3] على عبد الله عسيرى، المصدر السابق، ص٨٥،٨٦.

[4] ابراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص١٠، وانظر أيضاً بدار الوثائق القومية بالقاهرة: محفظة (٢٥١) عابدين، وثيقة (١٣٣) بتايخ ٢٥ صفر ١٢٥١هـ (٢٢يونيه ١٨٣٥م)عبارة عن رسالة من ابراهيم توفيق باشا إلى محمد على.

١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن[١] وعُقِد صلح بينه وبين الشريف محمد بن عون أمير مكة، على إيقاف الحرب وإبقاء الوضع على ماهو عليه في عسير.

- تشير بعض الوثائق إلى أنه خلال حروب محمد علي في عسير، كان قد عيّن في إحدى الفترات الشريف محمد بن عون أميراً عليها عام ١٢٣٧هـ[٢] فأساء التصرف في إدارته، فذهب البعض من أهل عسير ونجران يشكونه إلى محمد علي، ويطلبون منه عزله عنهم، وتعيين حسين المكرمي اليامي[٣] بدلاً منه، وجاءفي مبررات ترشيحهم له لتولى هذا الأمر: هو أنه غير خاضع ولامطيع لإمام اليمن[٤].

ولاريب أن هذا المطلب كان من بعض الزعماء الذين هادنوا محمد على في بعض الأحيان، دون الذين استمروا في ممالأته ومعاداته، سواء في عسير أو نجران، لكنه يعطى في الوقت نفسه مؤشراً بعدم الموالاة في

---

[١] وقعت معاهدة لندن في ١٥جمادى الأولى عام ١٢٥٦هـ/١٥يوليه ١٨٤٠م، من جانب كل من بريطانيا، روسيا، النمسا، بروسيا والدولة العثمانية، ضد محمد على.

[٢] الشريف محمد بن عبد المعين بن عون، بعد أن عزله محمد عن إمارة عسير، استدعاه للاقامة في القاهرة، ثم استصدر مرسوماً من الباب العالى بتعينه بإمارة مكة المكرمة في ذى القعدة ١٢٤٢هـ، وهو من فرع العبادل المنافسين لذوى زيد، واستمر حتى عام ١٢٦٧هـ ثم عين مرة أخرى عام ١٢٧٢هـ حتى وفاته عام ١٢٧٤هـ.

[٣] حسين بن حسين بن على المكرمى اليامى، أحد زعماء اليامبين في ذاك الوقت توفى عام ١٢٤١هـ.

[٤] دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١٠) معية تركى، وثيقة رقم (٨٠) بتاريخ غرة ربيع الثانى ١٢٣٧هـ/٢٦ ديسمبر ١٨٢١م. والوثيقة رقم (٣٦٨) بتاريخ ٢٣ ذى الحجة ١٢٣٧هـ/١٠ سبتمبر ١٨٢٢م.

المنطقتين لإمام صنعاء خلال هذه الفترة، وانه عندما قامت الدولة السعودية فى دورها الثانى، وأستتب الأمر فيها، وخفت وطأة وسطوة محمد علي عن المنطقة، وبخاصة بعد عام ١٢٥٦هـ[1] أقبلت وفود من أهل نجران إلى الامام فيصل بن تركى مطالبة إياه بتجديد عهد الامام سعود (الكبير) إليهم، وتأكيده لهم، معلنين طاعتهم وولاءهم، فحرر لهم عهداً هذا نصه[2]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركى إلى من يرى هذا الكتاب.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد: ألفا (أى قدم) علينا حسن بن أحمد بن منيف، وحسين بن مانع بن جابر، وبأيديهم خط (كتاب) من مانع بن على بن جابر، وعزان بن حسين بن بنيان، وانهم مفوضيهم عن أنفسهم، وعن رفاقهم أهل نجران، إلى حالهم، وطلبوا منا يكون الحال منا ومنهم واحد على طاعة الله ورسوله، وإن حنا (نحن) مانصافى لهم عدّو، ومن بغى (اعتدى) عليهم، وطلبوا منا النفعة (المساعدة) ماندخرها عنهم بجنود المسلمين، وصار العدو واحد، والصديق واحد، وأعطيناهم على هذا عهد الله وأمانه، والله على ذلك كفيل، ولهم

---

[1] وهو العام الذى انسحبت فيه قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية، تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن.

[2] صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٣٩٧. نقلنا نصه، وشرح المؤلف لبعض العبارات كما هى.

علينـا إن شـاء الله الإكـرام والإعـزاز، والقيـام بواجبهـم، ومـن حالـه حـالهم، وطوارفهـم (توابعهـم) آمنـة فـى بلـدان المسـلمين، لهـم مـالهم، وعليهـم ماعليهم، وصلـى الله علـى محمـد وآلـه وصحبـه وسـلم.

الخـاتم: فيصـل بـن تركـى

١٢ شـعبان ١٢٧٩هـ.

ومـن خـلال استقراء الوثـائق العثمانيـة[1] أثنـاء فـترة وجـود قـوات محمـد علي فـى شبه الجزيـرة العربيـة، وحتـى فيمـا بعـد ذلـك، فإنهـا تؤكـد أن الدولـة العثمانية ـ ممثلة فـى شـخص محمـد علي ـ كـانت تعتـبر كـلا مـن منطقـة عسـير وجـازان امتـداداً طبيعيـاً وسياسـياً لإمـارة مكـة المكرمـة، وكـانت تتعـامل معهمـا على هـذا الأسـاس، وأن نجـران كـانت أحيانـاً تعتـبر امتـداداً لعسـير عندمـا يصـل نفوذ الدولة إليها، مـع أن امتـداد ذلـك النفـوذ كـان فـى حـالات نـادرة.

وأن الامتــداد الإدارى فـى تهامــة امتــد إلى مــاهو جنــوب جــازان، فشـمل الحديـدة والمخـا وتعـز والعُدَيـن فـى معظـم الأوقـات التـى وجـدت فيهـا

[1] الوثائق العثمانية للعهد الذى نتناوله بالدراسة، توجد فى كل دار الوثائق القومية بالقـاهرة تحت مسمى "محافظ الحجاز" وهى عديدة، وكذا بالارشيف العثمانى باستانبول، تحت مسمى أوراق يلدز، وهمـايون (أى أرشيف الباب العالى) وغيرها.

قوات محمد على فى المنطقة، وعند انسحابها[1] سلمت البلاد التى كانت بحوزتها من تهامة اليمن ـ أى جنوب الزيدية حتى الحديدة والمخا وتعز ـ إلى أمير أبو عريش الشريف حسين بن على بن حيدر، الذى كان موالياً لها فى البداية ثم انقلب عليها قبيل الانسحاب، لكنها لم تجد مفراً من تسليمها إليه بدلاً من إمام صنعاء، وأيدته استانبول وشرطت عليه أن يدفع مبلغا من المال سنوياً، وأن يقيم الخطبة للخليفة، ويرتبط بأمير مكه ووالى جدة، كما سلمت ماكان بحوزتها من بلدان عسير إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون، وقد وقع هذا صلحاً مع ابن عائض على وقف الحرب بينهما، ويقر كل منهما الآخر على ماتحت يده[2].

ومن المؤشرات على مانحن بصدده، مما وقع قبيل نهاية الدولة السعودية الثانية، إبان الخلاف الذى حدث بين الامام عبد الله بن فيصل، وأخيه الامام سعود بن فيصل، عندما خرج مغاضياً لأخيه، فذهب إلى محمد بن عايض أمير عسير، يستعديه على أخيه الامام عبد الله، فلم يستجب له، لأن آل عايض كانوا موالين لآل سعود ذاك الوقت[3]، ولذا فإن ابن عايض وقف موقف الناصح الأمين، ونصح سعود بلزوم الجماعة،

---

[1] أصدر محمد على قرار انسحاب قواته من شبه الجزيرة العربية، ومن كافة أملاك الدولة العثمانية، تحت ضغط الدول الأوربية فى ١٣ذى الحجة ١٢٥٥هـ/١٧فبراير ١٨٤٠م، و لم يبدأ الانسحاب الفعلى إلا فى شهر صفر ١٢٥٦هـ نظراً لأهمية عمل الترتيبات والحماية اللازمة للقوات عند انسحابها.

[2] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٢١٨-٢٢٠، ود.أباظة، الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م، ص٤٢،٤٣.

[3] أمين الريحانى، نجد وملحقاته، ص٩٨.

وحثه على عدم النزاع والشقاق. ولو لم يكن لديه وفاء وولاء لما وقف هذا الموقف.

ولما اشتدت حدة الصراع بين الأخوين، توزعت القبائل في المنطقة بينهما، فكانت قبائل يام بنجران تكن الوفاء والطاعة للإمام عبد الرحمن ابن فيصل[1].

وتفيد بعض الروايات أنه بعد احتلال الانجليز لعدن عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) خرج إلى اليمن أحد أشراف الحجاز ويدعى السيد اسماعيل، وكان من أنصار الدعوة السلفية، ومتأثر بها إلى درجة بعيدة، فاستنهض همم الناس في عسير وماحولها، للجهاد في سبيل الله، واستخلاص عدن من قبضة الانجليز، وانضم إليه كثير من أهالي لحج، ثم هجموا على الانجليز في عدن، فقابلهم الانجليز باطلاق المدافع والبنادق حتى انهزموا وتفرقوا، وأن ذلك الرجل توجه بعد ذلك ومعه بعض أصحابه إلى أبين[2].

من جانب آخر كان إمام صنعاء قد خشي من تقدم قوات ابراهيم يكن باشا إلى صنعاء، بعد استيلائها على تعز والعُدين عام ١٢٥٣هـ، فبعث إلى أخيه أحمد يكن باشا حاكم عام الحجاز، يعرض عليه الصلح، ويعلن ولاءه، فلم يستجب له، وعند انسحابها عام ١٢٥٦هـ لم يطالب

---

[1] راشد بن على الحنبلي، مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، ص٥٣.

[2] أباظة، المصدر السابق، ص٤٠.

إلا بعودة كل من تعز والعُدين[1] اللتين استولى عليهما مؤخراً ابراهيم باشا، أما الحديدة شمالاً إلى بداية إمارة أبو عريش، فقد كانت بعيدة عن سلطة ونفوذ الأئمة منذ عهد الدولة السعودية الأولى، ولذا لجأ الامام إلى بريطانيا - التي كان لها وجود من قبل في عدن - يطلب منها مساعدته في استرداد هاتين المنطقتين - تعز والعدين - من الشريف الحسين بن حيدر، فلم تساعده في ذلك[2] لأن من سياستها ذاك الوقت عدم اقحام نفسها في النزاعات المحلية بوسط شبه الجزيرة العربية.

وتشير بعض التقارير[3] حول حادث "المخا"[4] الذى استغلته بريطانيا للحصول على مزيد من النفوذ في المنطقة، حين حاصرت ميناء المخا، بأسطولها، وضربت المدينة بالمدافع عام ١٢٣٥هـ، (١٨١٩/١٢/٢٦م) وفاوضت إمام صنعاء لفرض شروطها عليه، فأجابهم الامام: بأن هذا الاقليم يقع تحت هيمنة سلطان آل عثمان، وانه والٍ معيّن عليه من قبل السلطان، وذلك منذ أن سلمه إليه خليل باشا عام ١٢٣٤هـ،

---

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٢١٦-٢١٨.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٣) الأرشيف العثماني، بحث رقم ٣٩٥٢، أوراق يلدز، قسم١٨، أوراق ١٤١-٥٥٣. ظرف ٣٤/٩٣. غير مؤرخ. -(٥)

(٤) يتلخص حادث المخا، من أن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت قد سعت إلى اقامة وكالة لها في بندر المخا، ليشرف على الأعمال التجارية الخاصة بها، وحدث في عام ١٢٣٣هـ (يوليو ١٨١٧م) أن رفض أحد التجار العرب المتعاملين مع الوكالة الخروج منها لحين الحصول على مستحقاته، فأبعده حراسها الهنود التابعين لها، بالقوة من المبنى، مما آثار ذلك بعض الأهالي فتجمهروا وأهانوا ضباطها البريطانيين، ثم قام حاكم المخا العربي باستدعاء رئيسهم وأهانه، فاستغلت الحكومة البريطانية هذا الحادث بعد عامين من وقوعه.

لكنهم لم يسمعوا لقوله، وفرضوا عليه شروطهم، والتى من بينها تخفيض الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية. وكانت بريطانيا قد أجرت قبل ذلك اتصالات بمحمد على تستأذنه، وتوضح له هدفها من حصار ميناء المخا، وأنه ليس غرضها احتلال البلدة، وإنما اجبار الحاكم على تقديم ترضية مناسبة للضابط الذى أهين، وعلمت من محمد علي أن تلك المنطقة سلمت إلى الامام ليديرها مقابل كمية معينة من محصول البن كخراج يدفع سنوياً للباب العالى.

فى ثنايا تداعيات النزاع على منصب الإمامة فى صنعاء، حدث أن خرج محمد بن يحي[1] على الامام المنصور على بن المهدى[2] لكنه لم يفلح فهرب إلى مصر يستعدى حاكمها على الإمام المنصور، غير أنه لم يستجب له، فأقبل إلى الشريف الحسين بن على بن حيدر أمير أبو عريش، الذى كان نفوذه يمتد من أبو عريش وجنوباً حتى تعز وباجل، فأكرمه ووعده بالوقوف معه، ثم ساعده فى الاستيلاء على صنعاء وتقلّد منصب الإمامة عام ١٢٦١هـ، ثم مالبثت العلاقات أن توترت بينهما، وتصاعدت حتى أدت إلى نشوب الحرب، حين زحف ابن يحي إلى تهامة اليمن لاستخلاصها من ابن حيدر، ناقضاً الاتفاق الذى كان قد تم بينهما من قبل بأن يكتفى ابن يحي بالقسم الجبلى من اليمن، وتظل تهامة اليمن بيد

---

(١) هو: محمد بن يحي ابن المنصور با لله على ابن المهدى عباس بن الحسين بن القاسم (١٢٦١هـ - ١٢٦٥هـ)

(٢) هو: المنصور على ابن المهدى عبد الله ابن المتوكل، تولى الإمامة أكثر من مرة إحداها عام ١٢٥٩هـ حتى عام ١٢٦١هـ.

ابن حيدر، فنزل ابن يحي واستولى على "باجل" بمساعدة على بن حميدة رئيس قبيلة القحرى والتقيا فى قرية "القُطَيع" بالقرب من باجل فى ١١محرم ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) فى معركة ساخنة، كانت نتيجتها هزيمة ابن حيدر، ووقوعه فى الأسر، حيث وضعه ابن يحي تحت الحراسة فى إحدى قرى زبيد (البشيشة) وتقدم فاستولى على بعض البلاد التهامية اليمنية التى كانت تحت نفوذ ابن حيدر، كالمخا، وبيت الفقيه، وزبيد، والضمى، والزيدية وحيس، وعاد إلى صنعاء لأنه علم أن خصمه على بن المهدى قد استولى على صنعا، ثم استطاع محمد بن الحسين وابناء عمومته، من فك أسر أبيه الأمير الحسين بن على بن حيدر، بالاستعانة بقبائل يام فى ٨جمادى الأولى ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م)[1].

ولقد تناهى خبر تلك الحروب وأسر الأمير الحسين إلى اسماع الادارة فى مكة المكرمة، وهى تعتبر الأمير الحيدرى بما يحكمه من بلدان تابعاً لها، وأن إمام صنعاء تجاوز حدوده، وأنها لايمكن أن تصمت أمام هذه التجاوزات، فرفعت الأمر إلى الباب العالى فى استانبول، فصدر أمر من السلطان فى ١٧ رجب ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م)[2] إلى كل من: شريف مكة، ووالى جدة، وقاضى مكة، جاء فيه: لقد سبق أن فوضت إدارة إقليم (قضاء) المخا وتوابعه من تهامة إلى الشريف حسين بن على بن حيدر،

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٣٥٨-٣٦٠،٥١٣-٥٢١، والواسعى، المصدر السابق، ص٢٣٤-٢٣٨، الجرافى، ص٢٦٧،٢٦٨، ود.فاروق عثمان أباظة، الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م، ص٤٣-٤٧.

[2] الأرشيف العثمانى، دفتر نامة، همايون١٢، صفحة ٥١٠٥٠، بحث ٣٩٠١، بتاريخ ١٧رجب ١٢٦٤هـ.

أمير أبو عريش، وأنه سبق الانعام عليه برتبة ميرميران (أمير الأمراء = الباشوية) وانه بلغ مسامع السلطان أن المتوكل محمد بن يحي حاكم صنعاء، قد سوّلت له نفسه الاستيلاء على البلاد المذكورة، بالاتفاق مع شخص من عربان تلك المنطقة، يقال له: على الحميدى (بن حميدة) واشتبكا مع الشريف حسين حاكم المخا وتهامة، وتغلبا عليه، واخذاه أسيراً، وحيث أن البلاد المذكورة هى من ممالكنا الموروثة لسلطنتنا، وهما: الشريف، وحاكم صنعاء من رعايا دولتنا، وقد صارا بما فعلاه سبباً لسلب راحة الأهالى، وسفك دماء البشر بلاموجب معتبر، لذا صار من الواجب اجراء تأديب ذلك الحاكم (أى حاكم صنعاء) وإعادة العيشة الرضية إلى تلك البلاد .. ثم يطلب من شريف مكة، ومن معاون إمارة مكة توفيق باشا، بذل الهمة واتخاذ التدابير اللازمة لاستعادة تلك الأراضى وفك أسر الشريف حسين الحيدرى، والعمل على تبديل حاكم (إمام) صنعاء بآخر.

كما أصدر السلطان أمراً (فرماناً) رفق هذا[1] خالى الاسم ممن يتم اختياره حاكما (إماماً) على صنعاء، جاء فيه: إن حسن سياسة إقليم صنعاء، الذى هو من جملة ممالكنا الموروثة، وراحة أهاليه، وقبائل العرب الذين فيه، مشمولين بحمايتنا ورعايتنا، لذا نبعث به إليك معلنين تنصيبك حاكما على الإقليم المذكور معتمداً مايبلغك إياه أمير مكة المكرمة.

---

(1) الفرمان السلطانى بنفس الدفتر السابق، ودون تاريخ.

وكما سبق فإن الشريف حسين بن علي بن حيدر كان قد تم فك أسره، قبل وصول حملة توفيق باشا والشريف محمد بن عون إلى تهامة اليمن، عن طريق ميناء اللحية عام ١٢٦٤هـ، وتسلم توفيق باشا تهامة اليمن من الشريف حسين الذي زهد في الحكم، ولما بلغ الامام محمد بن يحي خبر وصول توفيق باشا إلى تهامة سارع إليه ودعاه للذهاب إلى صنعاء، هو وجيشه، ورافقه في دخولها عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م) لكن أهل اليمن ثاروا عليه وعلى الجند المصاحبين له، وطردوهم من صنعاء، فعاد توفيق باشا إلى الحديدة واتخذها مركزاً لتوطيد نفوذه وهيمنته على الساحل اليمني، كما ثار الأهالي على الامام ابن يحيى لاستقدامه الأتراك، وخلعوه وأعادوا الامام السابق علي بن المهدي، وبايعوه بالامامة، ولم يعاود العثمانيون الكرة على صنعاء والمنطقة الجبلية عامة إلا في عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) وهم أكثر قوة، فاستطاعوا أن يقيموا فيها حكما عثمانيا استمر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[1].

شهدت صنعاء، والمنطقة الجبلية عامة خلال الفترة من عام ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م) حتى عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) اضطراباً وحروباً متواصلة، بسبب النزاع بين الأئمة على منصب الإمامة[2] فانفرط عقد

---

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص٤٥-٤٦، والجرافي، المصدر السابق، ص٢٦٩، والواسعي، المصدر السابق، ص٢٣٩.

[2] كان هناك أكثر من داع لنفسه بالإمامة في الوقت نفسه، وتغلب كل منهم على بعض الجهات بالمنطقة الجبلية، وأعلن نفسه إماماً، وهم: علي بن المهدي، الامام السابق الذي تولاها خمس مرات، كان بمدينةيريم، وغالب--

الأمن في البلاد، وثارت القبائل، وهاجمت صنعاء، وأحاطت بها من كل جانب، كما هاجمت بعض البلدان والمناطق الأخرى، وقاد المكرمي اليامين من نجران وانطلق من حراز التي كان يهيمن عليها من قبل، فاستولى على الحيمة عام ١٢٧٧هـ وعلى بلدة المناخة عام ١٢٦٨هـ بعد تغلبه على الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحي[١] وسئم بعض الأئمة من كثرة الحروب[٢] فاجتمعوا ومعهم بعض الأشراف، والعلماء، واستقر رأيهم على أن يرفعوا إلى السلطان العثماني يطلبون تدخله بارسال بعض الجند لإعادة الاستقرار إلى المناطق الجبلية، وأوضحوا للسلطان "أن القبائل فيما حول صنعاء قد شقّوا عصا الطاعة، واستبدوا بالبلاد، بالعتو والفساد، فنرجوا أن تمدونا ببعض العساكر لانقاذ اليمن من الفوضى والانهيار والاضطراب"[٣] كما أبلغوه باستيلاء الباطنية (المكارمة) على بعض بلدان اليمن. لكي يحفزوه على ضرورة وسرعة الاستجابة.

ومع أنه كان هناك حاكم عثماني في الحديدة لإدارة المنطقة التهامية، التي تخضع مباشرة لحكم العثمانيين، فلم يكتبوا إليه، وإنما كتبوا

--ابن محمد بن يحي، ابن الامام الذى وقعت بينه وبين الشريف حسين الحيدرى حروب فى تهامة اليمن، وكان بجبل خفاش، وأحمد بن هاشم الذى كان إماماً فى صنعاء، والعباس بن عبد الرحمن، فى قرية ضلاع همدان، والعباس بن المتوكل أحمد فى ضوران، ثم محمد بن عبد الله بن الوزير، فى عام ١٢٧٠هـ.

[١] الواسعى، المصدر السابق، ص٢٢٥،٢٤٤-٢٥٠وصفحات مجهولة من تاريخ اليمن،لمؤلف مجهول،ص١١٤،ص١٢٤وابن زبارة، أئمة اليمن،ص٥٠.

[٢] منهم على بن المهدى، وغالب بن محمد، والحسين بن المتوكل.

[٣] الواسعى، المصدر السابق، ص٢٥٨، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٦٧،٨٨،٨٩.

إلى السلطان مباشرة، لحثه على سرعة الاستجابة، وللإيحاء بتبعيتهم وولائهم للدولة العثمانية.

وخلال ذلك كان أمير عسير محمد بن عائض يقوم بإحدى هجماته على القوات العثمانية فى تهامة، وزحف حتى حاصر الحديدة، ووقعت حروب بينه وبين الحاكم العثمانى فيها على باشا الحلبى ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) وشعرت الدولة أن وجودها فى تهامة مهدد طالما بقى ابن عائض، فجندت حملة كبيرة وصلت إلى ميناء القنفذة من نفس العام بقيادة كل من رديف باشا، ونائبه مختار باشا، لتولى المهمتين، فى عسير وصنعاء، وبالفعل نجحت فى المهمتين، بقتلها ابن عائض غدراً، واستيلائها على صنعاء وماحولها.

فيما عدا عسير ونجران اللتين ظلتا بمنأى عن النفوذ المباشر للعثمانيين خلال الفترة السابقة، إلى أن قام محمد بن عائض أمير عسير بقيادة حملة على القوات العثمانية لطردهم من تهامة بقسميها، فاستولى على أبو عريش وتوابعها، وزحف على بلدان تهامة اليمن حتى الحديدة، مركز العثمانيين فى المنطقة الجنوبية، وذلك عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فجردت الدولة عليه حملة بقيادة كل من محمد رديف باشا ونائبه أحمد مختار باشا ـ كما سبق أن ذكرنا ـ فتمكنا بعد حروب قاسية من التغلب على ابن عائض، والقبض عليه بأمان من مختار باشا، لكن رديف باشا لم يف له

بعهد الأمان وقتله غدراً فى صفر ١٢٨٩هـ (ابريل ١٨٧٢م)[1] ودخلت عسير هى الأخرى فى الحكم المباشر للعثمانيين، بمساعدة بعض الأمراء المحليين على البلدان، والقبائل. واتخذت عسير وأبو عريش بعد ذلك صبغة جديدة فى التنظيمات الادارية العثمانية التى شهدتها المنطقة.

[1] العقيلى، المصدر السابق، ص٥٤٦-٥٥٠، والجرافى، المصدر السابق، ص٢٧٤، ويقول: إن السلطان العثمانى عبد العزيز لم يرتض قتل ابن عائض غدراً، وعزل رديف باشا، ونقل القيادة إلى مختار باشا، الذى كان والياً على صنعاء، فتولى عسير.

الباب الثانى

عودة النفوذ العثمانى المباشر

- الفصــل الأول: متصرفيــة عســير.
- الفصــل الثــانى: إمـــارة الادريســى.
- الفصــل الثــالث: إمــارة آل عــائض.

الفصل الأول

متصرفية عسير

الترتيبات الأدارية

علـى إثـر امتـداد نفـوذ الدولـة العثمانيـة فـى عهـد السـلطان سـليم الأول[1] فقـدت بعـض الـدول التـى كـانت مسـتقلة اسـتقلالها[2] وصـارت ولايـات خاضعة سياسياً وإدارياً للدولـة العثمانيـة، لكنهـا ظلـت داخليـاً علـى وضعهـا السـابق، مـن حيـث تقسـيماتها الإداريـة إلى أقـاليم أو منـاطق أو أقضيـة، دون أن تلحقهـا تعديـلات تذكـر. بـالرغم مـن حـرص الدولـة علـى تحسين الإدارة فيهـا، إلا أن بعـض الصعوبـات حـالت بـين الإصـلاح الإدارى المنشـود، بسـبب السـلوكيات الشـخصية للـولاة والقـادة، والحكـم الاسـتبدادى المطلـق لإدارة الولايـة، حتـى أصبحـت جبايـة الأمـوال الأميريـة تفـوض إلى الأشـخاص عـن طريـق المزايـدة، ثـم تعطـى لمـن يتعهـد ويلـتزم بتحصيـل المبـالغ

---

[1] حكم خلال الفترة من عام ٩١٨هـ حتى عام ٩٢٦هـ (١٥١٢م - ١٥٢٠م).

[2] من بينها مصر، والعراق، والجزائر، وتونس.

المقررة، في الوقت المحدد[1] ونتيجة لتفشي ظاهرة الفساد في أركان الدولة، فيما بعد السلطان مراد الثالث[2] فقد شرعت الدولة في عمل ترتيبات إدارية، عرفت باسم "التنظيمات" لتشمل الدولة وولاياتها، بهدف إصلاح الوضع المتدنى فى كافة شئون الدولة، وبدأ ذلك عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) في بداية عهد السلطان عبد المجيد[3] وأطلق على الولايات مسمى "الإيالات" لكنها لم تأت بالثمرة المرجوة من النهوض بالدولة، والقضاء على الفساد، ووضع حد للحكم المطلق، سواء داخل الدولة نفسها، أو على مستوى الولايات، فأنشأت قانوناً ووضعت تنظيمات جديدة عرفت باسم "المشروطية"[4] وذلك على نسق ماكان معمولاً به في الدول الأوربية ذاك الوقت. ثم وضعت القانون الأساسى العثمانى عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) لضبط مختلف شئون الدولة من إدارية، ومالية،

---

(١) سموا "ملتزمين" لأن الواحد منهم كان متعهداً وملتزماً بدفع الجباية المحددة على الإقليم، أو البلدة، يجمعها بالأسلوب الذى يراه ويناسبه. فيقومون بالتسلط على السكان، واستعمال العنف ضدهم، وكثيراً مايصادرون أملاكهم وأموالهم، وربما يقتلونهم فى سبيل الحصول على الأموال المطلوبة، وكان الملتزم يجمع أضعاف المبلغ المطلوب المقرر، ليضع الزيادة فى حوزته.

(٢) حكم خلال الفترة من عام ٩٨٢هـ حتى عام ١٠٠٣هـ (١٥٧٤م - ١٥٩٥م).

(٣) حكم خلال الفترة من عام ١٢٥٥هـ حتى عام ١٢٧٧هـ (١٨٣٩م - ١٨٦١م).

(٤) سميت بذلك لأنها حاولت أن تحد من أسلوب الحكم المطلق، لكافة المستويات الادارية، ابتداء من السلطان نفسه حتى أقل مسئول إدارى، وجعلت حكم السلطان مشروطا بمراعاة القيود المقررة فى القانون الأساسى انظر فى ذلك، وفيما سبقه، ساطع الحصرى، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص٣٩-٦٢.

وقضائية وتعليمية وغيرها، بقصد جعل الدولة دولة عصرية، وبدأ ذلك فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى[1] باسم الاصلاح الدستورى[2].

كان من بين تلك التنظيمات والترتيبات الإدارية تقسيم كل إيالة (ولاية) إلى عدة سناجق[3]، أو متصرفيات، والسنجق يتكون من عدة أقضية حسب ظروف كل أقليم، أو إيالة من تلك الإيالات.

ظلت إمارة مكة المكرمة بتوابعها بعيدة إلى حد ما عن تلك الترتيبات، نظراً لظروفها ومكانتها الدينية، فلم تلحقها إلا ترتيبات يسيرة تتناسب مع المكانة الدينية التى تحتلها فى نفوس المسلمين فى شتى بقاع الأرض. كما ظلت اليمن ــ وبخاصة المنطقة الجبلية ــ بمنأى عن تلك الترتيبات، نظراً لصعوبة إختراق أرضها للهيمنة عليها، وظروفها القبلية والمذهبية، غير أنه إزاء صحوة الاصلاحات للنهوض بالدولة، رأت أن تعيد نفوذها بصورة فعالة على جميع إيالاتها، وبخاصة تلك التى فى الأطراف، وتتصدى للنفوذ الأجنبى المحدق بتلك الايالات، وكان هذا النفوذ قد نشط

---

(1) حكم خلال الفترة من عام ١٢٩٣هـ حتى عام ١٣٢٧هـ (١٨٧٦م - ١٩٠٩م) الذى عطل الدستور، فقامت ضده ثورة عام ١٩٠٩م أطاحت به، وأتت بالسلطان محمد رشاد، ثم بعض السلاطين الضعاف حتى ثورة كمال أتاتورك، واعلان الجمهورية عام ١٩٢٢م.

(2) الحصرى، المصدر السابق ص٦٣،٧٨، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٤٤٨.

(3) السنجق: كلمة تركية معناها: العلم، أو اللواء، أو الراية، ثم أطلقت على المقاطعة، أو الاقليم، أو المديرية، أو المحافظة، كما كانت تطلق على حاكم ذلك الأقليم أيضاً، كرتبة ممتازة، تكسب حاملها أن تُدق له الطبول والآلات الموسيقية عند قدومه للأماكن الرسمية.

بشكل ملحوظ عقب حملة نابليون على مصر، وقد حفزها إلى ذلك افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) مما سهل مهمتها فى سرعة وصول قواتها باعداد كبيرة مع ما تحتاجه من معدات وتموينات إلى جنوب البحر الأحمر فى زمن يسير، بالقياس لما كان عليه الوضع فى السابق، وربما كان هذا من أسباب نجاح الحملة التى قادها محمد رديف باشا ونائبه أحمد مختار باشا على كل من عسير واليمن، فقد أقبلت وهى مهيأة بكافة الإمكانات بشكل جيد لتوطيد نفوذ الدولة فى المنطقة.

عندما شرعت الدولة العثمانية فى تطبيق قانون الولايات عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) [1] استبعدت ولاية مكة المكرمة وتوابعها من تطبيق هذا القانون عليها، نظراً لوضعها الخاص، مع ضبط توابعها إلى حد ما بما يتوافق مع قانون الولايات، وكان من توابعها عسير، وأبو عريش، وبادية الحجاز، فيما كان يطلق عليه عالية نجد. وعند انسحاب قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية، كان الحسين بن على بن حيدر حاكما على أبو عريش، فصدرت الأوامر إلى أحمد يكن باشا حاكم عام الحجاز، بتسليم المنطقة فيما هو جنوب حرض حتى الحديدة والمخا وبيت الفقيه إلى عهدته، على أساس أن يحكمها باسم الدولة العثمانية، مقابل مبلغ يدفع كخراج سنوياً، ويكون خاضعاً لإدارة مكة المكرمة. وأطلق على كل من:

---

[1] كان قد أصدره السلطان عبد العزيز ابن السلطان محمود (١٨٦١-١٨٧٦م) وهو أخو السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) الذى صدر فى عهده نظام "المشرطية" وكان قانون الولايات يقسم الولاية إلى عدة سناحق أو متصرفيات، وكل متصرفية إلى عدة أقضية، وكل قضاء إلى عدة بنادر أو بلدان.

أبو عريش، والمخا، والحديدة "مسمى قضاء" كما مُنح الشريف حسين بن حيدر لقب "ميراميران" أى "باشا" وهو يعادل لقب حاكم المتصرفية[1] وظل الأمر كذلك حتى عودة النفوذ العثمانى إلى المنطقة على إثر حملة محمد رديف باشا، ومختار باشا عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فأقاموا فى الحديدة مركزاً لهم، وجعلوها لواء، ثم متصرفية، تتبعها عدة أقضية من تهامة اليمن، وأضيف إليها فى بعض الفترات قضاء أبو عريش، غير أنه فى معظم الفترات كان تابعاً لمتصرفية عسير.

أما عسير فكانت الدولة تعتبرها تابعة أيضاً لإمارة مكة المكرمة، مع أن حكمها المباشر كان بيد أبنائها فى الغالب، وبخاصة فى عهد الأمير محمد بن عائض الذى كان يحكم معظمها حكماً شبه مستقل، وبالنظر للظروف الحربية والثورات التى قادها ضد قوات الدولة فى عسير فإن سلطته كانت تتسع أو تضيق حسب تلك الحروب، وأحياناً كان يمتد نفوذ الإدارة فى مكة إلى بعض المناطق فى عسير فيحكمونها حكما مباشراً، وكانوا أحياناً يخاطبون ابن عائض بـ "شيخ عربان" عسير، أو "قائمقام" عسير[2] وعند انسحاب قوات محمد على من عسير، صدرت إليها الأوامر بتسليم مافى حوزتها من مناطق عسير إلى أمير مكة، على أساس أن عسير

---

[1] الوثائق العثمانية بالأرشيف العثمانى باستانبول تدل على ذلك، ومن ذلك الوثيقة رقم (٣٨٩٩) دفتر همايون١٢، بتاريخ اوائل رجب١٢٦٤هـ، وأخرى برقم (٣٩٠١) بالدفتر نفسه بتاريخ ١٧رجب ١٢٦٤هـ، وثالثه برقم (٣٨٩٨) ونفس الدفتر، وتاريخ أوائل ربيع الأول ١٢٦٣هـ.

[2] الوثيقة رقم ٢/٦/٢٥ بتاريخ محرم١٢٨٢هـ، ٢/٦/٢٠، ٢١ بتاريخ ربيع الثانى ١٢٨٢هـ.

من توابعها، فسلمت إلى الشريف محمد بن عون، فسعى هذا لعقد صلح بينه وبين الأمير عائض بن مرعى، لابقاء الوضع على ماهو عليه، ثم نقضه ابن مرعى بعد عامين لتوسيع منطقة نفوذه، وعقب مقتل محمد بن عائض غدراً على يد رديف باشا فى صفر ١٢٨٩هـ (ابريل ١٨٧٢م) أخذ رديف باشا فى العمل على إحكام قبضته على مختلف أنحاء عسير، لدعم سلطة الدولة عليها، وبدأ ينظم الإدارة فى جهاتها وبلدانها، وربطها بعضها ببعض، متخذاً مدينة "أبها" قاعدة لها، بدلاً من السقا، أو طبب، لكنه لم يستمر فى ولايته سوى تسعة أشهر، فأبدل بأحمد مختار باشا، نائبه السابق[1] الذى كان قد زحف نحو اليمن بعد الاستيلاء على عسير، واستولى على صنعاء تلبية لدعوة إمامها وبعض العلماء، التى رفعوها إلى الباب العالى، لنجدتهم من الفتن والاضطرابات التى حاقت بصنعاء، فأخضعها مختار باشا لنفوذ الدولة، واستمر حاكما عليها إلى أن نقل إلى عسير، محاولاً دعم سلطة الدولة واستكمال الترتيبات والتنظيمات الإدارية فى كافة أنحاء عسير.

ثم تتابع الولاة على حكم متصرفية عسير على النحو التالى:

- أحمد مختار باشا ١٢٨٩هـ ـ ١٢٩١هـ (١٨٧٢ ـ ١٨٧٥م)

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ص٥٦٣،٥٦٤، والوثيقة رقم ١٨/٦/٢، دفتر همايون١٢، بالارشيف العثمانى. ورقم (٤٢٣٩) إرادة داخلية برقم ٤٤٠٥٦، وتاريخ ٢٢رجب ١٢٨٨هـ (١٨٧١م).

- عثمان بك ١٢٩١هـ ـ ١٢٩١هـ (١٨٧٥ ـ ١٨٧٥م) لأقل من عام.

- حيدر بك ١٢٩٢هـ ـ ١٢٩٤هـ (١٨٧٦ ـ ١٨٧٧م)

- أحمد فيضي باشا ١٢٩٤هـ ـ ١٢٩٧هـ (١٨٧٧ ـ ١٨٨٠م) في عهده جعلت عسير متصرفية مستقلة.

- تحسين باشا ١٢٩٨هـ ـ ١٣٠٠هـ (١٨٨١ ـ ١٨٨٣م)

- رفعت باشا ١٣٠٠هـ ـ ١٣٠٥هـ (١٨٨٣ ـ ١٨٨٨م)

- محمد أمين باشا ١٣٠٥هـ ـ ١٣١٠هـ (١٨٨٨ ـ ١٨٩٣م)

- يوسف باشا ١٣٠هـ ـ ١٣١٦هـ (١٨٩٣ ـ ١٨٩٨م)

- موسى كاظم باشا ١٣١٨هـ ـ ١٣١٩هـ (١٩٠٠ ـ ١٩٠١م) يبدو أنه تسلمها بالنيابة لعامين قبل أن يتولاها رسمياً.

- اسماعيل باشا حقى ١٣١٩هـ ـ ١٣٢٤هـ (١٩٠١ ـ ١٩٠٦م)

- كاظم باشا ١٣٢٥هـ ـ ١٣٢٦هـ (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨م)

- سـليمان شـفيق كمـالى باشـا ١٣٢٦هـ ـ ١٣٣٠هـ (١٩٠٨ ـ ١٩١٢م)[1] وقـد استمر أربـع سـنوات ونصـف.

- حيـدر بـك ١٣٣٠هـ ـ ١٣٣٢هـ (١٩١٣ ـ ١٩١٤م)

- محي الديـن باشـا ١٣٣٢هـ ـ ١٣٣٦هـ (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) وهـو آخـر متصـرف عثمـانى علـى عسـير، وقـد سـلمها إلى وكيلـه الحسـن بـن عـائض، عنـد رحيـل العثمـانيين عـن بـلاد العـرب، عقـب هزيمـة دولتهـم فـى الحـرب العالميـة الأولى[2].

---

[1] ورد قرار تعينه فى الوثيقة رقم (٥٣٨٤) إرادة داخليـة [أى قـرار وزارة الداخليـة] باسـتانبول برقـم وتـاريخ ٢٩ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ/١٩ (الموافق ١٩٠٩/٥/١٧م) وهى تتعلق بتعيين "المـيرلواء" سـعادة شـفيق كمـالى باشـا، قائد لواء المدفعية الثالثة، متصرفاً على لواء عسير، وهو تاريخ سابق مدة عامين عن التاريخ الـذى أورده اسـتاذنا العقيلى، وهو التاريخ العثمانى لسنوات الهجرة.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ص٥٦٣-٥٦٦، نقلنا الاسماء بتواريخ حكمهم، وبذلك يبلغ عددهم خمسة عشـر واليـاً بما فيهم محمد رديف باشا، بينما يقول الاستاذ هاشم بن سعيد النعمى، عضـو نـادى أبهـا الأدبى، فـى تقريظـه لكتاب "أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالى باشا" ليوسف العارف: إن عددهم واحد وعشـرون واليـاً، تعاقبوا الحكم المباشر فى عسير على مدى ٤٧عاماً (مابين ١٢٨٩هـ ـ ١٣٣٦هـ) وأورد ابـن مسـفر، المصـدر السابق، ص١٠٧ اسماء سبعة عشر والياً، ابتداء من احمد فيضى باشا، من بينهم مـن تولاهـا بالنيابـة أو الوكالـة، دون تحديد تواريخ لحكم كل منهم، لكن بعضهم ورد اسمه فى الوثائق العثمانية، مثل الفريـق عمـر باشـا الـذى عين متصرفاً على عسير بتاريخ ٣صفر ١٣٠٥هـ، وسليمان بك الذى رفع إلىرتبة "ميراميران" باشا، وعـين فـى ٢٢ذى الحجة ١٣٠٦هـ، وهو المكنى بسليمان باشا أبو غنم، وعزل فـى ١٦ صفـر عـام ١٣٠٨هـ، كمـا أنـه وردت تعيينات لبعضهم لم يرد لهم ذكر فـى القـائمتين مثـل تعيين آصـف باشـا متصرفـاً بتـاريخ ٤ربيـع الأول ١٣١٢هـ.

ومع أن معظم هؤلاء الولاة كان يتسم بالكبرياء والغطرسة، والقسوة والعنف، إلا أنهم كانوا يسعون إلى إيجاد نوع من الترتيبات تساعد على استقرار الأوضاع، وتوطيد نفوذ الدولة، وقد تمخضت هذه الترتيبات عن جعل عسير متصرفية مستقلة عن تدخل أشراف مكة المكرمة في إدارتها، وكذا تدخل الوالى العثمانى فى اليمن، سواء كان فى صنعاء، أو الحديدة، وتم ذلك فى بداية عهد الوالى أحمد فيضى باشا[1] بينما كانت قبل ذلك مرتبطة بولاية مكة[2] وكانت هناك بعض المتصرفيات التى نُص عليها فى القانون الأساسى بأن تكون مستقلة وتابعة رأساً إلى الباب العالى، وهى: جبل لبنان، والقدس، ودير الزور، وبنغازى (ليبيا) أما عسير فلم يُنص عليها، لكن ولاتها سعوا حتى جعلوها مرتبطة رأساً بنظارة (وزارة) الداخلية بالأستانة، وكانوا يكاتبون نظارة الداخلية أو الحربية رأساً، والنظارة ترد عليهم مباشرة، دون مرور تلك المكاتبات على الإدارة العثمانية فى مكة أو صنعاء.

ومذكرات الوالى العثمانى فى عسير، سليمان شفيق كمالى باشا، تعطينا صورة واضحة عن الأوضاع التى كانت تعيشها عسير، وسط التيارات المتصارعة لتسريب النفوذ إليها، من الشمال أو الجنوب، وكذا

---

[1] ابن مسفر، المصدر السابق، ص١٠٦.

[2] اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٧٨، حيث قال: إن الشريف عبد الله بن محمد بن عون (١٢٧٤هـ ـ ١٢٩٤هـ) نجح فى ان يجعل من عسير سنجقاً مرتبطاً بالدولة بشكل جيد، عن طريق الإمارة بمكة المكرمة.

الثورة الإدريسية ضد الأتراك فى عسير، وما أحاط ذلك من مؤثرات على الساحة المحلية، أو الدولية، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى.

فالمذكرات[1] تؤكد أن عسير كانت متصرفية مستقلة، من خلال ماعرضه المتصرف سليمان كمالى باشا من وقائع وأحداث عايشها، وشارك فى صنعها، أو أحداث فرضت عليه، محليه أو دولية، ومن دلائل استقلاليتها فيما يرويه فى تلك المذكرات الآتى:

١- أن مكاتبته رأساً إلى كل من وزير الداخلية، والحربية فى الأستانة، دون وسيط، أو دون الرجوع إلى رئاسة عثمانية مباشرة له فى المنطقة، ثم مكاتباتهما إليه، دون وسيط أيضاً يؤكد أنه مستقل عن أية رئاسة فى المنطقة، والمتصرفية التى يديرها هى أيضاً مستقلة[2].

٢- انتقاداته للشريف حسين بن على، ملك الحجاز السابق فى محاولاته مد عينيه إلى عسير منذ عام ١٩٠٨م[3] والتدخل فى شئونها، وفى إحدى حواراتهما معاً قال له: تعلمون أننى هنا

---

[1] اعتمدنا على نسخة مطبوعة من هذه المذكرات، بتعليق أستاذنا محمد بن أحمد العقيلى، طباعة نادى أبها الأدبى، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

[2] انظر المذكرات الصفحات :٣٧،٣٨،٦٠،١٠٨،١٠٩،١٣٥،١٥٦،١٥٧،١٥٩، وغيرها

[3] أى منذ تعيينه أميراً على مكة ١٣٢٦هـ، وكان فى السادسة والخمسين من عمره، وكان مقيماً فى الاستانه، عضو بمجلس شورى الدولة، وهو حفيد الشريف محمد بن عون، وهو آخر من حكم من الأشراف فى الحجاز، فقد صعد عداوته مع الحكام العرب فى المنطقة، وبخاصة الملك عبد العزيز، توفى يوم ٤يونيو عام ١٩٣١م.

أمثل الحكومة (يقصد الحكومة العثمانية) والقوة العسكرية على استقلال، وأنا المسئول عن كل خير أو شر يقع فى هذه البلاد. ثم كتب إلى كل من وزارة الداخلية والحربية بأن يعملوا على كف يد الشريف حسين عن عسير[1].

٣- كما يشير إلى أنه لم تكن له علاقة رئاسية مع قائد عام القوات العسكرية فى اليمن عزت باشا، وأن ظروف الثورة الإدريسية هى التى جعلته يتدخل إلى حد ما فى شئون عسير لقمع تلك الثورة بناء على تكليف من الرئاسة فى الاستانة، ومع ذلك فإن عزت باشا كان يتصرف دون ايجاد تنسيق مسبق مع المسئول عن عسير، ولذا هزمت حملته فى المرة الأولى، وكذلك لم يحدث تنسيق بين عزت باشا والشريف حسين،ويقول عقب هزيمة الحملة التى أرسلها عزت باشا إلى جيزان، كتبت "تلغرافاً" فى الحال شديد اللهجة إلى محمود شوكت باشا وزير الحربية، ذكرت فيه الغلطات التى ارتكبت فى التحركات العسكرية التى أرسلها عزت باشا، ورجوته أن يأمر القيادة العامة العثمانية فى اليمن بأن تطلعنى على مثل ذلك فى المستقبل. ومع ذلك أرسل عزت باشا حملة أخرى من الحديدة إلى جيزان دون أن يشعرنى بها مسبقاً، بصفة رسمية، فأدهشنى هذا الإهمال[2] ومنه يتضح

---

[1] انظر المذكرات: ص٢٦، ٣١، ٣٢، ٥١، ٧٦، ٧٧، ٨٣، ٨٥.

[2] انظر: ص١٠٩، ١٢٨، ١٧٤.

أن العلاقة بينهما يعتريها الجفاء، و لم تكن علاقة رئيس بمرؤوسيه إن توهم أحد ذلك.

كما أن صاحب المذكرات انتقد صلح دعّان الذى وقعه عزت باشا مع إمام صنعاء عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) لأنها أعطت الامام سلطة لبسط نفوذه على جميع الأراضى التى يقطنها زيديون، و لم تفرق بين أنصاره والمناوئين له، الخارجين عن سلطته ذاك الوقت. كبنى جماعة اليمنيين، برئاسة السيد الحسن بن يحي القاسمى المنافس للامام يحي على منصب الإمامة، وأقام إمارة صغيرة على أرض بنى جماعة بأرض باقم من القسم الجبلى، فيما بين صعدة شمالاً والحرجة جنوباً، ولقب نفسه بالهادى لدين الله، وكان يوالى العثمانيين[1].

أقضية ونواحى المتصرفية

كان من أثر الترتيبات الإدارية المتتالية، والتى كانت تهدف إلى ايجاد نوع من الاستقرار، وتوطيد النفوذ، هو تقسيم المتصرفية إلى عدة أقضية، أو نواح، وكل قضاء إلى عدة بلدان وبنادر، روعى فيها الأصول العشائرية، والقبلية، والتوافق بين سكان كل ناحية، وقرب المواطن بعضها من بعض، وغير ذلك من اعتبارات. وتكونت المتصرفية من الأقضية الآتية:

---

[1] انظر المذكرات، ص١٧٧.

١- قضاء القنفذة، يضم ماحولها من بلدان، وقاعدته: القنفذة.

٢- قضاء محايل، وبارق، وقنا، وقاعدته: محايل.

٣- قضاء رجال ألمع، وقاعدته: الشعبين.

٤- قضاء رجال الحجر، وقاعدته: النماص.

٥- قضاء غامد وزهران، وقاعدته، أولاً: الظفير، التى تقع جنوب شرقى الباحة بحوالى كيلو متر، وبعد فترة أتخذت بلدة "رغدان" ثم أعيدت إلى الظفير فى ٢٨ذو الحجة ١٣٠٦هـ.

٦- قضاء جازان، وصبيا، وأبو عريش، وقاعدته: صبيا[1]، وبعض الوثائق أطلقت عليه "قضاء أبو عريش" فى بعض الفترات.

٧- ثم أُنشئ قضاء فى بنى شهر، وضُمت له بيشة[2].

---

(١) المسفر، المصدر السابق، ص١٠٦، وبعض الوثائق العثمانية.

(٢) المذكرات، ص٥١،٥٢،١٧٩، وذكرت الوثائق العثمانية اسماء بعض من عينوا حكاماً على تلك الأقضية منهم من هو من أهل البلاد، ومنهم من هو من خارجها. وذلك عند تعيينهم عليها، وكان تعينهم يصدر بقرار من وزارة الداخلية فى الأستانة بناء على ترشيح وتزكية متصرف عسير.

وممـا يلاحـظ أن ناحيـة ميـدى، وقبـائل بنـى مـروان الجنـوب، ظلـت تابعـة إلى قضـاء أبـو عريـش، ثـم أضيفـت إلى قضـاء اللحيـة فـى أول ذى الحجـة عـام ١٣٢٨هـ[١].

ونظـراً للاهتمـام بـالثغور السـاحلية للمتصرفيـة، وإحكـام السـيطرة علـى الموانئ، فقـد تم تأسيس دائـرة جمركيـة فـى ثغـر "الوسـم" القحمـة فـى ١٧صفـر ١٣٠٥هـ، لتحصيـل الرسوم الجمركيـة علـى البضـائع الـواردة إليهـا، ومنـع دخـول المـواد الممنـوع اسـتيرادها[٢] وذلـك بالاضافـة إلى الموانـئ الأخـرى للمتصرفيـة مثـل القنفـذة، والشـقيق، والـبرك، قـوز الجعـافرة، المضايـا، تعـث، القرنيـة، العربـة، الموسـم، وهـى علـى الحـدود الجنوبيـة مـع اليمـن، وكـانت تعـرف قديمـاً باسـم "الشـرجة" غـير أن معظـم هـذه المرافـئ لاتعمـل، ولاتسـتقبل إلا السـفن أو المراكـب الصغـيرة.

وكـانت الحـدود الجنوبيـة للمتصرفيـة قـد تراجعـت شمـالاً فـى بعـض الأمـاكن، بالنسبة لمـا كـان عليـه الوضـع فيمـا مضـى، خـلال عهـد الدولـة السـعودية الأولى، وأيضـاً خـلال إدارة على بـن حيـدر، وابنـه حسـين[٣] وربمـا

---

[١] ورد ذلك فى وثيقة، تحمل أمراً مـن وزارة الداخليـة بالأستانة برقـم وبتـاريخ ١ذى الحجة ١٣٢٨هـ/١، إرادة داخلية.

[٢] وثيقة بالارشيف العثمانى، بالملف رقم (٤٦٦٢) إرادة مجلس شـورى الدولـة، رقـم (٥٢٣٥) بتـاريخ ١٧صفـر ١٣٠٥هـ، وأوردها الزركلى فى كتابه "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز" ج٢،ص٣٤٠ "الوشم" بالشين بدل السين.

[٣] أوضحنا ذلك خلال السرد التاريخى للمنطقة.

يعود ذلك إلى الترتيبات الادارية للولاة العثمانيين فى المنطقة، أثناء حكمهم المباشر لها، مماكان يستدعى أحياناً إضافة بلدان إلى إدارة معينة لإحكام السيطرة عليها، ولا أدلّ على ذلك من أن بلدان الواعظات، وميدى، وحرض ظلت عدة قرون مرتبطة بأبو عريش كناحية من نواحيها، ثم أضيفت عام ١٣٢٨هـ إلى قضاء اللحية، كما سبق أن ذكرنا. وكذا بعض المناطق الأخرى كوعار، وعقبة نهوقة وغيرها، وكما يقول البركاتى فى الرحلة اليمانيةعن عسير: يحده من جهة الجبل (أى السراة) جنوباً، حدود صعدة[1] وفى عهد الادريسى امتدت الحدود جنوباً إلى الحديدة وغيرها، كما سنعرفه فيما بعد.

ومما يلاحظ أن المتصرف سليمان كمالى باشا أبدى وجهة نظره بالنسبة لسوء الإدارة فى الدولة العثمانية، سواء فى السلطة العليا للدولة، أو على مستوى الولاة عند إدارتهم للولايات والمتصرفيات، فيقول: إن العواقب الأليمة التى وصلت إليها الدولة العثمانية، كان سببها التمسك الشديد بطريقة الحكم المركزى، والإعراض عن طريقة الحكم اللامركزى، فلم تدرس الدولة يوما ما شيئاً من أسباب وعوامل الثورات الداخلية (فى الولايات والمتصرفيات) ولا استعملت للداء دواء، وكانت تعمد فى كل وقت إلى قمع كل حركة بالقوة القاهرة، وإذا حدث حادث فى إحدى الولايات، ووردت البلاغات به إلى العاصمة، كانت العاصمة تماطل الأمر

---

[1] نقله عنه الزركلى فى كتابه "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز" ج٢، ص٥٣٢.

باستعلامات لالزوم لها، وتعرض عن آراء الموظفين المحليين، وترسم من عندها الخطط المحكوم عليها بالعقم، والمؤدية إلى الخسران فى أكثر الأحوال[1] ويقول: إن الدولة العثمانية التى احتلت عسير منذ أربعين عاماً، اكتفت بأن اتخذت لنفسها بضعة مراكز عسكرية، وكانت صلتها بالأهالى مقصورة على قيامها ببعض الحركات العسكرية، بين حين وآخر لجباية الزكاة، أما اختلافات الأهالى فيما بينهم فكانت الحكومة فى معزل عنها، وياللأسف!. فكان الناس يرون أنهم لاحكومة لهم، وأنهم مسلوبو الراحة، والأمن العام، وهم ينتظرون الفرج بظهور رجل مصلح يتولى فيهم أمر الحكم[2].

ويقول: إن الدولة لم تصنع فى بلاد عسير شيئاً غير تحصيل الزكاة من الأهالى، بين حين وآخر، و لم تفكر قط فى إيجاد أسباب العمران لإحياء هذه الجهات، و لم تتذرع بشئ من ورائه نفع للأهالى، وليس لها برنامج معين يسير عليه رجالها وموظفوها الذين يأتون إلى هذه البلاد، وهم لم يستطيعوا أن يفهموا الأمور التى يحتاج الشعب إليها، و لم يدرسوا أسباب ثورة الأهالى وتمردهم على الدولة، وهم لم يستطيعوا أن يقرروا

---

(1) المذكرات، ص١٨٢، وهذه المذكرات كانت قد نشرتها جريدة الأهرام القاهرية، خلال الفترة من ربيع الثانى ١٣٤٣هـ حتى جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ (فبراير ١٩٢٤م/يناير ١٩٢٥م) ثم أعاد نشرها شيخنا حمد الجاسر فى مجلة العرب خلال الفترة من ربيع الأول ١٣٩١هـ حتى ربيع الثانى ١٣٩٣هـ (مايو ١٩٧١م/مايو ١٩٧٢م) ثم طبعها أخيراً نادى أبها الأدبى، بتعليق أستاذنا محمد بن أحمد العقيلى.

(2) المذكرات، ص٣٤.

الأمن، بل تركوا الناس وشأنهم يحارب بعضهم بعضاً، والحكومة واقفة تتفرج عليهم[1].

ويبرر نجاح الإدريسى بأنه أكتشف حاجة الناس لمن يصلح فيما بينهم، فانتهز هذه الفرصة، مرتدياً رداء الزهد والتقوى، ونجح فى استمالة القبائل، واكتسب شهرة وتأييداً واسعاً من الأهالى، ونال ماكان ينشده من نفوذ سياسى، استغله فى تكوين إمارة، على حساب النفوذ العثمانى فى المنطقة.

ولاريب أن هذا هو رأيه الشخصى فى الادريسى، وهو رأى مشوب بعدم الإنصاف والنزاهة، نظراً لما كان بينهما من تنافس وعداوة سياسية.

---

[1] المذكرات، ص١١٩.

الفصل الثانى

إمارة الأدارسة فى تهامة

نسب الأدارسة

يعود أدارسة تهامة فى نسبهم إلى جدهم أحمد بن إدريس، المولود عام ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) ببلدة "العرائش" من أعمال فاس بالمغرب[١] والذى يرتقى بنسبه إلى إدريس بن عبد الله (المحض) ابن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم[٢] وكان إدريس بن عبد الله

---

[١] العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص٦٢٠، وقال: "بلدة العرائش من أعمال القيروان". غير أن بلدة القيروان المشهورة تاريخياً، والتى بناها الصحابى عقبة بن نافع عام ٦٧٠م (٥٠هـ) تقع فى تونس، وليس فى المغرب، وقد اتخذها الفاطميون عاصمة لهم عام ٩٠٩م، قبل القاهرة، أما فاس فهى إحدى المدن الشهيرة بالمغرب، واتخذها بعض الأسر التى حكمت المغرب عاصمة لهم من القرن الثامن الميلادى حتى التاسع عشر، وبلغت أوج عظمتها فى عهد بنى مرين خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى، وبها جامعة القرويين التى تعد من أقدم الجامعات الاسلامية. وظلت فترة طويلة مقراً لأدارسة المغرب، ومنها توزعوا فى كثير من الأقطار. ويقول الزركلى "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز، ص٥٢٩ إنه ولد بقرية "ميسور" بفاس.

[٢] أرجع الزركلى، المصدر السابق، ص٥٢٩ نسبه إلى عبد الله المحض، ثم قال: ... من نسل الحسين، والصواب أن عبد الله المحض من نسل الحسن بن على بن أبى طالب، انظر ابن حزم، الجمهرة، ص٤٥.

(المحض) قد فرّ إلى المغرب في عهد أبي جعفر المنصور، وأقام بها وكثرت ذريته فيها، وأقاموا لهم حكماً بها.

درس أحمد بن إدريس على أيدى متصوفة المغرب، فتأثر بهم، ونهج منهجهم فى الصوفية[1] ثم قدم إلى مكة المكرمة للحج عام ١٢١٤هـ فجاور بها[2] ثم جلس للوعظ والتدريس، فهو شافعى المذهب، ويبدو أنه كان بارعاً فى التأثير على سامعيه، فالتف حوله الكثيرون وكان ممن أعجبوا به عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، من علماء "زبيد" والذى تولى القضاء فيها ثم فى الحديدة[3] فدعاه لزيارة زبيد، فخرج من مكة المكرمة قاصداً زبيد والحديدة، فركب من مرفأ "الليث" مسافراً عن طريق البحر، ثم عرّج على "جازان" ومنها واصل سيره إلى "زبيد" فوصلها عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) فتلقاه تلميذه عبد الرحمن الأهدل بالترحيب والاكرام، فأقام بها حوالى عامين، قضاهما فى التدريس والوعظ

---

[1] كان من بين مشايخه فى الصوفية: الشيخ عبد الوهاب التازى، والشيخ أحمد المجيدرى، وغيرهما ممن كانوا على منهج الشاذلية، أما هو فسمى طريقته "الأحمدية" على اسمه، وهى على نمط الشاذلية، كما كان من تلاميذته فيما بعد الشيخ أحمد السنوسى من المغرب، وطريقته "السنوسية" والسيد على المرغنى من السودان.

[2] لوحظ أن هناك ارتباكا فى أقوال من ترجموا له، فالبعض قال: إنه خرج من وطنه إلى مكة المكرمة رأساً، والبعض قال: إنه ذهب إلى صعيد مصر فأقام فترة ثم قدم إلى مكة، وبالنسبة لمدة اقامته فى مكة المكرمة: البعض قال: أقام بها ثلاثين عاماً، ثم ذهب إلى مصر فأقام بها خمس سنين، ثم عاد إلى مكة فأقام بها اثنى عشر عاماً، ثم توجه إلى زبيد عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م). وهو أمر غير صحيح حسابياً. فبين خروجه من وطنه، ووصوله إلى زبيد هو ٢٩عاماً، وهى مجموع الفترة الزمنية التى قضاها فى مكة المكرمة، ومصر.

[3] آل الأهدال من أعيان وعلماء زبيد والحديدة وماحولهما، توفى عبد الرحمن الأهدل عام ١٢٥٠هـ، من مؤلفاته:النفس اليمانى والروح الريحانى فى إجازة القضاة بنى الشوكانى.

والإرشاد، وكان يخرج إلى بوادى ونواحى زبيد، وإلى المخا، وموْزع، وأقبل إليه الطلاب من الحديدة، وبيت الفقيه، وتعز، ووصاب. ثم زار الحديدة، ومراوغه، وباجل، ثم ارتحل إلى مدينة "صبيا" فوصلها فى شهر رمضان عام ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) فأقام بها إلى أن توفى ليلة السبت ٢١رجب ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) فقُبر بها. ويقول الريحاني: شيع إلى قبره، ولم يبغ السيادة على أحد من الناس، ولم يكن على ما أظن يحلم بمُلْك إدريسى فى البلاد العربية أو خارجها[1].

هذا هو الجانب التاريخى من حياة جد الأدارسة، الذى قدم إلى المنطقة ليبث فيها فكره، ويدع على أرضها ذريته، التى سطع نجمها فى سمائها، أما الجانب المنهجى فى فكره، المتمثل فى نزعته الصوفية فله موضع آخر لمناقشته كفكر عقائدى جنح بمريديه عن جوهر الدين الاسلامى الحق، الذى حُدِّد إطاره بين الأديان الأخرى بالوسطية، وانعدام الواسطة بين العبد وخالقه.

وأيّاً ماكان فإن وقع الأحداث كان سريعاً ومتلاحقاً، إبّان الفترة التى قدم فيها الشيخ إلى مكة المكرمة لآداء الفريضة عام ١٢١٤هـ، فقد كان نفوذ الدولة السعودية الأولى قد امتد إلى الحجاز، مع ماصاحبه من

---

(1) ملوك العرب، ص٢٩٣-٣٠٣، وانظر فيما سبق، العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص٦٢٠-٦٢٤، والزركلى، المصدر السابق، ص٥٢٩، والواسعى، ص١٢٤،١٢٥، وقال: إنه توفى وعمره ينوف على ٧٠عاماً، والصواب: ٨٠عاماً. فقد ولد عام ١١٧٣، وتوفى عام ١٢٥٣هـ، وانظر أيضاً، د.أباظة، المصدر السابق، ص١٩٣-١٩٥.

إنكار لما درج عليه الناس، من بدع وخرافات، والمناداة بالعودة لما كان عليه السلف، مما كان له مردود متباين في العالم الاسلامى، بين مؤيد ورافض، وتوافق أن قدم القائد السعودى الكبير، سعود ابن الامام عبد العزيز، لآداء فريضة الحج موسم ذاك العام (١٢١٤هـ) وبرفقته جمع غفير من أهل نجد والأحساء والبوادى وغيرهم، وكانت حجته حافلة بالشوكة[١] وإظهار المنعة والعزة الإسلامية.

ولاشك أن الإدريسى قد شاهد بعينيه ـ ذاك الموسم ـ هذه الشوكة، واطلع على ماخلف هذا المد الاشعاعي الجديد، وأنه حرب على الصوفية والمتصوفة، وكان حريّ به أن يدع مكة لأهلها ويعود إلى موطنه فى نهاية الموسم، لو كان يخشى على نفسه أو مبادئه، لكنه استمر فيها فترة طويلة، ويبدو أنه خفف من مبادئه، وشغل نفسه بعلوم التفسير والسيرة النبوية[٢] وتجنب الإنخراط فى التيارات الساسية، ولم يثبت عليه أنه أبدى رأياً، أو فتوى، أو شارك فى شئ معاد للدعوة السلفية، كبعض علماء مكة، أمثال ابن عبد الشكور، وأحمد زينى دحلان[٣] بالرغم من أنه ظل بمكة المكرمة حتى شاهد قوات محمد على باشا وهى تحارب قوات الدولة السعودية الأولى. بل نراه عندما ذهب إلى تهامة، واستقر به المطاف فى "صبيا" وكانت يومئذ ضمن إمارة عسير، تحت رئاسة الأمير على بن مجثّل، وهو

---

(١) ابن بشر، ج١،ص٢٥٥.

(٢) العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢، نقلاً عما كتبه تلميذ الادريسى، الشيخ حسن بن أحمد بن عاكش.

(٣) وما ذكره الواسعى، ص١٢٥ فيبدو أنه مجرد تخمين، حيث لم يعط دليلاً على ذلك. ولاسنداً له.

مـوالٍ للسـعوديين ومنـاصر للدعــوة السـلفية[1] فقابلـه ابــن مجثـل بالــترحيب، وأعطـاه قـدره مـن التكريـم، وخصـص لـه راتباً[2] إلى أن توفـى بهـا بعــد سـبع سنين تقريباً.وهـذا يـدل علـى إعتدالـه، وتجنبـه الانخـراط فـى السياسـة.

ثـم خلفـه فـى طريقتـه ابنـه محمــد، و لم يتسـم بالنشــاط والحيويــة، فقــد كـان خـاملاً، ذهـب إلى الحديـدة وأقـام بهـا، و لم يعـد إلى صبيـا إلا قبــل وفاتـه بثمانيـة أيـام، حيـث توفـى بهـا يــوم ٢٣ رجــب ١٣٠٦هــ (١٨٧٧م) تاركـاً ولدين: علـى وعبـد المتعـال[3].

فخلفـه ابنـه علـى بـن محمــد بــن أحمــد، الــذى كــان قليــل الاختــلاط بالنــاس، كثـير العزلــة، حتــى توفــى يــوم ١٧ الحجـة ١٣٢٤هــــ (١٩٠٥م) تاركـاً أربعـة أبنـاء: محمـد، الحسـن، أحمـد، الحسـين. وقـد توفـى الأخــيران فــى أول حركـة أخيهمـا[4].

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٥٣٥.

[2] ابن مسفر، المصدر السابق، ص١٠٩.

[3] ذهب عبد المتعال بن محد ابن الشيخ أحمد، إلى الزينية بالأقصر بمصر، فتزوج من أقربائه فيها، وانجب عـدة أولاد، سافر بعضهم إلى المغرب فتزوجوا من بيت السنوسى هناك، وأقاموا فى القيروان، وعـاد بعضهـم إلى عسـير فـى عهد إمارة ابن عمهم محمـد، منهـم: مصطفـى، والسـيد السنوسـى، والسـيد العربـى أبنـاء عبـد المتعـال. انظـر: الريحانى، المصدر السابق، ص٣١٤.

[4] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٤،٦٢٥

الأمير محمد بن علي الإدريسي

الأمير محمد بن علي الإدريسي، هو أول من أسس إمارة للأدارسة في تهامة، ولد في صبيا عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) ونشأ بها،وتلقى تعليمه الأولى فيها، وفي أبو عريش، ثم رغب في السفر إلى القاهرة ليستكمل دراسته في الأزهر فأنتقل من صبيا إلى مصوع بأرتيريا، ومنها ركب البحر إلى جدة فأدى فريضة الحج عام ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) وبعد الموسم واصل سفره إلى القاهرة، فدرس في الأزهر، وبعد ذلك رحل إلى بلدة "كفرة" بالمغرب فقرأ على السيد السنوسي، ومنها انتقل إلى السوان فأقام في "أرجو" بدنقلة، وتزوج بابنة هارون الطويل، فأنجبت له ابنه علي، ولما عزم على العودة من رحلته العلمية إلى موطنه صبيا، مرّ بالقاهرة، والتقى فيها بمحمد على علوى، المترجم بالسفارة الإيطالية، وكان يعرفه من قبل، فأغراه للقيام بدور سياسي في المنطقة ضد العثمانيين، لصالح إيطاليا، ولصالح نفسه أولاً وأخيراً، ويبدو أن هذا العرض قد وقع من نفسه الطموحة موقعاً جميلاً[1].

---

[1] الريحاني، المصدر السابق، ص٣١٥،٣١٦، والعقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٦،٦٢٧، والواسعي، المصدر السابق، ص١٢٦، ود. أباظة، المصدر السابق، ص١٩٦،١٩٧، ود.سالم، المصدر السابق، ص١٧١،١٧٢، منتقداً الرواية التى أوردها الواسعي عن كيفية اتصال الادريسي بالايطاليين، ومحبذاً أن الاتصال تم عن طريق بعض التجار أو الاتباع المخلصين لكلا الطرفين، وعلى كل فيجوز أن يكون أول اتصال قد تم بين الطرفين في القاهرة عن طريق محمد على علوى المترجم، ثم سافر الإدريسي إلى صبيا ليقوم بدوره، على أن يتم الاتصال بصفة مستمرة بعد ذلك عن طريق بعض هؤلاء التجار.

كـان ذلـك الاتصـال السياســى عــام ١٣٢٣هـــ (١٩٠٥م) والإدريســى فـى طريقـه إلى صبيـا، بعـد رحلـة استغرقت حـوالى أحـد عشـر عامـاً، اكتســب خلالها علمـاً، وحنكـة بـأمور الحيـاة ومتطلباتهـا، ووسـعت مداركـه لاسـتيعاب القضايـا والسياسـة الدوليـة، ولـــذا اسـتغل الفــرص التـى أتيحـت لـه سياسـياً أفضل اسـتغلال، فوطـد أقدامـه.

كانت الدولـة العثمانيـة قـد بلغـت أقصـى تدهـور لهـا، عقـب الهزائـم التـى منيـت بهـا فـى شـرق أوربـا، وأمـام روسـيا القيصريـة، وفقـدت أملاكهـا فـى البلقـان، بالإضافـة إلى القلاقـل الداخليـة، خـلال العهـد الاسـتبدادى للسـلطان عبـد الحميـد الثـانى، والـذى انتهـى بأسـقاطه عـــام ١٣٢٧هـــ (١٩٠٩م) وبقـرب أفـول نجمهـا، وقـد واكـب ذلـك قيـام ثـورات فـى البـلاد العربيـة ضــد الحكـم العثمـانى، وخططـت إيطاليـا ـــ التـى كـانت تحتـل أثيوبيـا فـى ذاك الوقت ـ للاسـتيلاء علـى آخـر أمـلاك الدولـة العثمانيـة فـى غـرب أفريقيـا، وهـى "طرابلس الغــرب" ليبيـا حاليـاً.

وكـان العثمـانيون فـى المنطقـة يحكمـون حيثمـا يسـتطيعون، ويسـتغوون رؤسـاء القبـائل والعشـائر بمشـاهرات لايدفعـون منهـا غـير اليسـير، فـيزيد ذلـك ثـائرة القبـائل، وانقلـب عليهـم الطـامعون عندمـا لمسـوا عجزهـم، وانتقـل الصـراع بـين القبـائل نفسـها، وشـاهد الادريسـى هـؤلاء واؤلئـك فاسـتفاد

منهم جميعاً. واستعان بزعيم على الآخر حتى ساد أكثرهم، فأصبحوا أنصاره[1].

وبادئ ذى بدء ففى طريقه إلى موطنه صبيا نزل بالحديدة، ويقال إن الحكومة العثمانية قد خامرها الشك حول اتصالاته بايطاليا، فجعلت ترصده، لكنه كان على جانب كبير من حصافة الرأى، وبُعد النظر بحيث استطاع أن يضلل عيونها، ويبدد ماحوله من شكوك، فنزل فى مسجد جده فى أطراف الحديدة، وانصرف لشئون العبادة حتى فتر حماسهم فى ترصدهم لحركاته، وبعد أن اطمأن لعدم ترصده، وطمأنهم على حسن مسلكه انطلق إلى صبيا، إلى أهله وذويه[2] ثم كانت الاتصالات بينه وبين الحكومة الايطالية بواسطة كل من: محمد سالم المصوعى، وطاهر الشنيتى، التاجران الشهيران فى المنطقة[3] حيث تتردد تجارتهما على موانئ تهامة، وخاصة بين قوز الجعافرة ومصوع الأريتيرى، وكان لايطاليا أسطول بحرى جاثم فى مينائه، ولديهم دراية ومعرفة كاملة بأحوال المناطق الساحلية فى بلاد العرب.

---

[1] الريحانى، المصدر السابق، ص٣١٦.

[2] كان قد ترك زوجته عند أبيها فى السودان، وعاد بمفرده، وبعد أن استقر به المقام فى صبيا بعث من أحضرها هى وولده علي.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ص٦٢٩، والواسعى، المصدر السابق، ١٢٦.

استقر به المقام في صبيا بداية عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) وكانت المنطقة بما فيها اليمن تموج بالفتن والاضطرابات، لعوامل عدة يرتبط بعضها ببعض، منها الداخلي والخاجي، التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

كان الوضع الإداري والسياسي في المنطقة حين قدوم الإدريسي على الوجه الآتي:

- متصرفية عسير، مستقلة إداريا، يديرها والي عثماني "متصرف" خاضع مباشرة لوزارة الداخلية في الأستانة، وتضم كافة بلدان ومناطق عسير، وتهامة عسير، وقضاء أبو عريش بتوابعه، جنوباً حتى جنوب ميدى وحرض، وفي الجنوب الشرقي وُعار، وعقبة نهوقة، بما فيه جبال رازح، ومنبه والعرو، وبني جماعة، وسحار وغيرها.

- تهامة اليمن وقسم من المنطقة الجبلية بما فيه صنعاء، تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية، يديره والي عثماني خاضع لوزارة الداخلية في الاستانة، وأحياناً لوزارة الحربية، ويطلق عليه والي اليمن، وأحياناً أخرى كان يطلق عليه "حاكم عام اليمن" وكانت أرض اليمن مقسمة إلى عدة ألوية وأقضية، أقربها إلىمنطقتنا المعنية بالدارسة قضاء اللحية، التابع للواء الحديدة، وكان لواء الحديدة يتميز بوضع خاص.

- قسم من المنطقة الجبلية، في الشمال والشرق، وبالأخص التي تقطنها غالبية زيدية، تخضع لنفوذ الإمام وإدارته المباشرة، وكثير من الأئمة كان يعترف رسمياً بسلطة الدولة الإسمية، دون قبول التدخل منها في إدارة المناطق الخاضعة لنفوذه في بعض الجبال، والمفاوضات التي كانت تدور بين الطرفين في بعض الأحيان، ومنها اتفاق "دعان" عام ١٩١١م، كان يدور حول هذا المبدأ، وتحديد نفوذ كل طرف في المنطقة الجبلية[1].

كان متصرف عسير حين قدم الادريسي إلى صبيا عام ١٣٢٥هـ، هو كاظم باشا الذى عُيّن متصرفاً لعسير في بداية العام نفسه بدلاً من تحسين باشا، ولما بدأ الإدريسي يتصل بالقبائل، ويعمل على الإصلاح فيما بينها، ويبث من خلال ذلك نزعة العداء للدولة العثمانية، ويُعِدّهم للقيام بالثورة عليها، والعمل على طردهم من بلاد العرب، أحست الدولة بخطورته، واتهمت كاظم باشا بالتهاون معه منذ البداية، وعزلته، وعينت سليمان كمالى باشا بدلاً منه، ويبدو أن كاظم باشا إستاء من قرار عزله واتهامه بالتقصير، فقرر ترك مقر عمله في المتصرفية وغادرها قبل حضور

---

[1] بعض الوثائق في الأرشيف العثماني تشير إلى هذه التنظيمات الادارية، وتوضيح حدود المتصرفيات والألوية، منها: إرادة داخلية، برقم ٦٤٥٥٣ وتاريخ ١٨ الحجة ١٢٩٦هـ، وإرادة مجلس شورى الدولة، رقم ٢٩٢٤ بتاريخ ٢٨ الحجة ١٢٩٧هـ، وإرادة داخلية برقم ٤٩١٥ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣١١هـ، وإرادة داخلية رقم ٥٢٧٣ بتاريخ ١٣٢٣هـ، ورقم ٥٢٧٤ بتاريخ ٣صفر ١٣٢٣هـ، ورقم ٥٤١٦ بتاريخ ٢٦شعبان ١٣٢٨هـ وغيرها.

سليمان كمالى، ليقوم رسمياً بتسليمها إليه كما هو متبع. ويبدو أنه استشار أمير مكة قبل مغادرته مقر عمله، فأشار عليه الشريف حسين باصدار أمر داخلى منه بتعيين عبد الله بن عايض وكيلاً له، وتسليم الشئون الادارية فى المتصرفية إليه والشئون العسكرية لحيدر بك، وإخلاء مسئوليته بذلك، ووعده بالتدخل لدى الباب العالى، ووزارة الداخلية بالأستانة، لاستصدار الموافقة اللازمة على تعيين ابن عايض فى هذا المنصب .. ولذا نلحظ أن المتصرف الجديد سليمان كمالى، كان قد سعى قبل حضوره فى إحداث هذا المنصب، وفاتح فى ذلك الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ووزير الداخلية وغيرهما، حتى وافقوا على إحداث هذا المنصب فى المتصرفية، فلما قدم فوجئ بابن عايض يشغله، حتى قبل إحداثه، وتقرير راتب واعتمادات له، فسأل حتى عرف الحقيقة، فعجب من تدخل الشريف حسين فى شئون عسير[1].

إن الظروف التى كانت تمر بها المنطقة، والدولة العثمانية بصفة عامة، قد ساعدت الإدريسى على فرض شخصيته على المنطقة، والتفت حوله القبائل والبلدان على أمل أن يخلصها من قبضة الدولة العثمانية، وظلم ولاتها، وسوء معاملتهم لأهل البلاد، ولم تكن الظروف وحدها هى التى خدمته، بل إنه هو الذى طوعها لخدمته، فقد كان ذكياً داهية،

---

[1] المذكرات، ص٣١.

استعان علــى عــدوه بكــل ماحولــه مــن خلافــات، وزعامــات، وصراعــات دولية، ووظـف كـل ذلـك لخدمـة أهدافـه[1].

إستمر مـايقرب مـن عـامين يمهـد لـدوره حتـى تمكـن، فـأعلن دعوتـه فـى ٣٠ذو القعـدة ١٣٢٦هــ (١٩٠٨م) فوفـد إليـه جمـع غفـير مـن رؤسـاء القبـائل والبلـدان فـى المخـلاف لمبايعتـه، وإعـلان الـولاء لـه[2] فـأصبح بذلـك ذو سلطان شـرعي.

وكـان قـد تمكـن مـن تـأمين خـط مواصـلات إمـداده بـالمؤن والعتـاد الحربـى مـن حليفتـه ايطاليـا عـن طريـق مينـائى "مصـوع" علـى السـاحل الأرتـيرى و "قـوز الجعـافرة" علـى سـاحل جـازان، ثـم إلى صبيـا لتوزيعـه علـى أتباعـه بشـكل دقيـق، ورأى أن السـهل السـاحلى لتهامـة عسـير وجـازان سـهل الاكتسـاح مـن قبـل القـوات العثمانيـة، فيمـا لـو نشـبت الحـرب بينهمـا، فعمـل علـى ايجـاد خـط دفاعـات لـه فـى الجبـال الشـمالية الشـرقية التـى يصعـب علـى القـوات العثمانيـة اقتحامهـا بسـهولة، لـذا بـث دعاتـه إلى تلـك المنـاطق، فـأقبل إليـه أهـل الجبـال الجنوبيـة الشـرقية، فدخلـوا فـى طاعتـه عـام ١٣٢٧هــ (١٩٠٩م) وقدمـوا لـه الرهـائن كمـا هـى عـادة القسـم الجبلـى فـى اليمـن، ودفعوا لـه الزكـاة[3].

---

[1] الريحانى، المصدر السابق، ص٣١٧.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ص٦٤٢-٦٤٥، وسليمان كمالى، المصدر السابق، ص٤٣.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ص٦٥٨، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٠٥،٢٠٦.

ولما أدركت الدولة مقدار خطورته على مصالحها فى المنطقة، بدأت تبعث له الوفود للوقوف على مقاصده بالإضافة إلى ماكان يبذله متصرف عسير فى هذا المجال، للحد من نفوذ الادريسى بالتفاهم والوسائل السلمية. وكان من بينها وفد قدم من الأستانة برئاسة سعيد باشا، وبرفقته توفيق الأرناؤوطى، شيخ الطريقة الأحمدية بالأستانة، فوصل إلى جازان فى بداية عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) وتمكن الادريسى بلباقته من اقناع الوفد بحسن نواياه، وانتهت المفاوضات التى جرت بالحفائر قرب جازان. بابرام عهد واتفاق نص على الآتى:

١- أن يعترف الإدريسى بالتبعية العثمانية، وشرعيتها على المخلاف السليمانى.

٢- أن يُمنح رتبة "قائمقام" ويقوم كموظف عثمانى بشئون صبيا، وما يتبعها (أى من صامطه والموسّم جنوباً إلى حليّ بن يعقوب شمالاً).

٣- يتعهد بتسهيل إجراءات مدّ سلك البرق "التلغراف" عبر المخلاف السليمانى، لربط اليمن بالحجاز برقياً.

٤- أن يسمح للدولة باقامة مراكز جمركية فى موانئ المخلاف، وبعث مأمورين لها من قبلها.

٥- تتعهد الدولة بالغاء الضرائب، وتكتفى بما تحصله من زكاة شرعية على الحاصلات الزراعية، والمواشى، وأن ينوب

الإدريسى عنها فى تحصيل الزكاة المقررة شرعاً، مقابل حصوله على ثلث مايقوم بتحصيله، لتغطية نفقاته، ونفقات إقامة جيش وطنى من أهل البلاد، لإقرار الأمن والأوضاع فى البلاد التى أصبح مسئولاً رسمياً عنها[1].

وهى اتفاقية فى صالح الإدريسى بكل المعايير، فقد اعترفت به الدولة كشخصية قيادية فى المنطقة، وخولته السلطات، وأكدت شرعية سلطته فى المنطقة، ومنحته رتبة "قائمقام" اعترافاً منها بشخصيته وفوضته باقامة جيش وطنى من أهل البلاد. كما فوضته بتحصيل الزكاة، وأضافت إلى نفوذه قضاء رجال ألمع، وكان قبل ذلك تابعاً لمتصرفية عسير أما من جهته فقد اعتبرها مكسباً ومغنماً، والخطوة الأولى على طريق تحقيق الطموحات. فقد سارع باسال نوابه على الجهات والبلاد التى تخضع لنفوذه بموجب هذه الاتفاقية. و لم يمكن الدولة من الإشراف على الجمارك بموانئ المخلاف. وكان قد مدّ نفوذه قبلها إلى الحبال الجنوبية الشرقية، من بنى مالك حتى الظاهر، كما ذكرنا ذلك. وبعد هذا الاتفاق مدّ نفوذه إلى الجبال الشرقية أيضاً، بنى جماعة وسحار، وشذا، والعرو، والنظير. متغلغلاً إلى "هجرة فللة" كما امتدّ نفوذه إلى رازح من خولان السافلة، وأقبل إليه أهل هذه المواطن يعلنون له الولاء والطاعة دون إراقة نقطة دماء. وقام بزيارة معظم تلك المناطق فى شهر جمادى الأولى ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص٦٦٤-٦٦٧، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٠٧،٢٠٨، وسليمان كمالى، المصدر السابق، ص٣٨.

وبذلك بلغ نفوذ الادريسي شرقاً إلى حدود "فللة عذر" وجنوباً إلى الظاهر، والشمال الشرقي إلى بلاد سحار.

كانت هذه المناطق تعتبر خاضعة اسمياً لنفوذ الدولة العثمانية، فيما عدا "هجرة فللة" التي كان يعتبرها إمام صنعاء خاضعة لنفوذه، لقربها من صعدة مركز الأئمة الزيدية، لذا عمل على استعادتها، بقوات تحت قيادة محمد أبو نيب، ونكل بالذين أعطوا الولاء للإدريسي. وعمل ترتيبات لايقاف زحف الادريسي إلى تلك الجهات.

واستمر نفوذ الادريسي في تلك الجهات شاملاً جبال ومناطق: منبه، والعرو، فيفا، بني مالك، رازح السفلي. وفي عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) حاولت قوات الإمام احتلال جبل "حُرم" كخطوة أولى للتقدم إلى رازح، غير أن قوات الادريسي ردتها على أعقابها، واستمر الوضع هكذا حتى عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) حين تمكن الجيش المتوكلي من احتلال جبل "القطير" و لم يفلح الادريسي في استعادته[١].

أما في الجبهة الأخرى العثمانية، فبعد اتفاقية الحفاير مع سعيد باشا، ظلت الدولة تتحين الفرص للإيقاع به، لاسيما وأنه قام بتحريض قبائل المخلاف وعسير للقيام بثورة ضد القوات العثمانية في المتصرفية، ثم أصدر أوامره إليها أواخر شهر ذى القعدة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) بالتحرك لحصار

---

[١] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٨-٦٦٢.

"أبها" قاعدة المتصرفية واستمر الحصار اكثر من سبعة أشهر، وقاد الشريف حسين حملة بتكليف من الدولة شاركت في فك حصار أبها، وكان الثوار قد حاصروا أيضاً الحامية العثمانية التي كانت تقيم في "عقبة شعار" واضطرتها إلى الاستسلام، واستحوذت على ماكان لديها من مؤن وذخائر[1]، وأثناء ذلك تمكن أحمد شريف الخواجي، أكبر واخطر معارضي الإدريسي[2] من الهرب من صبيا إلى الأستانة، وعرض قضيته على رجال الدولة، وما أصابه نتيجة إخلاصه لها، مما أثار عاطفتهم لمؤازرته، وصدرت أوامر الدولة بطلب حضور الإدريسي إلى العاصمة العثمانية بصفته أحد موظفيها للتحقيق معه، لكن الإدريسي امتنع عن السفر، لأنه يعرف الهدف من ورائها، فاعتبرته الدولة متمرداً رسمياً على تنفيذ أوامرها، وجردت عليه حملة بقيادة محمد راغب بك، لاحتلال صبيا والقبض على الادريسي، وكانت هذه أول مصادمة عسكرية حقيقية بينه وبين الدولة، وقد علم الادريسي بأمر هذه الحملة قبل تحركها، فأعد للأمر عدته، وانزل بها هزيمة مروعة يوم ١٠ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ (١٩١١م)

---

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص٢١٣.

[2] كان أحمد شريف الخواجي، من الخواجيين أمراء المخلاف السابقيين، وكان من أبرز شخصيات صبيا قبل عودة الإدريسي إليها من رحلته العلمية، وقد وقع عليه اختيار الدولة العثمانية ليمثل صبيا في مجلس المبعوثان ضمن ثلاثة اشخاص كانوا يمثلون المخلاف. ومكث في الاستانة حوالي عام إلى أنفضاض المجلس، في بداية العهد الدستوري، فلما قدم الإدريسي كان من أشد المعارضين له، حتى ارتكب ما جعله يقع تحت طائلة المحاكمة، فحكم عليه تعزيزاً بقطع يديه، والبعض يقول إنه لم يرتكب مايوجب قطع اليد، وحتى لو استوجب ذلك، فإن حكم الشرع واضح في شأن المفسدين في الأرض، بأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، بنص القرآن الكريم في الآية رقم ٣٣ من سورة المائدة، لذا استحوذت قضيته على عطف من علم بها وقتذاك.

عند "الحفاير" بالقرب من جازان، التى كانت لهم بها قبل ذلك بعض القوات، فانسحبوا جميعهم إلى القنفذة، وأخلوا جازان فاستولى عليها الإدريسى ودخلت ضمن نفوذه، ومن دلائل التنسيق الحربى بين الإدريسى وإيطاليا، أن الأسطول الايطالى فى البحر الأحمر قدم إلى جازان للاشتباك مع القطع الحربية العثمانية التى تساعد القوات المهاجمة براً، ولما قدم عرف برحيل جميع القوات العثمانية إلى القنفذة، فأنطلق إليها وضربها وحطم ثلاثة طرادات تركية[1].

أما علاقة الإدريسى بالامام يحي إمام اليمن فقد اتسمت فى البداية بعدم الثقة، بالرغم من أن كلاً منهما تظاهر بمد يده للآخر للوقوف أمام العدو المشترك، المتمثل فى الدولة العثمانية، بينما الغاية المستترة لكل منهما هى بسط نفوذه على أكبر مساحة مما هو فى حوزة النفوذ العثمانى، بالوسيلة التى يراها كل منهما ملائمة له. ثم مالبث أن تحول عدم الثقة إلى تنافس وعداء مستحكم بينهما، وبخاصة بعد اتفاقية "دعان".

وبالنسبة للدولة العثمانية، وتغيير السلطة فيها، فقد استبشر العرب خيراً باعلان الدستور الجديد، وإنهاء عهد الاستبداد الحميدى عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وكان أمل العرب كبيراً فى أن تشهد بلادهم شيئاً من الاصلاح والعمران فى مختلف المجالات، وكان الاتجاه السائد فى

---

[1] د. أباظة، المصدر السابق، ص٢١٠-٢١٢، والعقيلى، ج٢، ص٦٧٠-٦٧٤، وسليمان كمالى، المصدر السابق، ص١٠٧.

الأوساط الحكومية الرسمية بالاستانة، أن تعمل على الوصول إلى حل لقضية اليمن، المتمثلة فى ايجاد نوع من الاستقرار بها، بعد الثورات السابقة التى كانت شبه مستمرة، وبالفعل تشكلت لجنة من مجلس المبعوثان واجتمعت باليمن عدة اجتماعات مع مندوبى الإمام يحي، وفى يوم ٢١رجب (٧ أغسطس ١٩٠٩م) أقرت مشروعاً للاصلاحات من ست مواد، تضمنت تقسيم اليمن إلى ولايتين: ساحلية وجبلية، يتم تفويض إدارة الولاية الجبلية إلى الإمام يحي، والولاية الساحلية إلى ذوى الكفاية والاقتدار، وخولت الإمام بعض السلطات والصلاحيات. ووافق الإمام على هذا المشروع، ورفع إلى الأستانة، فعرض على مجلس المبعوثان فوافق عليه، وأثناء ذلك آلت السلطة إلى حكومة الاتحاديين، التى تبنت إحياء النزعة الطورانية، وتمييز العرقية التركية، وإهمال ماعداها من عرقيات، بل العمل على ادماجها فى التركية إلى غير ذلك من قرارات أصابت العالم العربى بالدهشة والذهول، وكان من بين ذلك سحب المشروع الذى ووفق عليه من قبل بشأن الاصلاحات فى اليمن، وتبنوا فكرة أخذ اليمنيين بالشدة مخافة أن تنتقل عدوى الثورة إلى البلدان المجاورة وبخاصة الحجاز، وارسلوا لهذا الغرض محمد على باشا والياً على اليمن فوصل صنعاء يوم ١٢جمادى الأولى ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) وحدثت ثورات فى سوريا، ولبنان والبانيا، وتبعتها ثورة فى اليمن حاصروا خلالها الوالى المذكور فى صنعاء[1] وقبيل هذه الثورة اليمنية راسل الإمام يحي، زميله

---

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص١٨٠، ٢٢٠-٢٢٢، ٢٥٦-٢٥٨، والواسعى، المصدر السابق، ص٣١٤-٣١٧،--

الإدريسى كى يثور هو الآخر على الأتراك، فكان الإدريسى أسبق فى حصاره لأبها، فى ذى القعدة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)[1] وكانت الدولة العثمانية ـ تحت ضغط الثورة العارمة فى اليمن وعسير ـ قد قامت بسحب بعض قواتها الموجودة فى طرابلس الغرب لمواجهة الثورة فى اليمن وعسير، مما أضعف حاميتها التى استمرت فيها، وهذا ما كانت تخطط له إيطاليا، فبدأت فى تنفيذ خطتها للاستيلاء على طرابلس الغرب، فضربتها بالقنابل من البحر مساء آخر يوم من شهر سبتمبر ١٩١١م (٧شوال ١٣٢٩هـ) ونزل جنودها إلى الشاطئ صباح أول أكتوبر ١٩١١م (٨شوال) و لم يجدوا مقاومة تذكر[2] وكان ذلك إعلانا رسمياً للحرب بين الدولتين، فنشط أسطولها فى البحر الأحمر، فى ضرب قطع الأسطول العثمانى، ومراكز التحصينات والتجمعات للقوات العثمانية على ساحل تهامة اليمن، مما حفز الادريسى وسهل له مهمته فى الزحف جنوباً للاستيلاء على بعض البلدان والمناطق الجنوبية من تهامة اليمن، واستخلاصها من أيدى العثمانيين.

--- ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٩٦-١٠٠.

(١) سليمان كمالى، المذكرات، ص٦٧، حيث يقول: دامت المحاصرة سبعة أشهر وبضعة أيام، وفى طول تلك المدة لم يأتنى خبر من الأستانة مباشرة، غير أن قائمقام القنفذة أرسل إلى يخبرنى بأن الامام يحي أيضاً ثار على الدولة فى اليمن. ويقول ابن مسفر، المصدر السابق، ص١١١ إن الحصار استمر تسعة أشهر.

(٢) د.سيد سالم، المصدر السابق، ص١٣٣، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٧٨، وكانت طرابلس الغرب (ليبيا) آخر ولاية عثمانية بشمال أفريقيا، محصورة بين مصر المحتلة من الانجليز، وتونس المحتلة من الفرنسيين.

وقبيل نشوب الحرب فى طرابلس الغرب، أرادت الدولة أن تحل قضية الثورة فى اليمن وعسير، لتوفر على نفسها عبء المواجهة فى تلك الجبهة، وتتفرغ لمواجهة إيطاليا فى طرابلس الغرب، لاسيما وأن قواها الحربية أصبحت ضعيفة للغاية أواخر عهدها. مقتنعة بأن أسلوب العنف والشدة غير مجدٍ، ومن الأفضل لها أن تلتقى مع رغبات اليمنيين فى تهدئة الأوضاع وعقد صلح برضى الطرفين، فبعثت لهذا الغرض أحمد عزت باشا، والياً وقائداً عاماً للقوات العثمانية فى اليمن[1] وما أن وصل الوالى الجديد إلى صنعاء فى شهر ربيع الأول ١٣٢٩هـ (أوائل مايو ١٩١١م) حتى بادر بالكتابة إلى الامام يحي، وكان مقيماً "بشهارة" يعرض عليه رغبته فى عقد صلح يريح به الجانبين من الفتن والحروب. ويطلب الاجتماع فى أى مكان يراه. فجاءه الرد بالموافقة وعلى أن يكون الاجتماع فى "دعان" وهى قرية غربى مدينة عمران. وانتهت المفاوضات

---

[1] قالت عنه جريدة المؤيد المصرية: إن عزت باشا كان من أعلى بيوت المجد والشرف فى ألبانيا، وتربى تربية عسكرية عالية فى ألمانيا، حتى أن الأمبراطور غليوم، أمبراطور ألمانيا، كان يفتخر بأن المدارس الألمانية انجبت مثل عزت باشا من العثمانيين، وكان السلطان عبد الحميد قد نفاه إلى سوريا فى أثناء حكمه لمدة طويلة، لأنه كان يخشى من الشخصيات القوية ذات النفوذ، ولما زار غليوم إمبراطور ألمانيا، سوريا، وعرف بوجود عزت باشا بها، قال لوالى بيروت: إذا كان الجيش العثمانى مستغنيا عن عزت باشا، فإن الجيش الألمانى فى حاجة إليه، ونقل هذا الحوار إلى السلطان عبد الحميد، فأعاده إلى الخدمة مضطراً، ومنحه رتبه عالية، ثم بعثه بعد فترة قائداً لاحدى الفرق المتجة إلى الحديدة، فأقام بها فترة أحبه الناس، واشتهر بسمعته الطيبة، ولما أعلنت الدولة الدستور، عين رئيساً عاماً لأركان الجيش العثمانى، بالإجماع، كما اشتهر بكرم الأخلاق والحنكة والفصاحة التى استمال بها إمام صنعاء، ووقع معه اتفاق دعان. انظر د.أباظة، المصدر السابق، ص٢٥٩، والواسعى، المصدر السابق،ص٣١٧-٣٢٠.

بعقد اتفاقية "دعان" الموقعة فى أول شهر ذى القعدة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) والتى تكونت من عشرين بنداً، تتضمن تخويل الامام الاشراف على شئون القضاء، والاوقاف، وأن تكون جبايات الأموال بالطريقة الشرعية، وأن يكون من حق الامام تنصيب الحكام على المناطق الزيدية، والدولة من حقها التنصيب على مناطق الشافعية والحنفية، وله إدارة بعض المناطق الجبلية، وللدولة بعض المناطق الأخرى، بالاضافة إلى تهامة اليمن، وغير ذلك من تفصيلات، مضمونها اعتراف العثمانيين للامام ببعض النفوذ الدينى والادارى، مقابل اعترافه بالسلطة العثمانية[1] وكان مما عجل بتوقيعها إندلاع الحرب فى طرابلس الغرب.

عقب توقيع اتفاقية "دعان" شعر الإدريسى بأنه أصبح فى الميدان وحده لمواجهة العثمانيين، وأن حليف الأمس تخلى عنه، ووضع يده فى يد العدو الذى طالما حثّ مواطنيه على قتاله، ومن هنا أشعل حماس الناس ضد الأتراك والامام يحي معاً. وبادر أتباع الإدريسى بقطع أسلاك البرق (التلغراف) لكى يعزلوا صنعاء عن الاتصال بالعالم الخارجى. وشدد الحصار على أبها، وانسلخت بعض القبائل كقبيلة حاشد، عن طاعة الإمام، وأعلنت ولاءها للإدريسى[2] وحاول عزت باشا احتواء الإدريسى

---

[1] الواسعى، ص٣٢٠، ٣٨٠-٣٨٢، ود.أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٢٦٣-٢٦٦، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ١٣٦-١٥٢، ٤٩٥، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٦٩، ٢٨١-٢٨٤، والريحانى، المصدر السابق، ص١٤٧.

[2] د.سالم، المصدر السابق، ص١٤٤، ود.أباظه، المصدر السابق، ص٢٩٦-٣٠٣، ٣٢٢-٣٢٦.

سلمياً فلم يفلح، فطلب من الإمام أن يكتب إلى الإدريسي ينصحه بعدم معاداة الدولة، فكتب له الامام للدخول في الصلح، فلم يستجب الادريسي[(١)] لذا تعاون الحليفان: عزت باشا ممثلاً للدولة، والامام يحي في القضاء على الإدريسي، حتى أضحى موقفه صعباً، خاصة بعد أن انضم إليهما الشريف حسين من الشمال. فلم يجد الادريسي مفراً من الاعتماد بشكل أساسي على إيطاليا، بالرغم مما كان يشاع حوله من كونه وضع يده في يد غير المسلمين ضد المسلمين[(٢)] وعندما يئس عزت باشا من استجابة الادريسي جهز عليه حملة قادها محمد على باشا الوالى السابق لليمن، والذى استمر قائداً للقوات العثمانية في اليمن، وحملت قواته ومعداته بحراً من ميناء الحديدة، ونزلت ميناء جازان، وبدأوا في ترتيب أمر زحفهم إلى الداخل آواخر عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ثم علم أن الأسطول الإيطالى في طريقه إلى جازان، فحمل ماخف حمله من المعدات وانتقل إلى القنفذة، وترك كثيراً من معداته بعد أن أشعل في بعضها النار، واستولى اتباع الادريسي على مابقي سليماً منها، وبذلك فشلت أيضاً هذه الحملة[(٣)].

وعاودت الدولة إتصالها بالادريسي بشأن إجراء مفاوضات لعقد صلح وحسم الخلافات بينه وبين الدولة، وذلك في عهد الوالى محمود

---

(١) د.أباظة، المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٥،٣٢٠، وسليمان كمالى، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) د.أباظة، المصدر السابق، ص٣١٠-٣١٤، العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٠٣-٧٠٦.

(٣) العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٠٦،٧٠٧، د.أباظة، المصدر السابق، ص٣٢١.

نديم بك[1] فقد سعى قائمقام اللحية ابراهيم بك خليل بالاتصال بالادريسى بتاريخ ٤ربيع الأول ١٣٣١هـ (١٠مارس ١٩١٣م) ومهد لهذا اللقاء، حيث طلب من الوالى العثمانى الحضور من صنعاء الى اللحية، كما طلب من الإدريسىأن يأتى إلى مدينة "مَيْدى" ليكون على مقربة. وكانت ميدى ذاك الوقت خاضعة للإدريسى. وطرحت بعض النقاط للتفاوض غير أن الادريسى رفضها، فقد أصبح فى مركز قوة، وصاحب نفوذ فى منطقة فقدت الدولة نفوذها عليها، وانفرد هو بذلك النفوذ وكانت هذه آخر مفاوضات تجرى بينهما لعقد صلح، بينما استمرت المناوشات والحروب بين الإدريسى من جهة، والأتراك يساندهم الامام من جهة أخرى، فقد اصطدم رجال الادريسى بأتباع الامام يحي فى بلاد "حجور" و"خولان الشام" و"رازح" وغيرها[2]. وكانت كفة الإدريسى هى الراجحة، حيث استولى على جميع جبال رازح حتى قرب مدينة صعدة اليمنية، وظلت تحت حكم الإدريسى حتى توفى، فاغتنم الامام يحي الفرصة وأخذ فى الزحف التدريجى على جبال رازح، الجبل تلو الجبل، وأخيراً تمكن من الاستيلاء على قاعدة تلك الجبال "جبل النظير" وفى عام ١٣٤٤هـ استولى على جبل "شدا"[3].

---

[1] تولى ولاية اليمن فى جمادى الأولى ١٣٣٠هـ (مايو ١٩١٢م) وكانت الدولة العثمانية على وشك الدخول فى الحرب البلقانية (١٩١٢م/١٩١٣م).

[2] د.أباظة، المصدر السابق، ص٣٣٠.

[3] انظر المخلاف السليمانى، للعقيلى، ج٢، ص٧٤٩،٨٩٣ ومابعدها.

وكان من نتيجة التنسيق مع إيطاليا أن قام الأسطول الإيطالى بضرب ميناء "مَيْدى" التى كان قد استعادها العثمانيون من الادريسى فتقدم الإدريسى وحاصر الحامية التركية الموجودة بها حتى استسلمت، فاستولى على المدينة، ثم تقدم واحتل "حرض" وبعث بعض قواته تحت قيادة محمد طاهر رضوان، يساعده ابراهيم بن فتح الدين، فاستوليا على "جزيرة فرسان" وطردا الحامية التركية منها. ثم تقدمت قواته واحتلت جزءاً من بلاد عبس، إلا أن الأتراك استطاعوا إيقاف تقدم قواته جنوباً، فظل كل فريق محتفظاً بمواقعه من منتصف عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) حتى عام ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) تقريباً[١] وخلال ذلك كانت إيطاليا قد استنفذت أغراضها من الإدريسى فتخلت عنه، لكن انشغال الدولة العثمانية بحروب البلقان (١٩١٢-١٩١٣م)[٢] إضطرها إلى توزيع قواها الحربية، فأبقت الوضع على ماهو عليه فى بلاد العرب، إلى أن بدأت الحرب العالمية الأولى[٣] وسعت بريطانيا لكسب الزعماء العرب إلى

---

(١) العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٢٥-٧٢٧.

(٢) أعقبت حرب طرابلس الغرب، حين تعاقدت كل من صربيا وبلغاريا عام ١٩١٢م، على زيادة أراضيهما على حساب الدولة العثمانية، ثم انضمت إليهما اليونان، والجبل الأسود، وأرادوا فى بعض المراحل الاستيلاء على جزء من أرض ألبانيا، فتصدت لهم النمسا، والمجر، وإيطاليا، وامتلأت الأجواء العالمية بنذر حرب عالمية، وبدأت بريطانيا تعمل حساباتها مسبقاً، لتوطيد نفوذها على حساب الدولة العثمانية، وكان هذا من مصلحة الادريسى.

(٣) بدأت فى ظل الأجواء المعتمة التى خلفتها الحرب البلقانية. باغتيال "فرديناند" ولى عهد النمسا فى سراييفو، بأيدى الصربيين، وهددت النمسا باحتلال قسم من صربيا يوم ٢٨يونيو١٩١٤م، وبدأت المناوشات من جانب النمسا وانضمت لها المجر، ضد صربيا، وسلوفيا، والجبل الأسود، ثم تطور الوضع فى نهاية صيف ١٩١٤م،--

جانبهـا، فكـان الادريسـى أول مـن لبـى نداءهـا، فعقـدت معـه معـاهدة بتـاريخ ١٥جمـادى الآخـرة ١٣٣٣هـ (٣٠ابريـل ١٩١٥م) تكونـت مـن ثمـان مـواد، وتضمنـت الوقـوف معـاً ضـد الدولـة العثمانيـة، وشـن الحـرب عليهـا، وأن يعمل الادريسـى على محاولـة طرد الأتـراك مـن قواعدهـم فـى اليمـن، ومـن ثـم يوسـع رقعـة إمارتـه على حسـاب الأتـراك، ولا يمس مايثـير الخصومـة والعـداء مـع الامـام يحـي. وتلـتزم بريطانيـا بحمايـة إمـارة الادريسـى ضـد أى هجـوم بحـرى، وضمـان اسـتقلاله بإمارتـه وأن تمـده بالمـال والمعـدات الحربيـة والعـون اللازم طيلة مـدة الحـرب، وتمنحـه الحريـة الكاملـة فـى الملاحـة البحريـة.

ومما يلاحـظ على هـذه المعـاهدة: فمـع كونهـا تعتـبر بمثابـة معـاهدة حمايـة، إلا أنهـا اعـترفت باسـتقلال إمـارة الادريسـى، وضمنـت اسـتقلالها وقـت الحـرب، وأبـاحت لـه العمـل علـى توسـعتها علـى حسـاب الدولـة العثمانيـة، أى مـن الأراضـى الخاضعـة لنفـوذ الدولـة العثمانيـة، وشـرطت عليـه ألا يثـير أى عـداء أو خصومـة مـع الامـام يحـي، بـأن يمـد نفـوذه إلى الأراضـى الخاضعـة لنفـوذ الامـام يحـي. وهـى التـى يقطنهـا الزيديـون بمقتضـى ماحددتـه معـاهدة "دعـان" وذلـك خشـية أن يدفـع ذلـك الامـام إلى التحـالف مـع العثمـانيين، ولهـذا نلحـظ أن الإدريسـى حـاول فعـلاً أن يمـد نفـوذه جنوبـاً فـى

--- فانضمت ألمانيا إلى النمسا والمجر، ثم تبعتها الامبراطورية العثمانيـة فـى ١١نوفمبر ١٩١٤م (٢٢ذو الحجـة ١٣٣٢هـ) وسمو دول الائتلاف وكانت انجلترا وفرنسا وروسيا، قد انضموا إلى جـانب صربيـا، وأطلقـوا علـى أنفسهم دول الوفاق ثم الحلفاء. وانضمت اليهم كثير من دول العالم، واشتعلت نار الحـرب العالميـة الأولى، ولم تخمد إلا فى ١١نوفمبر ١٩١٨ بتوقيع الهدنة، والاستسلام وانتصار الحلفاء.

تهامة اليمن، وكانت وقتها خاضعة لنفوذ الدولة العثمانية، و لم يتجه نحو المناطق الجبلية التى تخضع لنفوذ الامام، بالرغم من أن الامام لم يكن محايداً تماماً فى الحرب العالمية الأولى، فقد كان يتعاون مع العثمانيين بوسائل مختلفة. وكان يأمل أن يتمكن العثمانيون من القضاء على الادريسى، ويخلو له الجو فى المنطقة، وبالاضافة لما سبق فإن المعاهدة ضمنت للادريسى أن تظل موانيه مفتوحة للتجارة، فى الوقت الذى حوصرت فيه بقية موانئ الساحل، ولذا استفاد كثيراً، وأصبح هو المحتكر فى المنطقة لمعظم أنواع التجارة. والمتحكم فى أسعارها[1].

ونتيجة لهذه الاتفاقية فقد تقدمت قوات الادريسى فى شهر جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ (مايو ١٩١٥م) واستولت على مدينة "اللحية" من أيدى العثمانيين وذلك بمساعدة الأسطول البريطانى الذى قام بقصفها من البحر أكثر من مرة، ويبدو أن قذائف الأسطول كانت مؤثرة، وضاع بسببها الكثير من أرواح سكانها العرب، مما حزّ فى نفس الإدريسى فكتب إلى القيادة الانجليزية فى عدن يعبر عن أسفه لما ألمّ بالسكان من جراء هذا

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٣،٧٣٤، ود. أباظة، المصدر السابق، ص٣٦١-٣٦٤، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢١١-٢١٤، وجون بولدرى، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، إبان الحكم التركى، ١٩١٤-١٩١٩م، ترجمة وتقديم، د.سيد سالم،ص٣٣.

القصف، ويطلب تلافى ذلك مستقبلاً، وأن يكون التركيز على القوات العثمانية فى نقاط تمركزها على الساحل[1].

وبالتنسيق مع الخطة العامة للحلفاء، أثناء زحفهم على فلسطين والشام والعراق، قام الأسطول البريطانى فى البحر الأحمر بضرب الموانئ والمدن الساحلية التى تمركزت فيها قوات عثمانية، كالحديدة، والمخا، والصليف، واللحية التى كانت قد استعادتها القوات العثمانية من الادريسى. وفى نفس الوقت طلبت القيادة البريطانية فى عدن من الادريسى أن يتقدم بقواته براً لاحتلال تلك الموانئ. لكن قواته كانت بطيئة فى زحفها خلال عام ١٩١٨م، فلم تتمكن من الاستيلاء إلا على اللحية وبعض المناطق الأخرى جنوبها، أما الحديدة فقد كان فيها بريطانيون مدنيون قبل الحرب، وعند إعلانها قام الحاكم العثمانى للحديدة بالقبض عليهم واعتبرهم أسرى حرب،ووضعهم فى معسكر خاص بهم خارج مدينة الحديدة، ولذا وضعت القيادة البريطانية فى عدن خطة لاحتلال الحديدة أثناء قصفها، ومن ثم تخليص هؤلاء الرعايا البريطانيين من الأسر، كما أسهمت القوات البريطانية فى احتلال الصليف وسلمتها للإدريسى فى ١٤نوفمبر ١٩٢١/١٤ ربيع الأول ١٣٤٠هـ، وبقيت الحديدة التى تسلمتها من الأتراك عقب الهدنة تحت يدها تستعملها فى الضغط على الامام فى مفاوضاتها معه بعد الحرب بشأن المحميات ثم

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ص٧٢٨،٧٢٩، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢١٥،٢١٦، ود.اباظة، المصدر السابق، ص٣٦٤.

قـــامت بريطانيـــا بتســـــليمها إلى الادريســـــى فــــى ٢٠ جمــــادى الأولى ١٣٣٩هـ/٢٩ينـاير ١٩٢١م، بعـد أن قـامت باسـتفتاء أهلهـا بـابداء رغبتهـم فـى الحكـم الـذى يرونـه، فـأبدى بعضهـم الاسـتقلال وانشـاء إمـارة مسـتقلة تنضم إليهـا بعـض البلـدان والنواحـى المجـاورة فـى تهامـة اليمـن، فرفـض الانجليـز هـذه الفكـرة، فـأبدى البعـض التمسـك ببقـاء الحكـم العثمـانى، أو الانضمـام إلى الحكـم المصـرى. فرفـض الانجليز ذلـك، ثـم أوعـزوا إلى القـوات الإدريسـية بـالتقدم لدخـول المدينـة وتسـلمها، وضمهـا إلى الإمـارة الادريسـية[1].

وكـانت بريطانيـا قـد عقـدت معـاهدة ثانيـة مـع الإدريسـى فـى ٢٨ربيـع الأول ١٣٣٥هـــ/ ٢٢ينـــاير ١٩١٧م، تعتـــبر مكملـــة للمعـــاهدة الأولى، وتضمنـت سـت مـواد، اعـترفت فيهـا بتبعيـة جـزر فرسـان للامــارة الادريسـية، وامتـداد مفعـول المعـاهدة إلى ذريتـه مـن بعـده، بعـد أن كـانت الأولى محـددة بعشر سـنين فقـط[2].

انهـارت جيـوش دول الائتـلاف (الدولـة العثمانيـة، ألمانيـا، النمسـا، المجـر) أمـام ضربـات الحلفـاء (انجلـترا، فرنسـا، ايطاليـا، وغيرهـا مـن الـدول التـى انضمـت إلى الحلفــاء) ورضخـت الدولـة العثمانيـة لشـروط الصلـح، التـى

---

[1] جون بولدرى، المصدر السابق، ص١٣١-١٣٤، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢٤٨-٢٦٣، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٤٠٨، ٤١١، والريحانى، المصدر السابق، ص٢٧٣، ٢٧٤.

[2] جون بولـدرى، المصدر السـابق، ص٣٣، ٣٤، زد.عصـام ضيـاء الدين السـيد، عسـير فـى العلاقـات السياسـية السعودية اليمنية، ص٢١-٢٣، وايضاً الوثـائق الانجليزيـة ـ وثـائق وزارة الخارجيـة ـ ملـف ١١٢ **(f.o.112 371/3060** بتاريخ ٢٠أكتوبر ١٩١٧م، وتاريخ ١مايو ١٩١٨م.

سلبت منها أملاكها، ووقعتها مرغمة فى ٧صفر ١٣٣٧هـ (١١ نوفمبر ١٩١٨م) وكان هذا إيذاناً بغروب شمس الامبراطورية التى حققت أروع الانتصارات وانتهت بأقسى الانهزامات فى العصر الحديث.

كان من بين شروط الهدنة (مادة ١٦)، أن يقوم قادة وجنود القوات العثمانية فى بلاد العرب (اليمن والمدينة المنورة، وعسير) بتسليم أنفسهم، مع معداتهم وأسلحتهم، للقادة البريطانيين الذين يتم تحديدهم فى تلك المناطق، أو من ينوبون عنهم، وان يتم تسليم البلاد إلى أهلها الأصليين، وعهدت بريطانيا إلى الادريسى مهمة ابلاغ أمر التسليم إلى القائد العثمانى فى متصرفية عسير، محي الدين باشا، آخر الولاة العثمانيين على عسير، الذى قام فى ربيع الأول ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م) بتسليم أمور المتصرفية إلى وكيله الحسن بن على بن عايض، وهو حفيد محمد بن عايض الذى قتله غدراً رديف باشا فى صفر ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) كما سبق أن علمنا. بينما كان الادريسى ينتظر أن يقوم المتصرف العثمانى بتسليمها إليه مستفيداً من تفويض الانجليز له بالتبليغ ومن ثم التسليم، ومن هنا اعتبر أن ابن عايض استولى على ماليس له ونشأت بينهما حساسية، ومفاوضات.

أما الامام يحي فقد قام الوالى العثمانى فى صنعاء، محمود نديم بك، بتسليم صنعاء إليه، كما قام قائد القوات العثمانية فى اليمن أحمد توفيق باشا بتسليم المعدات والأسلحة إليه، وطلب سعيد باشا الذى كان قد استولى على لحج، من الامام أن يبعث إليه من يتسلم محمية لحج وغيرها مما

استولى عليه أثناء الحرب،لكن الامام أو الوالى العثمانى فى صنعاء، لم يرسلا إليه أحداً، فتركها للانجليز، وسلم نفسه وجنده اليهم فى عدن[1].

بانسحاب العثمانيين من اليمن، اشتدت حدة الصراع بين الامام يحي والادريسى، وقد فرغ الميدان لهما، فالإمام مهيمن على المنطقة الجبلية فى الوقت الذى يهيمن الادريسى على معظم تهامة وموانئها[2]، وبالأخص "الحديدة" ولايمكن أن يستمر هذا الوضع فى نظر الإمام، لاسيما وأن الادريسى لم يستحوز على الحديدة من أيدى العثمانيين، وإنما الانجليز هم الذين سلموها له، مع أنهم يعلمون أنها الميناء الطبيعى المهم لصنعاء، ومن ناحية أخرى فإن تهامة اليمن بما فيها "الحديدة" يعتبرها الادريسى إمتداداً طبيعياً وحيوياً بالنسبة لإمارته[3] ودخلت المنطقة فى دوامة من الصراعات، لم يظهر لها فى الأفق القريب إنقشاع.

نظر الإدريسى فوجد إمارته محاطه بخصوم يتربصون بها، فالإمام يحي فى الجنوب يتهيأ فعلاً للاستيلاء على "الحديدة" ومن المؤكد أن أطماعه لن تقف عندها، وفى الشمال الملك حسين المزهوّ بخمرة الانتصار

---

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص٤٠٩، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢٢٢-٢٢٨.

[2] كانت الحدود الجنوبية الشرقية، للإمارة الإدريسية ذاك الوقت، تمتد فى القسم الأعلى الجنوبى الشرقى من جبل كحلان ومايسامية جنوباً إلى جبل ريمة، وجبال عبال، وجبال بنى سعد المجاورة لجبل صعفان، انظر العقيلى، المخلاف السليمانى، ج٢، ص٨١٩.

[3] د.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢٦٤،٢٦٥.

على العثمانيين، والتى ساعدته الظروف على اقتناصها[1] وفى الشرق آل عايض الذين يحرضهم الشريف ويقف خلفهم، فهو الذى حرضهم على التنصل من اتفاقهم مع الإدريسى، مما اضطره إلى إرسال قوة من جنده لتأديبهم واحتلال عسير، لكنها هزمت عند سطح جبل "تهلل" فتراجع إلى مركزه فى الشعبين، عندها شعر الادريسى بالقوة المحركة والمساندة لهم[2] وإذاً فلا بد له أيضاً من عضد يساعده فى دفع غائلة هؤلاء، لاسيما وأنهم بدأوا يوجهون الدعايات ضده بأنه دخيل وغريب عن المنطقة[3]، فأجال النظر فيمن حوله، فلم يجد غير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد وملحقاتها، الذى يمكن الركون إليه، فهو على صلة ودّ

---

[1] ولد الشريف الحسين بن على عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) وعين أميراً على مكة المكرمة عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وهو فى السادسة والخمسين من العمر. عقب وفاة الشريف عبد الاله بن محمد بن عون، وقد استجاب لاغراءات بريطانيا فى الوقوف معهم ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، وجرت بينه وبين المندوب السامى البريطانى فى مصر "السير هنرى مكماهون" رسائل سرية فى ١٣٣٤هـ-١٣٣٥هـ (١٩١٥/ ١٩١٦) وعده فيها البريطانيون بتحقيق حلمه فى انشاء دولة عربية موحدة فى الحجاز والعراق والشام وفلسطين عقب انتهاء الحرب، وان تكون تحت رئاسته، لذا أعلن الثورة ضد الدولة العثمانية فى ١٠ يونيو ١٩١٦م، وبعد انتهاء الحرب تبخرت أحلامه، وتقلصت طموحاته، فاتجه إلى جيرانه يوسع سلطته على حسابهم. توفى فى عمان ليلة ٤يونيو ١٩٣١م.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٥٧.

[3] أسهم الامام يحي بدور كبير فى بث تلك الدعاية، أولاً: لأنه زاحم نفوذه الروحى، ولأنه سنى العقيدة لازيدي، وثانياً: لأنه أول أمير عربى عقد معاهدة حلف وصداقة مع سلطان نجد، فى ذلك التاريخ، وثالثاً: لأنه أوصى عبد العزيز على إمارته وأسرته من بعده، والعربى عربى أينما حلّ حلّ فى وطنه الكبير وأمته العربية، والإمام يحيى إذا ماطبقنا هذه القاعدة التى ينبذ بها الادريسى، لوجدناه هو نفسه، قد وفد جده الأول يحيى بن الحسين من بلدة الرّس فى نجد إلى اليمن، فينطبق عليه ماينبذ به الآخرين.

ومجاملة معه منذ زمن بعيد، لكنه يريد أن يوطد الصداقة بينهما، ويرتبط معه بمواثيق للتعاون فى درء الأخطار، وقد سعد الإدريسى وهنّأ ابن سعود بنتيجة معركة تربة التى ألحق فيها هزيمة مروعة بجيش الشريف، فى ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ (٢٥يونيو ١٩١٩م) وهو فى عنفوان زهوه ونشوته[1].

اتجه الادريسى بنظره الثاقب صوب الرياض، وكتب رسالة إلى السلطان عبد العزيز يقول له فيها:

".. إنى أَجَلْتُ النظر فى أنحاء أرجاء الجزيرة، فلم أجد أهلاً للثقة، ورعاية عهود الاخاء سواكم، وأعلموا أن ابن آدم رهن المنون، فإذا توفانى الله فأنتم المقلدين بالوصاية على عائلتى وأهل بيتى ..الخ" وتاريخ هذه الرسالة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) [2] وهو تاريخ يتوافق مع الفترة التى بدأ كل من خصميه فى الشمال والجنوب يكشر فيها عن أنيابه، بحثاً عن غنيمة يبسط عليها نفوذه، عقب خلو المنطقة من العثمانيين.

ومما يلاحظ أن السلطان عبد العزيز كان هو الآخر يكنّ للإدريسى الودّ والإخلاص، وليس أدل على ذلك من أن الدولة العثمانية قد كتبت له فى بداية الحرب العالمية الأولى تطلب منه الوقوف معها ضد أعدائها ــ الانجليز والادريسى الذى انحاز إليهم ــ وطلبوا منه محاربة الإدريسى، فكتب

---

[1] كانت معركة تربة عقب قيام القوات العثمانية بتسليم المدينة المنورة لقوات الشريف حسين بحوالى خمسة أشهر، وكانت تعتبر آخر قوات غادرت الحجاز فى ١١/٤/١٣٣٧هـ (١٥يناير ١٩١٩م).

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ٧٥٧.

إلى الأستانة يقول: ..إنه عربى ولايحارب العرب من أجل الدولة، وأنه هو والادريسى على ولاء .. ثم عاد والى البصرة العثمانى، يسأله رأيه فى أمراء العرب، وفى انشقاقهم، وخروج بعضهم على الدولة، فكتب له ابن سعود:

"إنكم لمسئولون عما فى العرب من انشقاق، فقد اكتفيتم بأن تحكموا، وماتمكنتم حتى من ذلك، قد فاتكم أن الراعى مسئول عن رعيته، وفاتكم أن صاحب السيادة لايستقيم أمره إلا بالعدل والاحسان، وفاتكم أن العرب لاينامون على الضيم، ولايبالون إذا خسروا كل مالديهم وسلمت كرامتهم، أردتم أن تحكموا العرب فتقضوا إربكم منهم، فلم تُوفّقوا إلى شئ من هذا أو ذاك. لم تنفعوهم ولانفعتم أنفسكم ..الخ"[1]

المهم أنه انتهى هذا التقارب بين السلطان عبد العزيز والادريسى بعقد أول معاهدة بينهما وقعت فى ١٠ صفر ١٣٣٩هـ (٢٣اكتوبر ١٩٢٠م) بعد اجراء مفاوضات، أعقبها إعلان بيان سعودى/إدريسى بتاريخ ١٦ذو الحجة ١٣٣٨هـ (٣٠ أغسطس ١٩٢٠م) وتضمنت المعاهدة تحديد الحدود بين عسير والامارة الإدريسية، والقبائل التابعة لكل منها[2] وكان ذلك عقب امتداد نفوذ الملك عبد العزيز على عسير، وتلاقى الحدود بينهما. ثم كانت وفاة محمد بن على الإدريسى، فى

---

[1] الريحانى، نجد وملحقاته، ص٢٠٢.

[2] امين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج٢، ص٩٧،٩٨.

٣شعبان ١٣٤١هـ (٢٠مارس ١٩٢٣م) بداية إنهيار الادارسة، فقد خلفه ابنه على وعمره تسعة عشر عاماُ، وكان ينقصه الكثير من سمات القيادة، وخواصها، فوقع التنازع والشقاق فى البيت الإدريسى، واستغل الإمام يحي ذلك واستولى على ماكان بحوزتهم من مدن تهامة الجنوبية، وهددهم فى جازان، مما جعلهم يلجأون إلى الملك عبد العزيز طالبين الحماية، مما سنوضحه فيما بعد نظراً لتشابك وقع الأحداث فى كل من عسير وجازان خلال هذه الفترة.

الفصل الثالث

إمارة آل عايض

عرفنا فيما سبق أن عسير ظلت فى عزلة عما يجرى حولها من أحداث، سياسية فيما مضى وكانت مجهولة نوعاً ما بالنسبة للرحالة والمؤرخين العرب والأجانب على حدّ سواء[1] ولم تنشأ بها سلطة استطاعت توحيد قبائلها ومناطقها إلا فى ظل الدولة السعودية الأولى بداية القرن الثالث عشر الهجرى.

حيث لم تقم فيها قُبيل الدعوة السلفية سلطة مركزية، أتيح لها الهيمنة على جميع قبائلها، لتكوين إمارة موحدة، بل كان الحكم فيها عشائرياً، يقوم على التحالفات القبلية.

---

(1) جاكلين بيرين، المصدر السابق، ص٢٥٢،٢٥٣، حيث تقول: إن على بك (الذى صحب جيوش محمد على باشا فى حملتها على البلاد) كان يجهل إمارة إبى نقطة، وكان بوركهارت ـ الذى عرف اسم عسير ـ يظن أنها مدينة، أما نيبور فقد جهل حتى اسمها، ولم يكن الجغرافيون العرب أحسن إطلاعاً من هؤلاء، فلا مؤلف "جيهان تامة" جومار الفارسى، ولا أبا الفدا، ولاغيرهما كالبغدادى، وابن بطوطة، والمسعودى، ذكر شيئاً عنها، ولم يأت على ذكرها إلا الادريسى، وقد ترك الجغرافي الألمانى هنرى برغوس، موقعها أبيض على الخارطة الأسيوية التى وضعها عام ١٨٣٥م.

ففى ظل الدولة السعودية الأولى توحدت أجزاؤها وقبائلها تحت قيادات محلية تستمد سلطتها الشرعية، وتوجيهاتها من أئمة الدرعية، وعندئذ بدأ التاريخ يسجل مايقع فيها من وقائع وأحداث بشكل تفصيلى، ونشط المؤرخون من أبناء المنطقة وغيرهم فى تسجيل تلك الوقائع ضمن وقائع وأحداث الدولة السعودية. وشارك أبناؤها وأيضاً أبناء المخلاف السليمانى (جازان) متضامنين مع أبناء المناطق الأخرى، فى الحروب باسم الدولة السعودية. وقام علماؤها بدور ملحوظ فى نشر مبادئ الدعوة الاصلاحية فى المناطق المجاورة من أرض اليمن، وبخاصة تهامة اليمن، التى تسكنها غالبية من أهل السنة، حتى بذلوا الطاعة للدولة السعودية دون إراقة دماء[1].

وتوالى الأمراء من أبناء المنطقة على حكمها، ابتداء من محمد بن عامر الرفيدى (أبو نقطة) وأخيه عبد الوهاب، حتى عايض بن مرعى[2] وذلك باسم الدولة السعودية، ودخلتها جيوش محمد على محاربة، على أنها جزء من الدولة السعودية، وأبناؤها رعايا للدولة السعودية، ومن بعده استمرت الحملات العثمانية تحارب أبناءها على أساس أنهم (وهابيون)[3]

---

[1] انظر ص١٠٧-١٠٩ من هذا البحث.

[2] من بنى مفيد، من آل يزيد، ويصلون نسبهم إلى يزيد بن معاوية،وبعض المؤرخين يشكون فى تسلسل هذا النسب.

[3] حسبما كانت الوثائق العثمانية يحلو لها أن تطلق عليهم هذا المسمى، وهو فى الوقت نفسه دليل على التبعية، والطاعة، والولاء، حتى فى أحلك الظروف السياسية التى مرت بها المنطقة.

يرفضون الإذعان للدولة، ويكنون الولاء لآل سعود، حتى بعد الفترة اليسيرة التى تلاشى فيها النفوذ السياسى للدرعية عام ١٢٣٣هـ.

ونظراً للحروب المتواصلة التى كان يقودها أمراء عسير، والتى طالما كانت تعرض حياتهم للاستشهاد فى ميادينها، وبالتالى شغور القيادة، والحاجة الماسة لمن يتولى الأمر فى أحلك الظروف الميدانية، لحين إبلاغ القيادة العامة فى الدرعية بما حدث، فقد دأبوا على أن يجتمع أولو الرأى لترشيح من يتوسم فيه الصلاح والكفاءة، ثم يرفعون الأمر إلى الدرعية لابداء الرأى، ومن ثم إصدار العهد إليه بالامارة على عسير، والأمر إلى كافة الرؤساء والقادة والمواطنين فى عسير بالانقياد له، وعدم مخالفته.

وعندما حالت الظروف السياسية عن الاتصال المباشر بالدرعية عام ١٢٣٣هـ، ومابعده فى نهاية الدولة السعودية الأولى، وكان ذلك فى إمارة كل من: محمد بن أحمد المتحمى (١٢٣٠-١٢٣٣هـ) وسعيد بن مسلط المغيدى (١٢٣٩هـ ـ ١٢٤٢هـ) أعطيت القيادة فى عسير التفويض بأن تعمل ماتراه مناسباً، فأصبحت شبيهة بقائد فى الميدان حالت ظروف الحرب بينه وبين الاتصال بمقر قيادته. فعليه أن يتصرف بما يراه مناسباً دون الرجوع لرئاسته، يشمل ذلك القتال حتى الرمق الأخير، والاستسلام للعدو أسيراً، دون التنصل من ولائه لرئاسته، وبلده تحت أيّ ضغط كان، لذا ظل هذان الأميران ومن جاء بعدهما يقاتلون القوات العثمانية عن عقيدة آمنوا بها، و لم يقاتلوهم كمحتلين فحسب، لأنهم يضمرون الولاء والوفاء لآل سعود أصحاب هذه الدعوة، ثم عاد الاتصال بينهم وبين قادة

وحكام الدولة السعودية الثانية في عهد كل من الامام تركي، وابنه الامام فيصل[1] بأسلوب آخر لعدم إثارة العدو للظروف التي تقتضي ذلك.

عهد محمد بن أحمد المتحمي إلى سعيد بن مسلط بالقيادة بعده، كما عهد ابن مسلط بها لابن عمه علي بن مجثل، وابن مجثل عهد بها إلى عايض بن مرعي. وليس من المستبعد أن يكون قد تم ذلك كله بما رآه ذوو الرأي والمشورة، فهو منهج قد ساروا عليه منذ البداية، لاختيار الأكفأ والأجدر من قادة أبناء المنطقة.

ونلحظ أن عايض بن مرعي عند وفاته يوم ٢٣ شعبان ١٢٧٣هـ، لم يوص بها لأحد بعده، فاجتمعت عشيرته وأقرباؤه وبايعوا ابنه محمد بن عايض[2] وقيل: إن الأمير عايض كان قد أصيب بمرض قبيل وفاته، وفي الوقت نفسه أصيب ابنه محمد بمرض، فقال عايض: إن عوفي محمد تسلّم الأمر، وإلا قام به ابن مفرح[3] حتى يجتمع أهل الحل والعقد على رجل منهم[4] ثم توفي، ومن هذا نستنتج أن الأمير عايض ملتزم بالمنهج الذي سار عليه سابقوه في تولية الاكفأ والأجدر، وربما يكون قد رأى في ابنه محمد أكفأ من يتولاها بعده مؤقتاً، فرشحه لها، وترك أمر الفصل النهائي في ولايتها بيد أهل الحل والعقد، لتولية من يرونه، و لم يقصد أن تكون

---

(1) انظر ص١٦٢-١٦٥ من هذا البحث.

(2) العقيلي، ج١، ص٥٧٠.

(3) محمد بن مفرح أحد قواده المشهورين.

(4) المسفر، المصدر السابق، ص٩٢.

وراثية فى ذريته مـن بعـده، ولـذا رشح ابـن مفـرح بديـلاً لابنـه محمـد فـى حـال وفـاة محمـد، و لم يجعـل البديـل أحـداً مـن أولاده الآخريـن، وكــان عنـده ثمانيــة أبنـاء[1] ولعـل هـذا هـو الـرأى المقبـول لمـن أمعـن النظـر فـى سـير الحــوادث ذاك الوقـت، لاسيما وأن موضـوع توريـث الحكـم، أو الإمــارة فــى منطقــة عســير بـالذات، لم تكـن قـد ترسـخت فـى الأذهـان عنـد أمـراء وقــواد عســير، مثلمــا ترسـخت مـن قبـل فـى منطقـة جـازان، فتوريـث الحكـم إنمـا كـان علـى رئاســة القبيلـة، أو البلـدة، أو علـى عـدة قبـائل متحالفــة، أمـا أن تخضـع جميـع قبـائل عسـير، أو بلدانهـا تحـت رئاسـة مركزيـة فلــم يكــن معروفـاً فــى عســير قبــل انضوائهـا للدولـة السـعودية الأولى، ويؤكـد هـذا عـدم ظهـور إمــارات ســابقة بسـطت نفوذهـا علـى كافـة منـاطق عسـير، كمـا كـان الشـأن فـى جـازان مــن قديـم، وربمـا يعلـل هـذا بطبيعــة أرضهــا، وأنفــة قبائلهــا مــن الخضــوع لغــير رئاستها، ولـذا ظلـت فـى عزلـة عمـا يـدور حولهـا مـن أحـداث. فلمـا توحـدت قبائلهـا وبلدانهـا فـى عهـد الدولـة السـعودية كـان الأنسـب لهـا اختيــار الاكفــأ من بين أبنائهـا، بموافقـة وإقـرار القيـادة فـى الدرعيـة.

كـان عـائض بـن مرعـى مـن أنبـل واشـجع رجـال عسـير، ولــه مواقــف بطوليـة مـع الحمـلات العثمانيـة التـى أرسـلت إلى عسـير، وبخاصـة حملــة خليــل باشا عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م) فـى عهـد عمـه علـى بـن مجثـل، ولـذا أوصـى لـه

---

[1] المسفر، المصدر السابق، ص٧٨ أورد شجرة نسب لآل عايض، يبدو أنه سقط منها بعض الاسماء، التـى ورد لها ذكر فى الوثائق العثمانية. وأورد المسفر فيها ثمانية أولاد لعايض بن مرعى، بينما أوردهم فؤاد حمـزة، فـى بـلاد عسير، ص١٠٢: خمسة أبناء فقط.

بالامارة بعده[1] ثم توفى ابن مجثل فى شوال ١٢٤٩هـ، فتولاها عايض، واستمر يحارب العثمانيين، وحليفهم ابن حيدر إلى أن توفى يوم ٢٣ شعبان ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) فتولاها ابنه محمد، وواصل الحرب مع العثمانيين، وبلغت الإمارة أوجها فى عهده، فقد بسط نفوذه على سائر عسير السراة، وقسم من تهامة عسير، وتهامة اليمن حتى المخا، وحاول الاستيلاء على الحديدة، وحاصرها فترة لكن الحامية العثمانية استطاعت أن تصده عنها، وفى طريق عودته إلى عسير خرب بعض المدن، وارتكب جنده أعمالاً لاتليق مع الأهالى، مما دفع القيادة العثمانية فى الحجاز إلى تجريد حملة إليه قادها كل من رديف باشا وأحمد مختار باشا، تصدى لها فى البداية بشجاعة، لكنها فى النهاية ختمت حياته بمأساة، إذ غدر به رديف باشا، بعد أن أُعطى الأمان من قبل مختار باشا. وقتله مع ٣٥ من رجاله غدراً فى صفر ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م)[2].

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٧، وقال: كان صاحب إبل، ونقل قول كل من الريحانى وحافظ وهبه، بأنه كان راعى إبل، وعلق هو على ذلك قائلاً: بأن هذا لايتفق مع إمارة عمه، ثم توليته الامارة من بعده.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٥٤٦-٥٥٠، والزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٨، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٦٠-٣٦٢، الذى نقل رواية أخرى عن خبر مقتل محمد بن عايض، خلاصتها: أن الشريف محمد ابن عون توسط لدى الدولة على أن يسلم ماتحت يده من بلدان للدولة، مقابل أن تحفظ له الدولة أمواله، وخيوله وقصوره، وكافة أملاكه الشخصية، وأن تعين له ولعائلته ولبعض الرؤساء من اتباعه مرتبات ومشاهرات. وأن الباب العالى وافق على هذا، وأصدر به فرماناً، لكن رديف باشا تجاهل الفرمان، وقتل ابن عايض. وفى إحدى الوثائق العثمانية تشير إلى أن الذين قتلوا مع ابن عايض كان عددهم خمسين رجلاً، وأن الاستانة عزلت رديف باشا بسبب هذه الفعلة، واستدعته للتحقيق معه لتجاهله الفرمان.

وبعد مقتل محمد تفرق بعض آل عايض في أطراف عسير السراة[1] وظلوا مطاردين من قبل الولاة الذين تولوا متصرفية عسير، حيث تحولت إلى متصرفية، ونظمت لها ترتيبات إدارية بغرض إحكام القبضة عليها، وأصبحت خاضعة للادارة المباشرة من قبل الدولة العثمانية، وإلى هنا ويتضح الموقف بأنه لم تكن هناك إمارة وراثية لآل عايض في عسير، فلا الأمير عايض تقلدها وراثة، ولاابنه محمد آلت إليه بالوراثة!. ثم ظلت عسير حوالى ثلاثين عاماً (١٢٨٩-١٣١٩هـ) متصرفية تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وبتصفح الوثائق العثمانية لهذه الفترة، تتضح بعض الحقائق منها:

أنه كان قد تم القبض على بعض الزعماء من أهل عسير، أثناء حملة رديف باشا، ورحلوا مع من تم القبض عليهم من آل عايض، وتم نفيهم إلى "روم إيلى" وبعد فترة تم العفو عنهم واعيدوا إلى عسير عام ١٢٩٤هـ نظراً لاستقامتهم وإعلان طاعتهم للدولة العليّه.

وكان من بينهم عبد الرحمن بن عايض، وأخوه سعيد، وهما شقيقا الأمير محمد الذى قتله رديف باشا غدراً[2] واستمرا في خدمة الدولة وطاعتها حتى أُنعم عليهما ـــ مع بعض زعماء عسير ـــ بنياشين عام

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٨.

[2] الأرشيف العثمانى، وثيقة رقم ٤٣٧٨، إرادة داخلية، رقم ٦٠٧٠٨ وتاريخ ٢١ربيع الأول ١٣٩٤هـ، ووثيقة رقم٤٣٨٢، إرادة داخلية بتاريخ ٢١ذوالحجة ١٢٩٤هـ.

١٣٠٢هـ نظراً لاخلاصهما[1] وكان سعيد بن عايض قد عُيّن "قائمقام" على قضاء غامد وزهران، ويبدو أنه بعد فترة رغب فى أن يقضى بقية حياته فى هدوء وتعبد، واختار الاقامة بمكة المكرمة مجاوراً لبيت الله الحرام، ورفع بذلك إلى المتصرف، الذى قام بدوره بالرفع إلى وزارة الداخلية بالأستانة، فصدرت الموافقة فى ٢٥جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ، تتضمن تخصيص معاش شهرى له ثم منح نيشان من الرتبة الرابعة لخدماته، وحسن قيامه بأعباء وظيفته[2]وعند وفاة أخيهما ناصر بن عايض، قامت الدولة العثمانية بتخصيص مرتبات شهرية لأبنائه فى ٤ربيع الثانى ١٣٠٢هـ[3] وبالنسبة لعلى بن محمد بن عايض، فقد ظل هارباً، وبذل محاولات فى تأليب القبائل على الولاة العثمانين فى المتصرفية، ثم لما يئس من عدم نجاح محاولاته، قدم للمتصرف وعرض طاعته، وانقياده للدولة، وبالتالى رفع المتصرف الأمر إلى الأستانة، فصدر فى ٧جمادى الأولى ١٣٠١هـ، أمر بالعفو عنه، وإعطائه الأمان، وتخصيص راتب له[4].

---

[1] وثيقة رقم ٤٥٣٦، إرادة داخلية، رقم ٧٥٤٦٢ بتاريخ ٢١رمضان ١٣٠٢هـ.

[2] وثيقة رقم ٤٧٩٤، إرادة داخلية، رقم ٩٤٨٩٧، وتاريخ ٢٥جمادىالآخرة ١٣٠٨هـ ورقم ٤٨٥٢ إرادة داخلية رقم ٩٩٤٦٧ بتاريخ ٨شعبان ١٣٠٩هـ، وجاء فى وثيقة تالية لذلك تعين حمدى بك بدلاً منه فى قضاء غامد وزهران.

[3] وثيقة رقم ٤٥٥٦، إرادة مجلس شورى الدولة، رقم ٤٢٥٢ وتاريخ ٤ربيعالثانى ١٣٠٢هـ وجاء فى الوثيقة ذكر اسماء ابناء المتوفى وهم: محمد، سعيد، عايض، عبد الرحمن، و لم يورد ابن مسفر اسم الابن الرابع "عبد الرحمن" ضمن الشجرة التى صممها لآل عايض. وأورد سعد بدل سعيد، وكذا فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٠٢.

[4] وثيقة رقم ٤٤٨٠، إرادة داخلية، رقم ٧٢٢٣٧ وتاريخ ٧جمادىالأولى ١٣٠١هـ.

وقال سليمان شفيق كمالى باشا، فى مذكراته: كنت قبل سفرى من الأستانة استأذنت الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) فى استمالة من أجدهم أهلاً للعمل من آل عايض، لاستخدامه فى خدمات الحكومة، ونجحت فى نيل موافقة الصدر الأعظم على ذلك[1] وعند وصولى إلى عسير وجدت فى كرسيّ وكالة المتصرفية: عبد الله بن محمد بن عايض ـ ابن الأمير المقتول غدراً ـ ولم أعلم كيف تولى هذا المنصب، فأخذت أحقق فى كيفية تعيينه، والوقت الذى تولى فيه هذا العمل، فعرفت أن أمير مكة له دخل فى ذلك[2] لكنه لم يرد إحداث شقاق وخلافات فى بداية تسلمه عمله فى المتصرفية، فرفع إلى وزارة الداخلية طالباً تعيين عبدالله بن عايض، فصدرت الموافقة على تعيينه رسمياً فى ١١ذوالقعدة ١٣٢٦هـ[3] ويبدو أنه لم يستمر كثيراً، فقد شك المتصرف فى مدى ولائه فعُزل وعُيِّن بدلاً منه ابن أخيه الحسن بن على بن محمد بن عايض عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، الذى كان موجوداً فى هذا المنصب عند رحيل العثمانيين عن عسير.

---

[1] وتصديقاً لقوله فهناك وثيقة بالأرشيف العثمانى، رقم ٥٣٨٥ إرادة داخلية بتاريخ ١٦جمادىالأولى ١٣٢٧هـ/١٣ [وهى تحمل التاريخ العثمانى] أى ١٣٢٦هـ التاريخ الهجرى. تتعلق باحداث منصب مساعد متصرف عسير، وتخصيص مبلغ ١٥٠٠قرش معاشاً شهرياً، لمن يشغل هذا المنصب، وجاء فى مبررات اصدار هذا القرار: بناء علىاقتراح الحكومة، وموافقة مجلس الأعيان، ذلك لأن المتصرف لم يكن قد باشر عمله حينذاك. مع أنه كان قد عين فى ٢٩ربيع الثانى ١٣٢٦هـ.

[2] انظر المذكرات ص٣١ فقد عدها المتصرف ضمن مآخذه على تدخل الشريف فى شئون عسير.

[3] وثيقة رقم ٥٣٩٩، إرادة داخلية، بتاريخ ١١ذوالقعدة ١٣٢٦هـ، بناء على إشعار من متصرف عسير.

لانقصد بهذا الاستطراد أن نقول إنهم كانوا موالين للدولة، وبمثابة موظفين عاديين فى خدمتها، بغرض الإقلال من شأنهم أو قدرهم، فهم بلا شك من وجهاء وأعيان وزعماء عسير، ولهم دور فى قيادتها فى أصعب الفترات، فلا يمكن بأى حال إنكار دور كل من الأمير عايض وابنه محمد فى تاريخ عسير، كما أن كثيراً منهم كان على مستوى المسئولية فى خدمة بلاده، وأتسم بعضهم بالزهد والتقوى، لكن العيب تجسم فى الحسن بن على بن محمد بن عايض، الذى وصلت إلى يده السلطة اعتباطاً عند رحيل العثمانيين، فتقلدها بحكم منصبه الذى كان يشغله "مساعد متصرف"[1] ولو كان هناك أحد من مواطنى عسير يشغله خلاف الحسن ابن عايض، فغالب الظن أنه كان سيتسلمها بحكم منصبه هذا.

انتشرت فى العالم العربى أنباء هزيمة الدولة العثمانية أمام الحلفاء، الذين أملوا عليها شروط هدنة "مندريوس" فى ٢٥محرم ١٣٣٧هـ (٣٠اكتوبر ١٩١٨م) والتى من بينها توقف القتال فى كافة الميادين الحربية، واستسلام حامياتها فى الحجاز، وعسير، واليمن، وسوريا، والعراق، وتسليم الموانئ فى تلك المناطق، وفى شمال أفريقيا إلى أقرب قائد من قادة الحلفاء (مادة ١٦) وسارعت بريطانيا فى إشاعة هذا النبأ، وابلاغه رسمياً لقياداتها فى تلك البلاد، ولأصدقائها أيضاً. وظلت معظم القيادات العثمانية فى تلك البلاد فى حالة قلق واضطراب لعدم وصول

---

[1] كان هذا هو مسمى الوظيفة التى سعى سليمان كمالى باشا لإحداثها، وذكرت فى قرار وزارة الداخلية بالاستانة عند احداث الوظيفة.

أنباء مؤكدة إليهم من مرجعهم الأصلي في الأستانة. بالرغم من أن القيادات البريطانية حاولت إبلاغهم ذلك وامدادهم بصور من هدنة "مندريوس" لكنهم ظلوا عدة أشهر في انتظار تعليمات من حكومتهم، توضح لهم كيفية الاستسلام والتسليم، فقد كان الحلفاء يجرون مباحثات أخرى بين تركيا وحلفائها في لوزان لاقرار تسوية نهائية، بشأن أملاك وحدود الدولة العثمانية، عرفت بمعاهدة لوزان، والتي جاء في المادة السادسة عشرة منها "تتنازل تركيا عن جميع حقوقها في الأراضي الواقعة خارج حدودها المحددة في المعاهدة (بالمادة الستين) وكانت البلاد العربية بكاملها خارج نطاق هذه الحدود[1] وعندئذ جاءت تعليمات من الأستانة إلى قياداتها بتسليم ماتحت أيديهم من البلاد إلى أهلها باشراف بريطانيا، ونقلهم بواسطتها إلى الأستانة، وكان ذلك في شهر ربيع الثاني ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م).

نظر متصرف عسير، محي الدين باشا، فيمن حوله، فرأى الإدريسي عدوه اللدود، وعدو دولته، الذي فوضه الانجليز بابلاغ أمر الاستسلام وما يتعلق به، من إخلاء عسير والرحيل بحراً هو وحاميته التي كانت تتكون من ثلاثة ألاف جندي، على السفن البريطانية التي أعدت لهذا الغرض في ميناء الشقيق، وأرسل الادريسي أمر الاستسلام مع مندوبين من قبله إلى المتصرف في أبها، وأحس المتصرف بأن في هذا إيعازاً بتسليمها

---

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص٤٠٩، ٤١٤.

للإدريسى، وبذلك تتحقق الأمنية التى طالما سعى لها الادريسى منذ زمن بعيد[1] فأراد ألا يحقق له هذه الأمنية، ثم رأى الشريف حسين فى الشمال وكانت له أيضاً أطماع فى عسير، لكنه اتخذ أخيراً موقفاً معادياً للدولة، باغراء من بريطانيا التى منته بالأمانى العراض، فأراد ألا يحقق له أطماعه، أما إمام اليمن فى الجنوب، فمع كونه وقف بجانب الدولة ولو بصورة شكلية، فليس له أدنى حق فى عسير، و لم يبد أية رغبة فى ذلك من قبل، وكانت كل آماله تتركز فى بسط نفوذه على المناطق الجبلية من أرض اليمن، والتى كانت بحوزة العثمانيين خلال الحرب وقبلها، بما فيها صنعاء، ألا ترى أنه لم يستجب لنداء وصرخات القائد العثمانى سعيد باشا بإرسال من يتسلم منه محمية لحج، قبل أن يضطر لتسليمها إلى الانجليز عند الاستسلام والرحيل[2] و لم يطالب بالحديدة إلا بعد أن سلمها الانجليز للادريسى[3] لذا أبعد هذه الفكرة عن ذهنه تماماً، مخافة ثورة أهل عسير فيما لو علموا بتردد هذه الفكرة حتى فى خاطره، ولما مكنه الادريسى من تنفيذها، وحال بينه وبين العودة إلى بلاده معافاً. وإذاً فلم يبق أمامه إلا أسهل الطرق وآمنها، وهو تسليمها إلى مساعده، مثلما كان يفعل بعض المتصرفين المعزولين، أو المنقولين إلى جهة أخرى، ولاينتظرون قدوم

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٦.

[2] د.أباظه، المصدر السابق، ص٤٠٠-٤٠٤، وأمين الريحانى، المصدر السابق، ص٤٢٩-٤٣٢، ود.سالم، المصدر السابق، ص٢٢٢،٢٢٣.

[3] د.أباظة، المصدر السابق، ص٤١٠،٤١١، دخلت قوات الادريسى الحديدة وتسلمتها من القوات البريطانية فى ٢٢جمادى الأولى ١٣٣٩هـ (٣١يناير ١٩٢١م)

المتصرف الجديد لتسليمها إليه .. فقام بتسليمها إلى مساعده الحسن بن عايض.

ومن هذا نعرف أنها لم تصل إليه لاعن طريق عهد وراثى، ولابمبايعة أهل الحل والعقد مثلما كان يحدث فى السابق، فربما لو اجتمع أهل الحل والعقد لكان لهم رأى آخر. وإنما آلت إليه بحكم وظيفته.

اجتمع آل عايض حول الحسن يشدون من أزره، ويديرون أوجه الرأى حول المستقبل المجهول، وهم يرون المطامع تحوم حولهم، فاستقر رأيهم على مهادنة أخطر جهتين تهددانهما ذاك الوقت، وهما الادريسى، والشريف حسين، واتفقوا على:

- أن يتوجه محمد بن عبد الرحمن بن عايض إلى الشريف حسين للتفاوض حول عقد اتفاقية تتضمن ربط عسير بمعاهدة حماية معه، كى يطمئنوه بأن عسير من توابع الحجاز، ولذا فقد أتوه قبل أن يأتى إليهم.

- أن يستمر الأمير الحسن بن على بن عايض فى الاتصال بالادريسى بنوع من المودة انتظاراً لما تسفر عنه مباحثات وفدهم فى مكة المكرمة.

وعرف الادريسى بسفر محمد بن عبد الرحمن، فاهتم باستمالة الحسن إليه، وتحت تأثير المغريات ذهب الحسن إلى صبيا للتفاهم مع الادريسى، دون انتظار عودة ابن عمه من مكة. وعقد اتفاقية مع

الادريسى دخل بمقتضاها تحت نفوذه، وقبل بموجبها أن يحكم عسير نائباً عن الإمارة الإدريسية، مقابل الحصول على خمسة آلاف جنيه شهرياً. وأن يكون بجانبه مندوب للادريسى، للاستيلاء على مخلفات العثمانيين من العتاد والسلاح، واستلام الزكوات المقررة، وعاد الحسن إلى مقره فى أبها، وبرفقته مندوب الادريسى ابراهيم الشوكانى، الذى بادر بالعمل على انجاز المهام المنوطة به من جمع السلاح والزكوات، وأحس بأن ابن عايض أخذ يتبرم وبدأت مؤشرات التنصل من الاتفاق تظهر، وبخاصة عندما عاد ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايض من الحجاز، يحمل اتفاقاً آخر مع الشريف حسين[1] فبعث الحسن وفداً إلى الإدريسى يثير بعض المشاكل لتكون ذريعة لالغاء الاتفاق. فأدرك الإدريسى نوايا الحسن فاحتجز الوفد لديه، وقام بقطع المواصلات مع عسير، لمنع البضائع عنها، ظناً منه أنه سيضيّق عليهم الخناق، فيعودون إلى صوابهم، لكن هذه الخطوة لم تؤثر فيهم فلديهم منافذ أخرى، كالقنفذة أتت إليهم البضائع منها، فضلاً عن زيادة اتصالاتهم بالحجاز، التى تدفق عليهم منها المال والسلاح، كما سعوا فى إثارة القبائل الخاضعة لنفوذ الادريسى، بالثورة عليه، فبعضهم استجاب وبعضهم رفض، عندئذ قرر الادريسى إخضاعهم بالقوة فبعث جيشاً يقوده حمود سرداب تحرك من "الشعبين" عن طريق وادى "العوص" والعقبة "الصماء" مرتقياً سطح جبل "تهلل" ففوجئ بالقوات العسيرية فى انتظاره على أهبة الاستعداد، فألحقت به هزيمة ارتد على إثرها إلى مركزه

---

[1] انظر فيما سبق العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٧،٧٣

فـى "الشـعبين"[1] ومـن هنـا ارتـدى الحسـن ثـوب الغـرور والكبريـاء، والغـرور يعمى صاحبه عـن سـلوك الطريـق القويـم، ومـن ثـمّ يقـوده إلى الهاويـة!.

ومـن هنـا أيضـاً تتـابعت الأحـداث وتفـاعلت بصـورة جذبـت الملـك عبـد العزيـز إلى تيارهـا، وقـد كـان فـى شـغل شـاغل، أمـا وقـد اسـتدعته، وأثـارت مشاعر النخوة المتأججـة أصـلاً فيـه، فـلا بـأس .. ونِعمَّـا هـيَ!.

وأيـاً ماكـان فإنـه ممـا تجـدر الإشـارة إليـه أن منطقـة عسـير- منـذ عـودة النفـوذ العثمـانى المباشـر إليهـا عـام ١٢٨٨هـ (١٨٧٢م) حتـى رحيلهـم عنهـا عـام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) - كـانت قـد بـدأت فـى شـكلها الاسـتقلالى الإدارى، حـين صـارت "صنجقـاً" مسـتقلاً عـام ١٢٧٨هـ، ثـم متصرفيـة متميزة ترتبـط مباشـرة بالسـلطة العليـا فـى الأسـتانة، وقـام المتصرفـون الذيـن تقلـدوا منصـب المتصرفـة علـى التـوالى بـدور أساسـى فـى مجـال اسـتقلالها، حتـى أن حكـام الأقضيـة فيهـا، كـانوا يعينـون هـم أيضـاً مـن قبـل نظـارة (وزارة) الداخليـة بالأسـتانة، وبعضهـم كـان يتـم اختيـاره مـن بـين مواطنيهـا، حسـبما تشـير إلى ذلـك الوثـائق العثمانيـة.

كمـا كـان لهـا أعضـاء يمثلونهـا فـى مجلـس المبعوثـان (البرلمـان) بالأسـتانة، بلـغ عددهـم فـى بعـض الأوقـات إلى سـتة أعضـاء، عضـو عـن كـل قضـاء مـن أقضية المتصرفيـة السـت، وكـان هـذا يعتـبر أكـبر تمثيـل فـى مجلـس المبعوثـان عـن

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٩،٧٤٠.

أيـة متصرفيـة أو إيالـة مـن الإيـالات العثمانيـة، وهـذا دليـل علـى اهتمـام الدولـــة بهـا، والعمـل علـى تحسـين وإحكـام الإدارة فيهـا، وهـو دليـل أيضـــاً علـــى نمـــو الوعـى الدينـى والثقـافى والفكـرى، الـذى يدفعهـم لرفـض أسـلوب ابـن عـــايض فى ظلمه لهـــم.

الباب الثالث

الملك عبد العزيز وانضمام عسير وجازان إلى كيان المملكة العربية السعودية، وتماس الحدود السعودية اليمنية.

- الفصل الأول: مراحل عودة النفوذ السعودى إلى كل من عسير وجازان حتى انضمامهما.

- الفصل الثانى: مؤتمر أبها، اندلاع الحرب، الوساطة العربية، معاهدة الطائف، ودراسة لبعض محتوياتها.

- الملاحق.

الفصل الأول

مراحل عودة النفوذ السعودى إلى كل من عسير وجازان حتى انضمامهما

ليس من نافلة القول بل من متطلباته أن نعرض للوضع السياسى الذى كانت تعيشه وسط شبه الجزيرة العربية قبيل عودة النفوذ السعودى إلى عسير، ومن ثمَّ إلى جازان.

فمنذ عزم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود[1] على استرداد ملك آبائه، ووضع يده على مدينة الرياض صباح ٥ شوال ١٣١٩هـ (١٤يناير ١٩٠٢م) ودائرة نفوذه تتدرج فى الاتساع شيئاً فشيئاً نحو الاكتمال، لاحتواء البلدان والمناطق التى كانت تتكون منها دولة آبائه، رافعاً هذا الشعار فى وجه القوى المحلية والأجنبية على حد سواء، وعرفت عنه بريطانيا أنه مطالب عنيد لايعرف اليأس، ولايبالى بالمخاطر، لكنه صادق فى تعامله، وكانت تربطها ببعض القوى المحلية اتفاقيات حماية لهم، ولما تحت أيديهم، بينما مابحوزتهم، وماتحت أيديهم كله أو جزء منه

---

[1] عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود، الذى تنسب له الأسرة الحاكمة السعودية، والامام محمد بن سعود هو مؤسس الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ، التى تناولنا طرفاً من تاريخها خلال السرد التاريخى لهذا البحث، أما الملك عبد العزيز فهو أشهر من أن يعرف، ولد ليلة ١٩ذى الحجة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وتوفى يوم ٢ربيع الأول ١٣٧٣هـ (٩نوفمبر ١٩٥٣م) وسبق أن أوردنا نسب آل سعود، انظر هامش (١) ص٢٦.

من مطالبات عبد العزيز، وهو يسعى للاستحواز عليه، إن عاجلاً أو آجلاً، حسبما تسنح الظروف، فكانت معادلة صعبة فى حسابات الإنجليز، أن يبقوا على صداقته، وفى الوقت نفسه هم مطالبون بحماية حلفائهم من طموحاته، وبالأحرى من مطالباته، ولذا فطالما وضعوا العراقيل أمام طموحاته، لاستمرارية المعادلة الصعبة، خشية الاخفاق، وتداعى التوازنات.

استرعى انتباه العالم بعد أن وحّد نجداً، وانتزع الأحساء من العثمانيين فى ٥جمادى الأولى ١٣٣١هـ (١٠مايو ١٩١٣م) أى قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بحوالى عام. و لم يكن أمام العثمانيين مفر من التسليم بالأمر الواقع، واعترفوا به حاكما على نجد والأحساء، ولقبوه بـ "صاحب الدولة".

ثم نشبت الحرب العالمية الأولى، وكان نفوذ عبد العزيز قد امتد وقتها من جنوب الكويت إلى شمال قطر على الخليج العربى، ومن قطر جنوباً فشمل وادى الدواسر، والربع الخالى، وغرباً إلى أطراف الحجاز، ثم جنوباً بمحازاة الحدود الشرقية لعسير (المتصرفية) ونجران الموالية[1] ونذكر ذلك لأن عبد العزيز، الذى كان مستقلاً بإمارته ذاك الوقت، لم يستفد من الحرب العالمية، ولا من رحيل العثمانيين عن بلاد العرب، مثلما استفاد غيره، من الأمراء المحليين، فقد ظل حيادياً، صادقاً فى تعهداته لكلا

---

(1) الزركلى، المصدر السابق، ص٢١٥.

الأطـراف المتصارعـة، و لم يسـتغل المواقـف مثـل غـيره، وكـان بمقـدوره أن يفعـل الأعـاجيب، لـو كـان نهـازاً للفـرص، مسـتجيباً لدواعـى الإغـراء التـى طرحـت أمامـه.

خشـى عبـد العزيـز أن يصـل لهيـب الحـرب العالميـة إلى بـلاد العـرب، فتحـترق بنـار غيرهـا، حـين يـزج أمراؤهـا أنفسـهم فـى أتونهـا، فكتـب إلى جيرانـه الأقربـين الثلاثـة ـ على الرغـم مـن العـداء أو التنـافس ـ ابـن رشـيد، الشـريف حسـين، مبـارك الصبـاح، مقترحـاً عليهـم الاجتمـاع لاتخـاذ موقـف موحّد يضمن تجنـب العـرب أهـوال تلـك الحـرب، لكـن دعوتـه لم تجـد لهـا آذانـا صاغيـة، لأن كـلاً منهـم قـد رتـب أمـوره علـى الاسـتفادة بـأقص مايسـتطيع، فكـان ابـن رشـيد مـع الدولـة العثمانيـة، والشـريف حسـين مـع بريطانيـا، ومبارك معها أيضـاً، فقـرر هـو أن يظـل حياديـاً[1].

بـادر الانجليز بتقديـم الاغـراءات لـه علـى أن يهـاجم ابـن رشـيد المـوالى للدولـة العثمانيـة[2]، أو أن يبعـث قـوات تحـاربهم فـى المدينـة المنـورة، أو الطـائف، أو عسـير. وبعثـت لـه الدولـة العثمانيـة وفديـن، أحدهمـا عـن طريـق البصـرة برئاسـة طـالب النقيـب، والثـانى عـن طريـق المدينـة المنـورة كـان مـن

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص١١٥،١١٦.

[2] كانت لهم قوات فى المدينة المنورة يقودها صبرى باشا، ثم عمر فخر الدين باشا، وكانت لهم حاميـة فـى جـدة، وفى قلعة أجياد بمكة المكرمة، تحت قيادة الوالى العثمانى غالب باشا، وعند إعلان الشريف حسين الثورة على الأتراك، قاوموا فترة ثم انسحبوا إلى الطائف بعيداً عن الأماكن المقدسة، وعن مرمى الاسطول البريطانى. كما كانت قواتهم فى عسير تحت قيادة محي الدين باشا، كما مر بنا.

أعضائه المؤرخ العراقي محمود شكرى الألوسي، المناصر للسلفيين، فلم يستجب لهؤلاء، ولا لؤلئك[1] وكتب له فيصل بن الحسين في ١٢ محرم ١٣٣٥هـ (١٠نوفمبر ١٩١٦) يشكو من استمرار التجارة بين القصيم والمدينة المنورة لتزويد القوات العثمانية بما تحتاجه، وكتب له الشريف حسين في ٤ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ (٢٧مارس ١٩١٧م) يطلب منه إرسال حملة على ابن الرشيد في حائل، كما بعث له فخر الدين باشا من المدينة المنورة في شوال ١٣٣٦هـ (يوليو ١٩١٨م) يعرض عليه تزويده ببعض الأسلحة لمحاربة حسين بن عون، (هكذا) وإزاحته عن الحجاز، وفتح طريق الحج للمسلمين[2] كما بعث إليه الوالى العثماني غالب باشا، قائد حامية الحجاز، طالباً إمداده ببعض القوات والعتاد لتخليص البلاد من الشريف حسين وتسليمها له، وفي الوقت نفسه أرسل الشريف حسين ثلاث صرر (أكياس) من الذهب على فترات كي يغريه بالانضمام إلى صفوف المحاربين للدولة العثمانية في بلاد العرب[3] لكنه ظل على حياده، صادقاً فيه، طوال الحرب العالمية الأولى، وتفرغ لتوطيد الأمن داخل بلاده، ولم يحارب أيّاً من خصومه فيما عدا ابن رشيد، عندما استفزه إلى ذلك، في ٧ربيع الأول ١٣٣٣هـ (١٩١٥/١/٢٤م) في موقعة جراب، التي قتل

---

[1] الزركلي، المصدر السابق، ص٢١٥-٢٢٠، وأمين سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٧٢،٧٣.

[2] مشيراً بذلك إلى أن الشريف كان قد منع حجاج نجد، وحجاج الولايات التابعة للدولة العثمانية من آداء الفريضة، وانظر فيما سبق، الزركلي، المصدر السابق، ص٢٤٣-٢٤٦. وقد أتى بنصوص تلك المكاتبات.

[3] الزركلي، المصدر السابق، ص٣٠٨،٣٠٩.

فيها الكابتن شكسبير، المندوب البريطاني الذى قدم إلى الرياض للتفاوض، عند الزحف لهذه المعركة، وأصر على المشاركة فيها[1].

هذا موقف واحد من أعمال عديدة اتسمت بالحكمة والتروى وبُعد النظر، لرجل ملك السيف والعقل معاً، وعرف كيف يستعمل كلاً منهما فى موضعه، وحقيقة لو لم يكن عبقرياً لما كان بمقدوره أن يصل فى النهاية إلى هذا البنيان الشامخ.

واستكمالاً للموقف السابق، ففى المرحلة الأخيرة لنهاية الحرب العالمية، وبالأحرى عقب انتهاء الحرب بين الشريف حسين والعثمانيين فى المدينة المنورة، وكان قد لقب نفسه بملك العرب، انتابه نوع من الزهو والغرور، فصوب وجهه نحو نجد، وبدأ ابنه الأمير عبد الله فى إرسال مكاتبات إلى سلطان نجد تحمل شيئاً من الاستفزاز والتحرش[2] ثم زحف عبد الله بن الحسين بجيش مجهز بالمعدات الحربية الحديثة التى استولوا عليها من العثمانيين، ومن مستودعاتهم، وكان يرافقه مجموعة كبيرة من الضباط والجنود النظاميين وبعض البدو وبلغ عددهم سبعة آلاف، وعلم سلطان نجد بزحفهم، فأعلن النفير العام، وعند مسير الأمير عبد الله بقواته أعلن

---

[1] جون فيلبى، تاريخ نجد، ص٤٢٥، أمين الريحانى، تاريخ نجد وملحقاته، ص٢٢٠-٢٢٢، الزركلى، المصدر السابق، ص٢٢١،٢٢٢، أمين سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص٨٠.

[2] عن موقعة تربة والمراسلات التى سبقتها، انظر: امين الريحانى، المصدر السابق، ص٢٤٤-٢٥٧، وحافظ وهبة، جزيرة العرب فى القرن العشرين، ص٢١٤، والزركلى، المصدر السابق، ص٣١٦-٣٢٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص٨١-٩٣، حيث أوردها بتفاصيل وافية.

أنه ذاهب لتأديب العصاة ممن خرجوا عن طوعهم، في تربة والخرمة، واجتمع به والده في "عشيرة" وبحثوا في خطة الزحف للاستيلاء على تربة والخرمة، ثم السير إلى نجد، بعدها تقدم عبد الله واستولى على تربة بسهولة ٢٤ شعبان ١٣٣٧هـ (مايو ١٩١٩م) لأن طلائع قوات الملك عبد العزيز كانت تعسكر بالقرب من الخرمة، وعزم عبد الله على أن يتحرك في اليوم التالي بقواته للاستيلاء على الخرمة، فإذا بطلائع قوات عبد العزيز لاتمهله إلى شروق شمس اليوم التالي، وتباغته ليلاً، وتقضي في عدة ساعات على جميع قواته، ولم ينج إلا شارد أو هارب، وكان الأمير عبدالله نفسه من بين من هربوا بأعجوبة. وغنم سلطان نجد الأسلحة والمعدات التي كانوا يتباهون بها، وخسروا جيشهم، وكانت نكبة أخرجتهم من حالة الزهو والنشوة التي كانوا يعيشون فيها، وظنوا أن سلطان نجد سيواصل زحفه إلى الطائف ومكة، فأجروا اتصالاً ببريطانيا للعمل على إيقاف زحفه، لكنه لم يزحف وقرر الأكتفاء بما كان، ورأى أنه ليس من الحكمة التقدم في الوقت الحالي، ثم إذا ببرقية تصله من الحكومة البريطانية في ٥رمضان ١٣٣٧هـ (٤يونيه ١٩١٩م) تطلب منه عدم التقدم، وهو ماتوقعه وقرره مسبقاً، مكتفياً بتأكيد نفوذه الرسمي على تربة والخرمة، وما يقع في نطاقهما من قبائل، وزاد نجمه تألقاً وسطوعاً، واستحوذت هيبته على القلوب.

وكان لهذه الموقعة دويّ هائل في أنحاء الجزيرة العربية لعدة اعتبارات، من بينها: وضع حد لغطرسة ومزاعم الشريف حسين، من

كونه ملكاً على العرب وخليفة المسلمين، وأنه المتحدث باسم العرب، فحجمته فى نظر العرب والأجانب، فبدأوا يعيدون حساباتهم للأهتمام بالكفة الراجحة[1] كما كان لها تأثيرها الفعال وسط القبائل فى المنطقة، فمعظم القبائل تلتف حول القائد المنتصر، أو التى تتوقع أن يكون النصر حليفه، لأغراض متنوعة، وأما وقعها على قبائل عسير وتهامة القريبين من مكان الموقعة، فكان الإعجاب الممتزج بنوع من الاعتزاز لأنها أعادت إلى أذهانهم أمجادهم السابقة فى ظل الدولة السعودية الأولى، والتى كان من مردودها أنهم مايزالون فى توجهاتهم سلفيين، ويكنون لآل سعود المودة والموالاة. ومن هنا كان التلاقى الذى أدى إلى عودة النفوذ.

عسير

قامت صحوة بين بعض قبائل عسير، وبخاصة قبائل قحطان وشهران وزهران وغيرهما، تدعو إلى إحياء مبادىء الدعوة السلفية، وأنتشرت هذه الصحوة بين قبائل عسير. وكان الحسن بن عايض لم يمض عليه فى منصبه سوى عدة أشهر، منذ تسلّم شئون متصرفية عسير من محيي الدين باشا، آخر الولاة العثمانيين عند رحيله، أوائل شهر ربيع الثانى ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م) حين شاهد هذه الصحوة تسرى بين القبائل،

[1] فيلبى، المصدر السابق، ص ٤٣٣-٤٣٦.

عقب معركة تربة التي وقعت في أواخر شعبان ١٣٣٧هـ، فأحس بأن فيها تهديداً لسلطته، فعمل على مقاومتها.

كان ابن عايض يفتقد إلى الحس الديني والسياسي الواعي، ولو نظر إلى موقف أجداده، والأمراء قبلهم، لكفى نفسه عاقبة ماحدث. ومما قيل في تحليل شخصيته: شرع في إدارة بلاده، بعد جلاء الترك، على شكل أحفظ الناس[1] وكان مستبداً ظالماً نفرت منه القبائل، خصوصاً قحطان وزهران، فأرسلت وفودها شاكية إلى ابن سعود[2] وانصرف عن إدارة الحكومة إلى اشباع شهواته من متع الحياة ولذاتها[3] وحصلت بينه وبين رعاياه خلافات أدت إلى لجوئهم إلى عبد العزيز شاكين من ظلم "حسن" وعسفه[4].

وكانت لأسلاف عبد العزيز سيادة على مقاطعة عسير، ودخلت ضمن أملاكهم، وأهلها شوافع، فكتب السلطان عبد العزيز ـ عقب وفود مندوبي تلك القبائل إليه بالرياض ـ إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة، ويدعوهم إلى الرجوع إلى ماكان عليه أجدادهم، من العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وبعث إليهم ستة من علماء نجد لاصلاح ذات البين. لكن الأمير حسن رفض الوساطة، وردّ

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٦٢.

(٢) امين الريحاني، تاريخ نجد، ص٣٠٠.

(٣) الزركلي، المصدر السابق، ص٢٤٩، نقلاً عن كتاب "صقر الجزيرة" لعبد الغفور عطار.

(٤) الزركلي، المصدر السابق، ص٢٤٩، نقلاً عن مخطوطة خالد الفرج.

الوفد ردّاً قبيحاً، وقال: إذا كان ابن سعود يتدخل في شئون قبائل عسير، فسنمشي إلى بيشة النخل ونستولي عليها[1].

وسبق أن عرفنا أن الحسن كان قد عقد تحالفاً مع الشريف حسين، وألغى تحالفه مع الإدريسي، مما استدعى من الإدريسي أن يجهز عليه حملة، فهُزمت عند سطح جبل "تهلل" عندها انتابت الحسن حمَّى الغرور والزهو[2] وكان منه هذا التصرف غير اللائق حيال وفد العلماء، والرد الاستفزازي المثير! فما أشبهه بموقف الشريف حسين، وابنه عبد الله قبيل معركة "تربة" من حيث الغرور والغطرسة!.

كانت التوقعات ترشح حائل في مسيرة عبد العزيز لضمها ذاك الوقت، بعد هزيمة الدولة العثمانية حاميتها وراعيتها، وذلك قبل أن يمتد إليها أي نفوذ آخر[3] لكن ابن عايض استفزه واستدعاه للمجاولة، فجهز عليه حملة قادها ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي في شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) استولى على عسير بعد عدة وقائع، استسلم في

---

[1] أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٣٠٠، والزركلي، المصدر السابق، ص٢٤٩، والعقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤١،٧٤٢، وأمين سعيد، المصدر السابق،ج٢، ص٩٥،٩٦، ولعل في كلام ابن عايض مايشير إلى مدى نفوذ وسلطة سلطان نجد، وأنه ممتد إلى بيشة وماوازاها جنوباً ذاك الوقت.

[2] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٨-٧٤٠.

[3] كان الشريف حسين يطمع في مد نفوذه إليها، وكذلك ابنه فيصل في العراق لمجرد أنها أصبحت وحيدة في الميدان بينما كان بيت آل رشيد يعيش في مأساة بداخله، حيث حلت التصفية الجسدية بينهم، محل التفاهم والحوار الهادئ، وهي بداية النهاية. وحايل من مناطق وسط شبه الجزيرة، وامتداد طبيعي وتاريخي لنجد.

نهايتها الحسن بن عايض، وابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايض[1] ولم يكن مضى سوى عام وثلاثة أشهر تقريباً، منذ تسلم الحسن شئون عسير (المتصرفية) من الوالى العثمانى، ثم أرسلهما ابن مساعد إلى السلطان عبد العزيز فى الرياض.

وفى لقائهما به، قال لهما عبد العزيز: ماتخلينا أبداً عنكم ياآل عايض، فعندما سأل الترك الشريف عبد الله بن عون[2] أن يهاجمكم وينكّل بكم، أرسل الشريف يستنجد عمى الإمام عبد الله ـ ليساعده عليكم ـ فأجابه: ابن عايض رجل منا، فكيف نساعدك عليه؟! (ويقصد الأمير محمد بن عايض فهو الذى كان معاصراً لكل من الامام عبد الله ابن فيصل، والشريف عبد الله بن محمد بن عون).

ولقيا العفو والأمان فبايعا ابن سعود على السمع والطاعة، وأقاما شهراً فى ضيافة السلطان عبد العزيز، ثم عرض على حسن بن عايض العودة إلى إمارته فى أبها، مشترطاً أن يكون معه كما كان أسلافه مع آل

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥٠، أمين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٠، وامين سعيد، المصدر السابق، ص٩٦، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٢، والمصادر تذكر محمد بن عبد الرحمن بن عايض على أنه ابن عم الحسن بن عايض، والصواب أنه بمنزلة عمه، وليس ابن عمه، فهو محمد بن عبد الرحمن بن عايض بن مرعى، والحسن هو ابن على بن محمد بن عايض بن مرعى، ومحمد هذا هو الذى ذهب إلى مكة المكرمة فى بداية حكم الحسن، وعقد معاهدة مع الشريف حسين، وقد توفى بالرياض فيما بعد عام ١٣٥٣هـ، كما يقول فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٠٢.

[2] تولى إمارة مكة عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) حتى وفاته عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٨م).

سعود، فاعتذر قائلاً: عادَيْنا الناس، ونخشى إذا عدنا إلى الإمارة أن يقوموا علينا، ولكنا نكون معاونين لمن تولونه الإمارة أيدكم الله، ولاتقصروا علينا من جهة الدنيا .. فقبل السلطان عذره، وأعاده هو وابن عمه إلى بلادهما، بعد أن منحهما ٦٥ألف ريال (٦٥٠٠جنيه ذهب) وخصهما وأهلهما بمشاهرات مالية[1] ويقال: إنه وردت لابن سعود مكاتبات تحمل عدة توقيعات من بعض زعماء عسير، يطلبون من عبد العزيز ألايسمح لآل عايض بالرجوع احتناباً للفتن، لكنه تغاضى عن ذلك[2].

عاد الحسن وابن عمه محمد إلى أبها راضين مغتبطين من حسن المعاملة، وأقاما بجوار الأمير الذى كان قد عينه ابن مساعد حاكما على عسير بتوجيه من السلطان، وهو: شويش الضويحى المطيرى، ثم مالبث الحسن بن عايض أن كتب للسلطان عبد العزيز يشكو هذا الأمير، فعزله وعين بدلاً منه عبد الله بن سويلم، لكنه لم تمض عليه فترة حتى شكاه أيضاً إلى السلطان، فعزله وعين بدلاً منه فهد العقيلى[3].

وكان الحسن يتعمد شكاية أمراء عسير من قبل عبد العزيز، لإظهار نفوذه أمام قومه، وإيهامهم بمدى سلطته كخطوة أولى للانقضاض على

---

[1] امين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠١، والزركلى، المصدر السابق، ص٢٥٠، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٢.

[2] د.عصام ضياء الدين، عسير فى العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ص٤٩.

[3] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥٠، وليس صواباً ماذكره فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص٦١، من أن الملك عبد العزيز أعاد الحسن بن عايض أميراً على أبها، وأرسل معه مندوباً يقيم إلى جانبه.

السلطة، وشرع يدس الدسائس على ابن سعود، ويؤلب عليه القبائل، وجرت بينه وبين الشريف حسين اتصالات، تدفقت إليه على إثرها الأموال والعتاد لتأليب القبائل، والاستعداد للانقضاض[1].

استأذن الحسن من فهد العقيلى للذهاب إلى بلدته "حرملة" لإحضار عائلته للاقامة معه فى "أبها" فأذن له، فلما وصلها امتنع عن العودة، وسعى فى تأليب القبائل، وأخذ يوزع عليهم الأموال والسلاح الذى تتابع وصوله إليه من الشريف حسين، ثم سار بمن تجمع حوله إلى "أبها" وحاصر أميرها فهد العقيلى، لمدة عشرة أيام حتى اضطره هو وحاميته القليلة العدد إلى الاستسلام، على أن يعودوا إلى الرياض بأسلحتهم الخفيفة، غير أن العقيلى استطاع بعد خروجه من أبها أن يجمع بعض الموالين من القبائل، وراح يغير على الحسن بن عايض وأنصاره، ثم تمكن الحسن من وضع كمين للعقيلى وقبض عليه فى خميس مشيط، ووضعه فى السجن، وقام بحرق بعض بيوت الزعماء الموالين لآل سعود، ومن بينهم بيت سعيد بن مشيط[2].

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١.

[2] امين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠١، العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٣، الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١، د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٥٠، وابن مشيط رئيس أكبر بطون قبيلة شهران وكان يقيم فى بلدة "ذهبان" فؤاد حمزة، فى بلاد عسير،ص٨٠.

ويبدو أن التوقيت لهذه الفتنة كان متوافقاً مع حملة سلطان نجد على حائل لضمها، والتى استغرقت المناوشات والحصار فيها اكثر من عام[1] حيث تم الاستنفار إليها فى شهر جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ (فبراير ١٩٢١م) حتى تم ضمها فى ٢٩ صفر ١٣٤١هـ (٢٠اكتوبر ١٩٢٢م) وربما أريد انتهاز فرصة الانشغال بحائل، لتنفيذ مايراد صنعه فى عسير، على حين غفلة من ابن سعود، فاستغلت بعض الأحداث اليسيرة ودفع بها حتى تفاقمت الأوضاع، مثلما يستغل مستصغر الشرر فى إيقاد نيران يرتفع لهيبها[2] غير أن ابن سعود لم ينتظر حتى يفرغ من حائل، فلديه الاستعداد والمقدرة ذاك الوقت، للمجابهة فى أكثر من جبهة على هذا المستوى.

جهز ابنه فيصل (الملك فيما بعد) على رأس حملة مكونة من ستة آلاف رجل، خرجوا من الرياض فى شهر رمضان ١٣٤٠هـ (مايو ١٩٢٢م)[3] وانضم إليه خلال مسيره أربعة آلاف من قحطان وغامد

---

[1] امين الريحانى، المصدر السابق، ص٢٨٤.

[2] فيقال: إن خادما من خدم الأمير فهد العقيلى اشترى من السوق حطباً، فلم يجد من يحمله، فطلب من أحد المارة حمله، فرفض فضربه، فقابله بالمثل، وتجمهر الناس، وتأزم الموقف، وانتقلت الأخبار - مشوهة ومبالغ فيها - إلى بعض القبائل، فزحفت إلى أبها، واستغل الحسن هذا الزحف وركب الموجة، وقاد هذا الزحف، د.منير العجلانى، فيصل العظيم، ص٦٦.

[3] امين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٢. وفيه أن المقابل هو شهر (حزيران) يونية، وفى مقابلة التواريخ وجد أن المقابل لشهر رمضان هو مايو. لايونية. والزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١.وفيه أنه زحف بحملته هذه أواخر عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) والصواب كما قال الريحانى، لأنه خلال هذه الحملة كانت حادثة "تنومة" التى--

وزهـران وغيرهـا[1] وبعـد عـدة وقعـات دخـل الأمـير فيصـل "أبهـا" فـي صفـر ١٣٤١هـ (اكتوبـر ١٩٢٢م) ثـم استولى علـى "حجلـة" التـى كـان قـد فـرّ إليهـا الحسـن بـن عـايض، متحصنـاً فيهـا، فهـرب منهـا أيضـاً هـو وبعـض قومـه إلى القنفـذة، ومنهـا إلى مكـة المكرمـة مسـتنجداً بحليفـه الشـريف حسـين، فبعث معه جيشـاً لمسـاعدته بقيـادة كـل مـن الشريف عبد الله بـن حمـزة الفعـر، والملازم حمـدى بـك، قـائد حاميـة ينبـع، لكـن جيـش الشـريف منـى بهزيمـة فادحـة، وغنـم جيـش الأمـير فيصـل مـامعهم مـن أسـلحة وعتـاد حربـى وتموينـات[2].

وقبيل ذلك بقليـل كـان الشريف حسـين قـد تعـاهد سـراً مـع إمـام اليمـن علـى التصـدى لابـن سـعود، وتسـرب خـبر هـذا الاتفـاق[3] وأثنـاء مطـاردة فلول المنهزمـين مـن جيـش الشـريف، رأى عبـد العزيـز بـن إبراهيـم ــ أحـد قـادة جيش الأمير فيصـل، الـذى أوكـل إليـه أمـر "أبهـا" وماحولهـا ــ قافلـة قادمـة مـن الجنـوب، وعـرف أمـير أبهـا منهـم أنهـم قـادمون للحـج، وكـان عددهـم كبـيراً، ويحمـل بعضهـم أسـلحة، ويشـهرها علنـاً ممـا يثـير الشـك فـى أمرهـم، فخشـى

-- وقعت أثناء قدوم الحجاج إلى موسم ذاك العام، فى شهر ذى القعدة ١٣٤٠هـ، فضلاً عن أن الريحانى كان فى الرياض عند عودة هذه الحملة، ومن المؤكد أنه كان قد عرف تاريخ خروجها من الرياض إلى عسير

[1] امين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٢.

[2] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١، والريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٢،٣٠٣، د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٥١، سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص١٢١-١٢٣.

[3] نشر أمين الريحانى صورة أومسودة هذه الاتفاقية، فى "ملوك العرب" ص٢١٨-٢٣٣، وانظر، الجرافى، المصدر السابق، ص٢٩٨،٣٠٤.

أن يسلكوا الطريق الذى تدور فيه رحى المعركة، فنصحهم بسلوك طريق آخر، فرفضوا، وحدث ماتوقعه من قبل أمير أبها، حيث ظنهم المقاتلون قوات يمنية قدمت لمساعدة جيش الشريف، بناء على الاتفاق المشار إليه، وكانت حادثة "تنومة" التى استغلها البعض سياسياً، بعد وقوعها بزمن[١].

وبعد أن استتب الأمر فى عسير للأمير فيصل ولّى عليها سعد بن عفيصان أميراً، لكنه مالبث أن توفى، فولى مكانه عبد العزيز بن ابراهيم، السياسى المحنك وترك معه حامية مكونة من ٥٠٠جندى، ورجع الأمير فيصل إلى الرياض فدخلها فى ٢١جمادى الآخرة ١٣٤١هـ (٧فبراير ١٩٢٣م)[٢].

وقيل إن الشريف حسين جهز حملة ثانية قادها كل من الشريف عبد الله الفعر والحسن بن عايض عام ١٣٤٢هـ، فتصدى لهما ابن عفيصان وهزمهما، ثم توفى على إثرها، ولما تولى الإمارة عبد العزيز ابن ابراهيم، لم يمكنهم من إرسال حملات، ووطد الأمن فى عسير، واستسلم

---

[١] هامش ص٥٠ من كتابنا، مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية، وانظر نفس الصفحة، ومابعدها فقد تعرضنا إلى تداعيات حادثة تنومة بشئ من التفصيل.

[٢] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١،٢٥٢، والريحانى، المصدر السابق، ص٢٠٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص٩٦، ٩٧، الذى قال بأن الأمير فيصل غادر المنطقة (عسير) قبل وصول الحملة التى أرسلها الشريف حسين لمساعدة آل عايض، والتى منيت بهزيمة، وأنه كان قد ولى على عسير، سعد بن عفيصان، فتوفى، فخلفه ابن حيفان، ثم تسلم منه الامارة عبد العزيز بن ابراهيم، المعروف بالدهاء والمقدرة، فوطد الأمن .. ويبدو أن ابن حيفان خلف ابن عفيصان مؤقتاً لحين تأتى توجيهات السلطان عبد العزيز بمن يتولى الامارة فى عسير. فجاءت بتولية عبد العزيز بن ابراهيم.

إليه الحسن بن عايض، ومن كان يشايعه من آله، فأرسلهم إلى الرياض، فلم يجدوا من ابن سعود غير الرعاية، وظل بعضهم في الرياض معززين مكرمين، مثل الكثيرين من أمثالهم[1] ممن كانت لهم خصومة مع عبد العزيز، فقد كان مبدؤه "عفا الله عما سلف" ولذا تحوّل الخصوم إلى أصدقاء ومناصرين.

ومما تجدر الاشارة إليه هنا أنه منذ انضواء عسير إلى سلطنة نجد وملحقاتها، على إثر الحملة التى قادها ابن مساعد فى شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) فقد ترتب على هذا الانضمام أن تماست الحدود بين السعودية واليمن، فيما هو جنوب عسير، و لم تحدث مشاكل حدودية قبلية أو غيرها، كما لم يترتب على ذلك ردود فعل سياسية من الطرفين، وبالأحرى من جهة الأئمة فى صنعاء، التى كانت تخشى تقدم القوات السعودية إلى القسم الجبلى بأرض اليمن فيما هو جنوب عسير، أثناء هذه الحملة فلما توقفت عند حدود عسير، اطمأنت وزال التوتر[2].

وبذلك أكد هذا النفوذ وجوده الشرعى، دينياً، وتاريخياً، وسياسياً، بلا مشاحة، منذ ذلك التاريخ، وكان للوجود السعودى فى عسير الدور

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥٢، وفؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٠١-١٠٣، وامين سعيد، المصدر السابق، ص٩٧.

[2] انظر الوثيقة الانجليزية (**F.O 118-371-5255-271**) بتاريخ ١٠يونية ١٩٢١م، عبارة عن تقرير من المعتمد البريطانى فى عدن إلى وزير المستعمرات فى لندن يتضمن اخبار تهامة وعسير واستيلاء ابن سعود على أبها، وخشية إمام اليمن من تقدم قوات ابن سعود جنوباً.

البالغ في عدم تردى الأوضاع في الإمارة الإدريسية، والحفاظ على جازان.

الإمارة الادريسية:

في أواخر عهد الامام محمد بن على الإدريسى كانت الحدود الجنوبية للإمارة الادريسية قد امتدت في تهامة اليمن إلى الحديدة، وباجل، وفى الشمال الشرقى ـ بالقسم الجبلى ـ لأطراف رازح، بمنتهى جبل حُرم، والحدود الجنوبية لبنى مالك والحرّث بمنتهى جبلى النظير، وشذا، وجبلى منبه والعرو.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى اتبعت بريطانيا سياسية التقشف لمعالجة مشاكلها الاقتصادية، وكان من بينها وقف بعض المعونات لكثير من الدول، أو الاقلال منها، ومحاولة الأنفكاك من الارتباطات السابقة فى هذا المجال، وكان الإدريسى من أوائل المتضررين، فقد تركته وحده يواجه مشاكله الداخلية والخارجية، وكانت إمارته مطمعاً للمحيطين به من الشمال والجنوب. وقد تأكد له ذلك عندما تحالف آل عايض مع الشريف حسين، ولاقت قواته هزيمة عند جبل "تهلل" وضاعت آماله فى الاستحواذ على عسير، اضافة إلى أن إمام اليمن يمد بصره إلى الأرض التى أخذها من العثمانيين، فى تهامة اليمن، والجبال .. لذا اتجه إلى ابن سعود يستمد منه القوة لوضع حدٍ للأطماع المحيطة به. فالعلاقة بينهما تتسم بالود والمحبة والموالاة، فقد رفض ابن سعود من قبل طلب الدولة العثمانية

إرسال قوات لمحاربة الادريسي، عند نشوب الحرب العالمية الأولى[1] مع أن حكومة الاتحاديين في الأستانة تعهدت له بتقديم كل مايحتاجه من السلاح والمال، لكنه رفض، وكتب لهم كتاباً جاء فيه: إنه عربي ولايحارب العرب من أجل الدولة (العثمانية) وأنه هو والإدريسي على ولاء.

وإذاً فلا غرابة أن يتجه إليه الإدريسي يستمد منه المساعدة على مواجهة الأخطار المحدقة به. فبعث إليه وفداً للموالاة والتحالف، منتصف عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وكان الوفد يحمل رسالة إلى ابن سعود، جاء فيها:

إني أجلت النظر في أنحاء الجزيرة فلم أجد أهلاً للثقة ورعاية عهود الاخاء سواكم[2]. وعند وصول هذا الوفد إلى الرياض لمقابلة السلطان ابن سعود، تصادف عودة وفد قبائل عسير، الذي كان قد قدم إلى السلطان يشكو ابن عايض .. ثم تداعيات الأحدث التي استدعت إرسال حملة ابن مساعد في ٢٤شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) إلى عسير، ورافقها ثلاثة من علماء وأعيان نجد، مندوبين عن ابن سعود للتباحث مع الادريسي بشأن عقد إتفاقية صداقة وموالاة، هم: عبد الله بن محمد بن راشد

---

[1] أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٢٠١.

[2] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٥٧.

ابن جلعود[1] وفيصل بن عبد العزيز آل مبارك[2] وناصر بن حمد الجار الله.

وبعد مباحثات استغرقت حوالى ثلاثة أشهر، أعلن ماتم الاتفاق عليه من قبل الطرفين يوم ١٦ ذى الحجة ١٣٣٨هـ (٣٠ أغسطس ١٩٢٠م) فى معاهدة تم اعتمادها بالتوقيع عليها فى ١٠ صفر ١٣٣٩هـ (٢٣ اكتوبر ١٩٢٠م) (الملحق:١)

ومما يلاحظ على هذه المعاهدة أن الإدريسى كان قد سعى لعقد تحالف مع ابن سعود مبكراً، أى قبل امتداد النفوذ السعودى إلى عسير، ثم جرت المباحثات والمفاوضات لعقدها بعد استتباب النفوذ السعودى على عسير، وتجاور الطرفين، لذا فإن المعاهدة تناولت وضعية القبائل وانتماءاتها، بما فيها الأرض التى تقيم عليها، وذلك بالنسبة للطرفين، ثم أشارت إلى نقطة مهمة لم تسبق الإشارة إليها فى أية معاهدة سابقة أو لاحقة، وهى الأحقية التاريخية لآل سعود فى المنطقة، ذلك لأن الأرض التى تمتد عليها الإمارة الادريسية ـ ابتداء من حلىّ بن يعقوب شمالاً إلى مابعد الحديدة جنوباً، ومن البحر الأحمر غرباً إلى جبل كحلان شرقاً، وجبال بنى سعد وعُبال ورَيْمة فى الشرق، علماً أنه فى عهد الدولة

---

[1] كان ابن جلعود يعتبر بمثابة رئيس الوفد، وقد ترجم له ابن بسام فى "علماء نجد، ج٢، ص٥٤١، كما أورد العقيلى، تاريخ المخلاف، ج٢، ص٧٥٤، خطاباً موقعاً منه ومن ابن مساعد ـ أثناء الحملة على عسير ـ موجها إلى السيد/مصطفى النعمى، أحد أبرز قادة الادريسى.

[2] ترجم له أيضاً ابن بسام، المصدر السابق، ج٣، ص٧٥٤-٧٥٥.

السعودية الأولى وصلت فتوحاتها إلى جبال حجة، وجبل كوكبان، وباب المندب[1] والحديدة جنوباً ـ كل هذه الأرض تدخل ضمن مطالبات ابن سعود ذاك الوقت فى الأحقية التاريخية، لخضوعها فيما سبق لسلطة آل سعود، منذ عهد الدولة السعودية الأولى، وحسماً لأية مطالبة، أو تنازع بشأنها فقد نص على ذلك، نظراً للمكانة والعلاقة الخاصة مع الإدريسى، فقد جاء فيها مايلى: "فحيث كان فى مملكة الإمام محمد بن على الإدريسى من القبائل والبلدان فى اليمن، ماهو فى ملك آل سعود سابقاً، تركه الإمام عبد العزيز لأجل محبته للخير، ومعاونته عليه، وحسن سيرته"[2] فمن الجائز أنه أثير موضوع الحق التاريخى أثناء المفاوضات، فأراد الإدريسى أن يطمئن من هذه الناحية حتى لايحدث بينهما نزاع بهذا الشأن مستقبلاً، فنص عليه، وأطلق على المعاهدة مسمى "معاهدة صداقة" وهذا يعنى أنه طالما بقيت الصداقة، وحسن السيرة، فلن يفسدها هذا الحق التاريخى. وإذا حدث العكس ظهرت المطالبة .. وبصورة أوضح هو تنازل للادريسى وعائلته من بعده، طالما كانت هناك تلك الصداقة، وحسن السيرة.

---

[1] انظر ص٦٠-٦٣ من هذا البحث.

[2] انظر الملحق رقم١ فى نهاية هذا البحث. حيث وضعنا ملاحق للمعاهدات التى ورد ذكرها فى البحث لأهميتها من حيث الاطلاع على نصوصها، وتم ترتيبها ترتيباً زمنياً من حيث الاسبقية التاريخية.

وفي المقابل فإن الإدريسي كان نفوذه يمتد إلى بعض المناطق والقبائل المتداخلة مع عسير جنوباً، فقد تركها لتدخل ضمن عسير تحت نفوذ ابن سعود[1] ومن بينها يام بنجران.

ونظراً لأهمية هذه المعاهدة، فإنها ظلت سارية المفعول، ونُصّ على استمراريتها في المادة الأولى من معاهدة مكة المكرمة (معاهدة الحماية) الموقعة بين: عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الحسن الإدريسي إمام جازان بتاريخ ٢٤ربيع الأول ١٣٤٥هـ (٣١اكتوبر ١٩٢٦م).

وعلى أية حال فإن المعاهدة تعطينا دلالة على مدى ماكان يكنه كل من الحاكمين للآخر، من تقدير ومحبة، ولذا تم تحديد الحدود بينهما بهدوء وتفاهم دون إثارة أية مشاكل.

ويبدو أن إمام صنعاء حاول التأثير على الادريسي، وجذبه إليه، عندما عرف باتجاهاته نحو ابن سعود، فبعث إليه وفداً يحمل كتاباً منه بتاريخ ٢٥جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ (٥مارس ١٩٢١م) يحثه فيه على التعاون معه للتصدى للانجليز، وإخراجهم من البلاد اليمنية وغيرها، فرد عليه الإدريسي بتاريخ ١٥شعبان ١٣٣٩هـ (٢٣ابريل ١٩٢١م) مبرراً علاقته وارتباطه بالانجليز، ومن قبلهم الإيطاليين، وأن ذلك كان لغرض

---

[1] الملحق رقم١. وأوردها أيضاً امين سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص٩٧،٩٨.

الوقوف فى وجه العثمانيين، ومندداً بالأهواء المختلفة لبعض حكام العرب، ونزاعاتهم.

وقد أورد الريحانى نص الكتابين[1] وعلق عليهما قائلاً:

فى هذين الكتابين يتضح أمران، الأول: أن دعوة الامام يحيى دينية ظاهراً، وسياسية ضمناً، ودعوة السيد الادريسى دينية أساساً، وسياسية قومية عملاً. الثانى: فى كتاب إمام صنعاء غموض مقصود، وعموميات قلما تفيد، وفى كتاب إمام جيزان صراحة مبرورة، وتخصيص ليس فيه إبهام[2].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو وصف الريحانى لكتاب الامام "بأن فيه غموضاً مقصوداً، وعموميات قلّما تفيد" ويبدو أن هذه كانت سمة أساسية فى معظم مكاتبات الامام بصفة عامة، والتى تقع التبعة فيها على مستشاريه غالباً. ثانياً: أن الغرض من مكاتبة الإمام للإدريسى فى هذا الوقت بالذات لم يكن حثه على التعاون معه للوقوف فى وجه الانجليز، وإنما التودد إليه للابتعاد عن ابن سعود، حتى لايشكلا قوة تستطيع التصدى لأغراضه التوسعية[3] فهو يعلم أن الادريسى حليف للإنجليز، ووقع معهم من قبل معاهدة مازالت سارية المفعول حتى تاريخ هذين

---

[1] ملوك العرب، ص٣٤٨-٣٥٢، ونقلهما عنه العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٥١-٧٥٣.

[2] ملوك العرب، ص٣٥٢، وأما الوفد اليمنى الذى حمل الرسالة إلى الإدريسى فكان برئاسة النقيب الشرفى.

[3] انظر مانقله عنه الريحانى، المصدر السابق، ص١٣٥،٢١٣،٢١٤.

الخطابين، وعلاقة الادريسي بهم مازالت طيبة، حيث أنهم سلموا إليه "الحديدة" في ٢٢جمادى الأولى ١٣٣٩هـ (٣١يناير ١٩٢١م) أى قبل حوالى شهر من تاريخ خطاب الإمام إليه، فكيف يعاديهم؟!.

كان أخشى مايخشاه الإمام أن يتضمن الاتفاق (المعاهدة الأولى) بين ابن سعود والادريسي على التعاون بينهما في رد العدوان على أيّ من الطرفين، فلما عرف بخلو المعاهدة من هذا النص اطمأنت نفسه.

وبهذا التحديد الذى أوضحناه لامتداد الإمارة الادريسية جنوباً وشرقاً[1] بعد الحرب العالمية الأولى، وعند توقيع اتفاقية الصداقة بين سلطان نجد، والادريسي في ١٠ صفر ١٣٣٩هـ (٢٣ أكتوبر ١٩٢٠م) تم التفاهم بينهما على تحديد الحدود، وتبعية القبائل وولاؤها لكل منهم. وكان القائد الإدريسي: طاهر رضوان، قد تقدم في الجنوب الشرقي وجعل من باجل مقراً لقيادة الجيوش الإدريسية[2].

وكان من المتوقع ألا يصمت الإمام حيال هذا الوضع، وخاصة وضع الحديدة، فلديه طموحات وأطماع عدة، لذا ظل يترقب الفرصة السانحة لانتهازها، لاسيما وأنه أحس ببدء تراخي قبضة الانجليز عن استعمال القوة في المنطقة، وبالتالى قوة دعمهم للإدريسي.

---

[1] انظر ص١٥٦،١٥٧ وهامش ص١٧٢ من هذا البحث، وأيضاً ملوك العرب، ص٣١٩.

[2] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٢.

ولعدة اعتبارات يأتي في مقدمتها كثرة مشاكل بريطانيا التي خلفتها الحرب العالمية الأولى، وخاصة الناحية الاقتصادية، لذا اتجهت لحل مشاكلها بالوسائل السياسية في كثير من بقاع العالم قدر المستطاع، وكان من بينها مسألة المحميات بجنوب اليمن، مع الإمام، الذى سبق له أن هاجم محمية الضالع عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) فقد فضلوا تسوية مشاكلهم معه عن طريق المفاوضات، ورحب الإمام بذلك، وأرسل القاضي عبد الله العرشي مندوباً عنه إلى عدن، واستمرت المفاوضات اكثر من عامين[1] واتجه الامام لمراقبة الإدريسي في انتظار الفرصة السانحة، التي تتيح له انتزاع الحديدة من يده، بعد أن اطمأن بأن الانجليز لن يتدخلوا لصالح الإدريسي، وبعد قليل أتيحت له الفرصة المرتقبة على نطاق واسع، وذلك بوفاة الادريسي الفجائية، يوم ٦ شعبان ١٣٤١هـ (٢٠ مارس ١٩٢٣م) وبداية تصدع وانهيار البيت الادريسي، بسبب النزاعات العائلية، وسوء الادارة، فقد خلفه في الحكم أكبر أبنائه: على بن محمد بن على الإدريسي[2] ونازعه الحكم ابن عم ابيه: مصطفى الادريسي، ثم عمه الحسن الادريسي، وحدث شقاق بين أبناء الأسرة، ورجال الدولة، وكان هذا من مصلحة الإمام في صنعاء.

---

[1] الريحاني، المصدر السابق، ص٨٤،٨٥،١٧١، ود.سالم، المصدر السابق، ص٢٦٤.

[2] ولد في دنقلة بالسودان عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٥م) من أم سودانية هي: مريم بنت هارون الطويل، فكان عمره حوالى ١٨ عاماً عندما تولى الامارة. د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٧١،٧٢.

تـولى مصطفـى الإدريسـى إدارة القسـم الجنوبـى للإمـــارة ـــ مـــن ميـــدى حتى جنوب الحديـدة ــ نيابـة عـن الأمـير علـى بـن محمـد الادريسـى، ثـم مـالبث أن أعلـن اسـتقلاله بهـا، ووقعـت بينهمـا حــرب انهــزم مصطفــى علــى إثرهــا هاربـاً، وقـام الأمـير بـالقبض علـى أنصـاره، وكـل مـن يشـك فـى ولائـه مـن رجـال دولـة أبيـه، ونفـاهم إلى عـدن، حتـى أقفـرت البـلاد مـن ذوى الخـبرات والحنكـة السياسـية، واعتمـد علـى رجـال تنقصهـم الخبرة والكفـاءة، فـى تسـيير أمـور البـلاد، كمـا اضطهـد بعـض زعمـاء القبـائل بالقسـم الجنوبـى مـن تهامــة، للتفـافهم حـول مصطفـى الإدريسـى، ومنـع عنهـم الصـلات والمقـررات، فتمنـوا زوال دولتـه[1] وهنـا لعبـت السياسـة المتوكليـة دورهـا فـى كسـب ودهـم، وإغـداق الأمـوال عليهـم، فكسـبت ولاءهـم عـن طريـق الإحسـان بـالأموال. وتغلغـل النفـوذ السياسـى المتوكلـى، ثـم أعقبـه النفـوذ الفعلـى للجيـوش فـى معظـم البـلاد التهاميـة دون إراقـة دمـاء، حتـى أن القـوات المتوكليـة دخلـت الحديـدة دون قتـال، وهـرب منهـا نـائب الإدريسـى: عبـد المطلـب بـن هـارون، خـال الأمـير، وكـان الجيـش المتوكلـى بقيـادة ابـن الوزيـر علـى مسـافة ثلاثـين كيلومـتر منهـا، فدخلهـا ابـن الوزيـر بعـد ثلاثـة أيـام مـن هـروب نـائب الأمـير يـوم ٢٧مـارس ١٩٢٥م، وباسـتدعاء مـن بعـض أهلهـا .. وتـابع الجيـش المتوكلـى زحفـه شمـالاً دون معـارك تذكـر حتـى أصبـح علـى مقربـة مـن

---

[1] وذلك مثل الزعماء: هادى هيج رئيس قبيلة الواعظات، ويحي على تواب رئيس بنى عبس، وأحمد فتينى رئيس الزرانيق، والشيخ عبد القادر الأهدل، صاحب مروة، وذو النفوذ الكبير فى تهامة اليمن، الذى استطاع امام صنعاء استمالته إليه

ميدى[1] وذلك خلال فترة يسيرة، تجاوزت الشهرين بقليل ــ شوال وذو القعدة ١٣٤٣هـ (أواخر مارس وأبريل ومايو ١٩٢٥م) كما استولى على ميدى وحرض في النصف الثانى من جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (يناير ١٩٢٦م) وفى القسم الشرقى لم يستطع الاستيلاء إلا على جبل "شذا"، وارتد عن بلاد بنى الحرّث، وتقدمت حامية ناحية صامطة، ثم وجدت مقاومة فتراجعت إلى حرض.

وفى مستهل عام ١٣٤٤هـ استطاع الحسن الإدريسى أن يقصى ابن أخيه عن الحكم، لكونه السبب فى انهيار الإمارة وفقدانها نصف أملاكها، لرعونته وطيشه .. وتولى هو الحكم محاولاً انقاذ مايمكن إنقاذه، ولما لم تكن لديه قوات ولا أسلحة يستطيع بها صد القوات المتوكلية، التى أصبحت تهدد بالاستيلاء على البقية الباقية من الإمارة الإدريسية، فإنه سارع إلى ابن سعود طالباً حمايته لتلك البقية الباقية من الإمارة، وأوكل بتلك المهمة إلى المجاهد الليبى أحمد شريف السنوسى، الذى نجح فى أن يعقد مع الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، معاهدة حماية لصالح الإمارة الإدريسية، عرفت باسم "معاهدة مكة المكرمة" وقعت بتاريخ ٢٤ربيع الآخر ١٣٤٥هـ (٣١اكتوبر ١٩٢٦) (الملحق رقم ٢)

عرفنا أن إمام صنعاء انتهز فرصة تصدع البيت الإدريسى، والنزاعات حول الحكم، وتشتيت رجالات الدولة، وتفرق القبائل،

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٤-٨٨٧.

فاستولى على ماستولى عليه من القسم الجنوبى للإمارة الإدريسية بتهامة، وهو الذى كان يسعى قبل ذلك إلى استرداد الحديدة فقط، ويتباحث مع الانجليز بشأن إعادتها إليه[1] أما وقد استردها ومعها غيرها من تهامة الجنوبية حتى حرض، فخبر لم يكن فى الحسبان، وعند حرض توقفت قواته ليرى ماذا يصنع الآخرون؟! لأن فى التقدم شمالاً مجازفة حسبما نصحته به إيطاليا.

كان الانجليز فى عدن يراقبون الموقف بشكل دقيق. فتقارير المعتمد البريطانى فى عدن إلى رؤسائه فى الهند و لندن، تفيد أنه كان يتابع الأحداث أولاً بأول، بدءاً من عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) عند وفاة الإدريسى، ونزاعات العائلة الإدريسية حول الحكم، وتوقعاتهم فى أحد تلك التقارير المرفوع فى ١١نوفمبر ١٩٢٤م بأن استمرار الادارسة فى تلك النزاعات سيمكن إمام اليمن من التغلب عليهم جميعاً، وتقرير بعد ذلك بتاريخ ٣١مارس ١٩٢٥م يشير إلى أن توقعاتهم السابقة، قد حدثت فعلاً وأن كثيراً من مدن ومواقع الإدريسى استسلمت للإمام. ويبدو أن الأمير على بن محمد الإدريسى كان قد طلب منهم التدخل بموجب المعاهدة السابقة مع أبيه، ولكونه لم ينصع لنصائحهم فى أسلوب إدارته للإمارة، فإنهم تخلوا عنه، وأبلغوه فى ٦ابريل ١٩٢٥م، أن المعاهدة مع الأب لاتسرى على الابن. كما أنهم لم يعطوه فرصة لمد يده للإيطاليين

---

[1] الريحانى، ملوك العرب، ص٢١٤-٢١٦، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٤١٠-٤١٢

لمساعدته، خشية من أن يمكنهم من أية امتيازات في ظل المحنة التي يمر بها[1] وفيها إحساس باعطاء الضوء الأخضر لإمام اليمن بأن يفعل مايريده، في حدود معينة، فهي لن تتدخل، وستظل حيادية.

كما لوحظ على تلك التقارير أنها كانت تطلق مسمى "عسير" على الإمارة الإدريسية (جازان ومايتبعها)، وتطلق مسمى "أبها" على عسير، ويبدو أن هذا الاستعمال كان شائعاً ذاك الوقت، فقد ورد أيضاً في معاهدة مكة المكرمة، بين الملك عبد العزيز والحسن الإدريسي.

أما بالنسبة لإيطاليا التي كان لها نفوذ محدود في البحر الأحمر يومذاك، نظراً لوجود مستعمرة لها في أريتريا والصومال وتطمع في الحبشة، وكانت تسعى لمد نفوذها إلى شبه الجزيرة العربية، لتنافس بريطانيا في هذه المنطقة، فقد وجدت استعداداً لدى الإمام يحيى للتحالف معها بهدف تزويده باحتياجاته من الأسلحة وكافة أنواع التجارة، وذلك منذ أن نالت اليمن استقلالها السياسي، واعترفت بها بعض الدول دولة مستقلة رسمياً، في ١١ذو الحجة ١٣٤١هـ (٢٤ يوليو ١٩٢٣م) أثناء انعقاد الدورة الثانية لمؤتمر الصلح في لوزان، بموجب نص المادة (١٦) و (٦٠) وأصبح من حقها عقد المعاهدات والتحالفات الدولية مع الدول الأخرى، فسعى الإمام للحصول على احتياجاته من بريطانيا، فلم يتمكن، فتقدمت

---

[1] هذه التقارير محفوظة بالأرشيف البريطاني، وزارة الخارجية، تبدأ من (**F.O. 120-371-10007**) ومابعده، بتواريخ مختلفة من بينها ماذكرناه أعلاه.

له إيطاليا فكانت فرصة له، حيث عقد معها معاهدة في ٢٨ صفر ١٣٤٥هـ (٦ سبتمبر ١٩٢٦م) كانت تعتبر أول معاهدة من دولة أوربية تعترف باستقلال اليمن، منذ حصولها على استقلالها في التاريخ المشار اليه أعلاه وعلى إثرها أمدته باحتياجاته من الأسلحة[1] التي جعلته متفوقاً على خصمه أثناء حربه مع الأدارسة. في الوقت الذي نضب ماكان لدى الأدارسة من أسلحة غنموها من العثمانيين، كما أنها حفزته للاستيلاء على ماستولى عليه من مدن، وسواحل مطلة على البحر الأحمر، لكي يكون اتصاله به مباشراً وبعيداً عن رقابة بريطانيا، مع أن بريطانيا قد تضايقت من هذا التقارب لكنها لم تستطع منعه، مثلما منعته عن الإدريسي. المهم أن هذا التحالف مع إيطاليا قد أكسب الامام يحيى قوة، وجعله أكثر تحفزاً على تهديد الإمارة الادريسية بكاملها، ورفضه محاولات الصلح معهم، وشجعه على هذا النصر السهل الذى حققه في فترة يسيرة، ومعظمه دون قتال وإنما بأساليب أخرى، ويقال إن إيطاليا هي التي طلبت من الامام يحيى الوقوف عند حرض، وحذرته من التقدم شمالاً[2] في الوقت الذى شعرت فيه قواته بأن التقدم شمالاً أصبح عسيراً، نظراً لتصدى قبائل المخلاف لها، فاستقرت في حرض. اما موقف ابن سعود من هذه الحرب، فقد كان مشغولاً بما هو أهم في نظر المراقبين، حيث كان يعمل على ضم الحجاز إلى مملكته، وكانت بداية تحرك قواته صوب الحجاز في

---

(1) د. سالم، المصدر السابق، ص ٢٩١-٢٩٤.

(2) د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٩٦.

أواخر شهر محرم ١٣٤٣هـ (أغسطس ١٩٢٤م) ونظراً لحساسية البقاع المقدسة، فقد حرص على سلامتها، وسلامة أهلها، ثم سلامة الرعايا الأجانب في مدينة جدة، التي استغرق حصارها حوالى عام، حتى تم تسليمها يوم ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (٢٢ ديسمبر ١٩٢٥م) واستغرقت عملية الضم بكاملها حوالى ستة عشر شهراً[١] والواقع أن ابن سعود لم يكن بمنأى عن تلك الأحداث تماماً، وإنما وجدت منه اهتماماً إلى حد ما، فعند بداية تقدم القوات المتوكلية في تهامة الجنوبية، نتيجة للصراعات العائلية في البيت الإدريسي، بعث وفداً من قبله برئاسة محمد ابن دليم رئيس قبيلة قحطان، لإصلاح ذات البين بين الأمير علي الإدريسي، وعمه الحسن، إلا أن تزايد التوتر، واشتداد الخلافات أوقف مساعي الوفد، فظل في جازان يراقب الوضع عن كثب حتى تمكن الحسن في النهاية من إقصاء ابن أخيه، عندها غادر الوفد جازان عائداً إلى عسير[٢] وتوافق ذلك مع وصول أحمد شريف السنوسي للوساطة أيضاً، ثم حثه للحسن الإدريسي على سرعة عقد معاهدة مع ابن سعود، لانقاذ البقية الباقية من الإمارة الإدريسية، ففوضه الحسن بالقيام بهذا الدور، فذهب إلى مكة المكرمة على رأس وفد إدريسي، وقابل الملك عبدالعزيز، وتفاوض معه بشأن تلك المعاهدة التي سبق أن أشرنا إليها، من أنها

---

[١] استولت قوات سلطان نجد على الطائف في أول صفر ١٣٤٣هـ (سبتمبر ١٩٢٤م) وعلى المدينة المنورة، التي استسلمت في ١٩جمادى الأولى ١٣٤٤هـ (٤ ديسمبر ١٩٢٤م) وأثناء ذلك توجهت بعض الكتائب والسرايا السعودية فأستولت على الليث، وغيرها في الجنوب، وعلى رابغ، وينبع، والعلا في الشمال حتى خليج العقبة.

[٢] العقيلي، المصدر السابق،ج٢، ص٧٦٠،٨٩٨،٩١٠،ومذكرات الماضي، ص٤٢،٤٣.

معـاهدة حمايـة، وعقـب توقيعهـا بعـث الملـك عبدالعزيـز خطابـاً بمضمونهـا إلى الإمـام يحيـى فـى صنعـاء، بغـرض الإفـادة بـالوضع السياسـى الجديـد الـذى أصبحـت فيـه الإمـارة الإدريسية. وكـان ذلـك بمثابـة تحذيـر رسمـى للقـوات المتوكلية من التقـدم شمـالاً. فقـد أصبحـت تلـك البقـاع فـى حـوزة ونفـوذ أقـوى حـاكم فـى بـلاد العـرب فـى رأى المراقبـين للأوضـاع.

والواقـع أن العلاقـة بـين الملـك عبدالعزيـز والإمـام يحيـى ـــ حتـى ذاك الوقـت ـــ كـانت علاقـة وّد واحـترام متبـادل، ولم يشـبها مـايعكر الصفـو ظاهريـاً. بـالرغم مـن تمـاس الحـدود بـين الدولتـين منـذ عـام ١٣٣٨هـ فيمـا هـو جنوب عسـير، فقـد بعـث الملـك عبدالعزيـز خطابـاً إلى الإمـام يحيـى، إبـان ضمـه للحجـاز، كـى يطمئنـه علـى سـلامة الأمـاكن والبقـاع المقدسـة[١] وحـاول الإمـام الوسـاطة بـين الملـك عبدالعزيـز والملـك علـى بـن الحسـين[٢] إلا أن توقيـع معـاهدة الحمايـة. أوقفـت طموحـات الإمـام يحيـى. وبـدأ الإحتكـاك المباشـر بينهمـا، وبدايـة توتـر العلاقـات.

---

[١] نشرت مجلة المنار نص هذا الخطاب بالمجلد ٢٦، ج٧ بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (٢٤يناير ١٩٢٦م) ص ٥٤٠ للرد على جريدة المقطم التى أنكرت أن يكون ابن سعود قد أرسل خطاباً إلى إمام اليمن بهذا الخصوص، ضمن ما أرسل لحكام العالم الأسلامى.

[٢] د. سالم، المصدر السابق، ص ٣٢٤، ٣٢٧.

المهم أن بعض القبائل قامت بثورات ضد قوات الإمام رافضة حكمه، كالزرانيق، وعبس، وبعض بطون حاشد وبكيل[1] وانشغلت قواته بتهدئة الأوضاع في تلك المناطق، وغيرها من مناطق داخلية مما صعب عليها مهمة التصدى لأى هجوم يمكن أن يرد إليهم من الشمال لاسترداد تلك المناطق. وذلك بالرغم من حصوله على أسلحة حديثة من إيطاليا عقب توقيعه معها معاهدة عام ١٩٢٦م.

أثر معاهدة الحماية

في الوقت الذى كانت الوفود غير الرسمية تتنقل بين صنعاء وجازان، بحثاً عن حل سلمى بين الطرفين، والإمام مطمئن إلى انقياد الأدارسة إن طوعاً أو كرهاً إلى طاعته، إذا به يفاجأ بخبر معاهدة الحماية رسمياً، من قبل الملك عبد العزيز، عقب توقيعها وإشعاره بها رسمياً لإبلاغ قواده في المنطقة بإيقاف تحركاتهم، وأتبع الملك عبد العزيز ذلك بإرسال بعض التعزيزات إلى المنطقة في عسير، وأمر رؤساء القبائل بأن يكونوا على استعداد. فما كان من الإمام ـ بعد أن درس الموقف جيداً ـ إلا أن أمر

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص٩٠٢، ود.سالم، المصدر السابق، ص٣٢٨،٣٢٩،، ود.عصام ضياء الدين، ص١٠٩.

قائده فـي الميـدان: عبـد الله بـن الوزيـر، إلى السـكون والتوقـف عـن أيـة حركة، وإبقـاء الوضـع علـى مـاهو عليـه[1].

ولعـل ماشـد الانتبـاه، وأدخـل الـروع حقـاً فـى قلـب الكثـيرين، هـو ماجـاء فـى المـادة الأولى مـن معـاهدة الحمايـة هـذه، مـن حيـث الإشـارة إلى الاتفاقيـة التـى أبرمـت فـى عـام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) مـع الإمـام محمـد الإدريسـى، وذلـك بـالقول بـأن الحـدود القديمـة الموضحـة فـى اتفاقيـة ١٠صفـر ١٣٣٩هـ والمنعقـدة بين سـلطان نجـد، وبـين الإمـام السـيد محمـد بـن علـى الإدريسـى، والتـى كـانت خاضعـة للأدارسـة وقتئـذ، هـى تحـت سـيادة جلالـة ملـك الحجـاز وسـلطان نجـد وملحقاتهـا، بموجـب هـذه المعـاهدة[2] فهـذا النـص يعنـى بالنسـبة للإمـام فـى صنعـاء أن القسـم الجنوبـى للإمـارة الادريسـية، مـن ميـدى حتـى جنـوب الحديـدة، وبـاجل وغيرهـا، تدخـل ضمـن الحمايـة، ولـن يعترف الملك عبـد العزيـز للإمـام يحيـى بالاسـتيلاء علـى هـذا الجـزء ! .

وقـد زُوّد أول وفـد رسمـى سـعودى[3] ذهـب إلى صنعـاء فـى ١٣ذى الحجـة ١٣٤٥هـ (١٤يونيـو ١٩٢٧م) بصـورة مـن تلـك المعـاهدة، ليطلـع عليهـا الجـانب اليمنىفتـأكدت المفاجـأة !.

---

[1] د.سالم، المصدر السابق، ص٣٢٨.

[2] انظر نص المادة الأولى في تلك المعاهدة، بالملحق رقم٢.

[3] كان الوفد يتكون من: سعيد بن مشيط، عبد الوهاب أبو ملحة، تركى الماضى.

وبدأت المباحثات الحدودية للحل السلمى الذى رآه الطرفان من البداية، بديلاً عن المجابهة كما ترتب على تلك المعاهدة اتخاذ بعض الإجراءات الداخلية، التى اقتضتها الظروف والوضع القائم.

ومعاهدة الحماية هذه تتكون من "١١" مادة تضمنت المادة الأولى منها استمرارية العمل بالمعاهدة السابقة الموقعة فى ١٠صفر ١٣٣٩هـ (٢٣اكتوبر ١٩٢٠م) ومن المؤكد أنه قُصِد من وراء ذلك بيان الحدود القديمة للإمارة الإدريسية التى كانت عليها عام ١٣٣٩هـ، والتى تمتد حتى جنوب الحديدة وباجل، وهذا يعنى عدم الاعتراف بما قام به إمام اليمن بالاستيلاء على ماستولى عليه من قبل، وهومن حرض حتى جنوب الحديدة.

المادة الثانية حتى السادسة، حددت صلاحيات الحسن الإدريسى فى إدارة الشئون الداخلية فقط، وفق أحكام الشرع، ودون الارتباط، أو الدخول فى مفاوضات مع أية حكومة، أو جهة أخرى، ولاإشهار الحرب، أو إبرام الصلح، أو التنازل عن أى جزء من أرض الإمارة. كما اعترفت للحسن الادريسى بحاكميته طوال حياته، ثم من بعده لمن يتفق عليه الأدارسة، وأهل الحل والعقد من أعيان البلاد ورؤسائها، وبذلك أشركت أعيان البلاد فى اختيار الحاكم الإدارى التنفيذى.

أما المادة السابعة فقد خولت الملك عبد العزيز حق دفع أيّ تعدٍّ داخلى أو خارجى يقع على الإمارة مستقبلاً، وضمناً مسئولية استرداد

مـاغتصب منهـا، قبيـل المعـاهدة[1] فالحمايـة تشـملها بحدودهـا القديمـة التـى كانت عليهـا عـام ١٣٣٩هـ.

وبذلـك أخـذ امتـداد النفـوذ ـ بمقتضـى تلـك المعـاهدة ـ الصبغـة الشـرعية وفـق النظـم والمواثيـق الدوليـة المعمـول بهـا، بالإضافـة إلى مطالبـات ابـن سـعود التاريخيـة، فـى كافـة أراضـى الإمـارة التـى كـانت تمتـد إليهـا عـام ١٣٣٩هـ، عنـد توقيـع الاتفاقيـة الأولى، والتـى اعـترف الإدريسـى بهـا فـى حينهـا، حسـبما ورد فـى نـص المعـاهدة الأولى، وابـن سـعود وإن تنـازل عنهـا وقتهـا فمـا ذاك إلا لداعـى الصداقـة والأخـوة مـع الإدريسـى. ولـذا نـراه يؤكـد علـى هـذا الحـق فـى خطابـه إلى محمـد بـن علـى الادريسـى بتـاريخ ٢٥صفـر ١٣٤١هـ (١٦اكتوبـر ١٩٢٢م) إبـان حركـة ابـن عـايض[2] كمـا أشـار إلى هـذا الحـق أيضـاً الأمـير عبـد العزيـز بـن مسـاعد فـى خطابـه إلى أحـد أشـهر رجـالات الإدريسـى، وهـو مصطفـى النعمـى، بتـاريخ ٤ذو القعـدة ١٣٣٨هـ (١٩يوليـو ١٩٢٠م) إبـان حملتـه علـى عسـير[3] كمـا كـان مـن نتيجـة تلـك المعـاهدة أن قـام الحسـن الإدريسـى بإيقـاف كـل اتصـالات ومفاوضـات مـع إمـام اليمـن، بقصد تسـوية تلـك القضيـة[4] وقـام الملـك عبـد العزيـز فـى ممارسـة حقـه بوقـف الاجـراءات التـى أبرمهـا مصطفـى الإدريسـى، وابـن عمـه الحسـن، مـع إحـدى

---

[1] انظر نص المعاهدة بالملحق رقم ٢.

[2] العقيلى، ج٢، ص٧٥٩.

[3] العقيلى، ج٢، ص٧٥٥.

[4] د.عصام ضياء الدين، ص١٠٦،١٠٧.

الشركات الانجليزية لاستغلال جزيرة "زفاف" إحدى جزر فرسان، وذلك لتجاوزاته، وعدم أحقيته في إبرام هذا الاتفاق[1] وبعث الملك عبد العزيز مندوباً سعودياً عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، للمشاركة في حل بعض المشاكل الداخلية، ومتابعة تنفيذ الأحكام الشرعية[2] وسارع ابن سعود في تنفيذ التزاماته التي نصت عليها المعاهدة، وكان من أهمها التفاهم سلمياً مع إمام اليمن على الأرض التي استولى عليها، وتحديد الحدود، فقد تغيرت الوضعية السياسية للإمارة الادريسية، وأنيطت شئونها الخارجية به.

وبالأحرى أصبحت ضمن الإطار السياسي للملكة العربية السعودية، حتى قبل أن يصدر قرار رسمي بضمها إليها، وهو الأمر الذي حدث بعد ذلك رسمياً عقب فتنة الأدريسي، حيث استوجب الوضع وقتها إصدار هذا القرار.

وعلى ضوء ذلك كانت اتصالات ابن سعود المبكرة بإمام صنعاء لإجراء مفاوضات بحثاً عن حل سلمي لترسيم الحدود بين البلدين.

---

(١) العقيلي، ج٢، ص٩٠٢،٩٠٣.

(٢) كان أول مندوب سعودي، هو:صالح بن عبد الواحد، ثم عبد الله بن خشلان، ثم حمد الشويعر، ثم فهد بن زعير، ثم أعيد الشويعر، الذى استمر حتى شارك في الحرب السعودية اليمنية عام ١٣٥٢هـ.

الفصل الثانى

مؤتمر أبها، اندلاع الحرب، الوساطة العربية، معاهدة الطائف، دراسة لبعض محتوياتها

مؤتمر أبها

سبق مؤتمر أبها مباحثات حدودية، استغرقت فترة طويلة، اعترتها صعاب، ومنعطفات حادة، لكن الحكمة تغلبت على تلك الصعاب، وذلك منذ قدوم أول وفد رسمى سعودى[1] إلى صنعاء فى ١٣ ذى الحجة ١٣٤٥هـ (١٤يونيو ١٩٢٧م) كما تبادل العاهلان خلال ذلك الكثير من المكاتبات والبرقيات[2] وتم التوصل إلى حل كثير من المسائل والمشاكل وتخطى العقبات، ثم اتفق على حل بقية المسائل المعلقة فى مؤتمر يعقد لهذا الغرض وكانت المسائل المنحصرة لأعمال هذا المؤتمر أهمها، إبرام معاهدة

---

[1] كان أول وفد سعودى قدم إلى صنعاء فى ١٣ذى الحجة ١٣٤٥هـ (١٤يونيو ١٩٢٧م) يتكون من: سعيد بن مشيط، عبد الوهاب أبو ملحة، تركى الماضى. وكان أعضاء الجانب اليمنى يتكون من: عبد الله بن أحمد الوزير، محمد هاشم، محمد حيدر.

[2] تبادل العاهلان خلال تلك الفترة أكثر من مائة مكاتبة وبرقية.

يتم فيها تحديد الحدود بشكل تفصيلي، وسرعة ترسيمها على الطبيعة، وتشكيل لجان لهذا الغرض تقوم بأعمال الترسيم للحدود الفاصلة، ووضع أعلام عليها، كما تشمل أيضاً تنظيم علاقات الجوار بين البلدين الشقيقين، في بعض المجالات، الأمنية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها.

تم الاتفاق على عقد المؤتمر في مدينة "أبها" لإنهاء المسائل المعلقة[1] ومن ثم إبرام المعاهدة المطلوبة، وعقد المؤتمر في جو مشحون بالتوتر، والتحرشات والاستعدادات العسكرية، قبيل وصول عبد الله بن الوزير على رأس الوفد اليمني إلى أبها في ٢ذي القعدة ١٣٥٢هـ[2] وكان تركي الماضي قد كُلِّف بالذهاب إلى ظهران الجنوب لاستقبال الوفد اليمني، ومرافقته حتى أبها، فسجل انطباعاته الشخصية عن ابن الوزير قائلاً: كان كعادته يتظاهر بالقوة والشجاعة، ويضع الأمور في غير موضعها، متغطرساً متكبراً .. ومع ذلك فليس عنده إخلاص للملكين، ويُرشّح نفسه لولاية اليمن، وقد سبقت لي به معرفة، قبل هذه الآونة، حينما انتدبه

---

[1] كانت المسائل المعلقة تتمثل في: مسألة نجران، وترسيم الحدود بشكل نهائي، العمل على كف التدخل من الجانبين، إبرام معاهدة شاملة ولمدة عشرين عاماً قابلة للتمديد إلى مالانهاية.

[2] حدد الامام رئيس مندوبيه في مؤتمر أبها بأنه عبد الله الوزير، على رأس مجموعة من المندوبين، كما حدد الملك رئيس مفاوضيه، بصفة مبدئيه، فؤاد حمزة. انظر: بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٠٧ ص١١٩، ١٢٠، ورقم ١٠٨ ص١٢٠-١٢٢، وكان ذلك في ٢٩، ٣٠ رمضان، و لم ينعقد المؤتمر إلا في ذي القعدة ١٣٥٢هـ، أي بعد اكثر من شهر من الموافقة على انعقاده، أما بقية أعضاء الوفد السعودي فهم: الشيخ عبد الله بن زاحم، تركي الماضي، عبد الوهاب أبو ملحة، دليم بن محمد بن دليم.

الإمام لمفاوضتنا في صنعاء عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) ولم يكن انتدابه هذه المرة إلا دليلاً على عدم حسن النية من حكومته[1].

بدأت الجلسة الأولى للمفاوضات يوم الأثنين ٥ذى القعدة ١٣٥٢هـ (١٨فبراير ١٩٣٤م)[2] فأنكر ابن الوزير أن يكون قد تم الاتفاق على أيّ شئ من قبل، لا الحدود ولاغيرها .. وأخذ يجادل في كل مايطرحه الوفد السعودى مما سبق الاتفاق عليه، سواء من قبل وفود الطرفين، أو عن طريق تبادل البرقيات بين العاهلين، أو اتفاق العرو، أو المعاهدة التي عقدت وقتها وغير ذلك من اتفاقات. ظل يجادل بتصلب وعناد في كل مايطرحه الوفد السعودى، ويهدد بالانسحاب، واعتراه نوع من الحمق والنزق، والغطرسة البالغة الحد، في الوقت الذى يحاول الوفد السعودى التلطيف من حدته ونزقه، ومناقشة المواضيع بهدوء، واستمر الاجتماع من الساعة العاشرة صباحاً حتى المغرب، تخللته ساعات راحة يسيرة للصلاة وغيرها، دون الوصول إلى نتيجة، وانفض الاجتماع على أن يعقد يوم الأربعاء ٧ذى القعدة. ورفع الوفد السعودى تقريراً إلى الملك في اليوم التالى ٦ذى القعدة، فأجاب الملك عليهم ببرقية مؤرخة ٧ذى القعدة ١٣٥٢هـ، جاء فيها: .. إن ماأظهره ابن الوزير من النزق لم يكن فألاً حسناً للمستقبل، وأنتم سيروا معه سيراً حسناً موافقاً، قابلوا اللين بمثله،

---

[1] مذكرات تركى الماضى، ص٢٠٥، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٩٤،١٠٩٥.

[2] سبقها جلسة كانت لمجرد التعريف والترحيب يوم ٢ذى القعدة، ولم يتم فيها التطرق إلى شئ من المواضيع المحددة، لذا فإن الجلسة الثانية يوم ٥ذى القعدة، تعتبر هى الجلسة الأولى للمفاوضات الرسمية.

والشدة بمثلها لكن بأدب، وأخبروهم بأن الشدة لاتُعزّ يحيى ولا تُذلّنا، وإنما تعرقل المساعى السلمية. فإن كان المقصود من قدومهم الصلاح وحفظ الحقوق، فذلك هو المطلوب، إن كان الأمر غير ذلك فلا يأسف إلا فاعل السوء .. أملي فى إصلاحهم ضعيف، حالاً أمرت جنودى بالاستعداد فإن حصل الصلاح فالاستعداد مابه نقص، وإن كان غير ذلك فلا حول ولاقوة إلا با لله، أما السلم فنحن نحبه، ونقدمه على كل شئ[1].

ثم عقدت بعد ذلك أربع جلسات[2] دار فيها أيضاً نقاش طويل، ولم تسفر عن شئ إلا عن تراجع يسير من ابن الوزير، ثم توقفت المفاوضات على أن يرفع كل وفد إلى مرجعه بما تم خلالها.

وأثناء الاجتماعات بعث الملك إلى وفده برقية فى ١٧ذى القعدة، زوده فيها بكل المعلومات التى يدّعى وفد الإمام، أنه تم الاتفاق عليها من قبل، وخاصة نجران، موضحاً مادار بينه وبين الإمام بشأنها، ومستشهداً بالأدلة التاريخية على تابعية نجران، فى السابق واللاحق لنا (للسعودية) منذ عهد الدولة السعودية الأولى قائلاً فى البرقية: .. ونأخذ منهم الزكاة، وأن الإمام لما قاتل قبائل عبس والزرانيق لم يستفتنا فيهم لأنهم رعاياه، لكنه سألنا عن تأديب يام عندما أراد تأديبهم، لأنهم محسوبون علينا. وقد ظننا

---

[1] يان عن العلاقات، وثائق أرقام: ١٢٤،١٢٥،١٢٦، ص١٣٤-١٣٨، والعقيلى، المصدر السابق، ص١٠٩٤،١٠٩٦.

[2] عقدت الجلسة الثانية للمفاوضات يوم الأربعاء ٧ذى القعدة، والثالثة يوم السبت ١٠ذى القعدة، والرابعة يوم الاثنين ١٢ذو القعدة، والأخيرة يوم الأحد ١٨ذى القعدة (٣مارس ١٩٣٤م).

وقتها أنــه استفتاء أخ لأخيــه، و لم نظــن أن وراء الغطــاء شــيئاً مخبــوءاً، وأن هناك أمــراً دُبـر بليـل، و لم نسـكت وإنمـا أرسـلنا وفـداً إلى صنعـاء لحـل المشـكل، فقوبـل بالإهمـال والاضطهـــاد ..الخ[1].

اتصـف تبـادل البرقيـات بـين العـاهلين، عقـب توقـــف مفاوضـــات أبهـــا، بنـوع مـن الحـزم والحسـم مـن جـانب الملـــك، والكثـــير مـــن الليونـــة الممتزجـــة بالمراوغة مـن جـانب الإمـام، ولمـدة شـهر تقريبـاً، وقـد حـدد الملـك النقـاط التـى ينبغـى علـى الإمـام البـتّ فيهـا عـاجلاً: (١) إخـلاء الجبـال (فيفـا والعبـادل وغيرهـا) وإطـلاق رهـائنهم، وتحديـد الحـدود بمعـاهدة شـاملة، حســبما تم الاتفـاق عليـه مـن قبـل. (٢) تسـليم الأدراسـة، أو إبعـادهم بـالمحل الـذى اتفـق عليـه سـابقاً "زبيـد" (٣) عـدم المسـاومة فـى نجـران، بـأى حـال. فإمـا أن يكـون محـايداً، وإمـا أن يعـود الوضـع فيهـا علـى ماكـان عليـه سـابقاً، مـاتحت أيديكــم لكـم، ومـاتحت أيدينـا لنـا. فـأهل وادى نجـران تحـت أيدينـا، وكـذا "هـدادة" و"بـدر" و"حبونــة" وغيرهـا، وفـى برقيـة مـن الملـك للإمـام بتـاريخ ١٦ذو الحجـة ١٣٥٢هــ، جـاء فيهـا: .. نحـن قـد لُدغنـا مـن قِبلكـم، فـلا نحـب أن نلدغ زيادة علـى مـاتقدم، وقـد مضـى علـيّ أكـثر مـن سـنة، وأنـا أجـادل أهـل نجـد دونكـم إلى أن نفـد صـبرى وصـبرهم، وتعديـاتكم متكــررة لم تقـف عنـد حـدّ[2]. وكـانت آخـر برقيـة مـن الملـك إلى الإمـام بتـاريخ ١٧ذى الحجـة ١٣٥٢هــ (أول أبريـل ١٩٣٤م) وآخـر برقيـة مـن الإمـام بتـاريخ ١٩ ذى

---

[1] بيان عن العلاقات، ص١٤٧-١٤٩، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٩٨-١١٠٠.

[2] بيان عن العلاقات، وثيقة ١٤٦ ص١٦٦،١٦٧.

الحجة ١٣٥٢هـ طلب فى نهايتها عودة ابن الوزير إلى صنعاء[1] وكان رئيس الوفد السعودى قد تبادل مع رئيس الوفد اليمنى بعض المكاتبات أثناء توقف المفاوضات، لعل أهمها ماكان من رئيس الوفد اليمنى بتاريخ ٢٣ذى القعدة ذ٣٥٢هـ، والإجابة عليه من رئيس الوفد السعودى، حيث فنّد فيه جميع مزاعم ابن الوزير، تاريخياً، ومنطقياً، وعرفياً، بصورة جيدة[2].

أراد ابن الوزير والوفد المرافق له العودة من أبها إلى اليمن عن طريق البر، فأخبره الوفد السعودى بأن الطريق محفوف بالمخاطر، نظراً لانتشار الجنود به، فأصر على رأيه، فأبلغوا الملك، فكتب إليهم أن يمنعوه عن السفر براً خوفاً على حياته، وأن يعرضوا عليه السفر عن طريق البحر من جدة، فرضخ بعد مجادلة، وذهب مع الوفد من أبها إلى مكة المكرمة، هو ومن معه، وقابلوا الملك هناك، ثم أقاموا فى ضيافته بمكة المكرمة، ولم يفكر فى السفر، لأن الحرب كانت قد اندلعت[3].

---

[1] بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٤٨، ١٤٩، ص١٦٧-١٧٠.

[2] بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٦٢، ١٦٣، ص١٩٠-١٩٩.

[3] مذكرات الماضى، ص٢٢٦، ٢٢٧، وبيان العلاقات، ص١٧٠.

وقبل أن نترك مرحلة المفاوضات، التى تجاوز مداها سبع سنين[1] ووقعت خلالها أحداث ووقائع متعددة، كانت إحداها كفيلة باندلاع الحرب فى حينها، لكن حكمة الملك عبد العزيز، وسعة صدره، ثم أسلوب الليونة من الإمام، دفع الملك إلى عدم اليأس من الحل السلمى، وحال بينه وبين الرد على العدوان بمثله، فى وقته .. قبل أن نترك هذه المرحلة المليئة بالأحداث، نود أن نشير إلى نقطة تعتبر فى رأي الشخصى مهمة بالنسبة لوصول المفاوضات إلى طريق مغلق، وإلى بداية النهاية لفترة التوترات.

إذا كان الإمام يحيى قد لعب الدور الأساسى، بصورة ظاهرية، فى فشل هذه المفاوضات، نظراً لأساليبه الملتوية، ومخالفة القول للفعل، فإن هناك أيدٍ خفية مختلفة، كان لها أثر فعال فى دفع الإمام للقيام بهذا الدور، من بينها:

- ابنه، وليّ عهده، سيف الإسلام أحمد، الشاب المتحمس لدرجة التهور، فقد أراد إثبات كفاءته مبكراً فى خلافته لأبيه، وأنه الأجدر بها من بين إخوته، خاصة بعد أن خلت له الساحة بوفاة أخيه، الذى كان ينافسه الحماس، بل كان يفوقه فيه، محمد البدر، الذى استُشهد غريقاً أمام

---

[1] بدأت بسفر أول وفد سعودى إلى صنعاء أواخر ذى القعدة ١٣٤٥هـ، وتوقفت بعد تبادل آخر برقيتين بين الملك والامام فى ١٧، ١٩ذى الحجة ١٣٥٢هـ، عقب فشل مؤتمر أبها. فتكون المدة التى استغرقتها تلك المفاوضات بما فيها تبادل البرقيات، هى سبع سنين، وسبعة عشر يوماً.

الحديدة عـام ١٣٥٠هـ، وهـو ينقـذ أحـد الغرقـى. وكـان ولي العهـد قـد أحـس بـأن حماسـه هـذا قـد أعجـب أبـاه، فتمـادى فيـه إلى الدرجـة التـى أصبـح فيهـا يملى بعـض آرائـه فـى شئون الدولـة علـى أبيـه، ومـن بينهـا إثـارة المشـاكل علـى الحـدود، واقتنـاص أجـزاء مـن أرض الخصـم، وتـولى القيـادة فـى "صعـدة" لهـذا الغرض، بينما أخـوه الـذى يليـه مرتبـة ـ بعـد وفـاة محمـد البـدر ـ وهـو ابراهيـم ابـن يحيـى، كـان متزنـاً ورزينـاً، و لم تعجبـه بعـض تصرفـات أبيـه وأخيـه وليّ العهـد، وأبـدى نوعـاً مـن التمـرد علـى تصرفاتهمـا، فمـا كـان مـن والـده إلا أن أودعـه السـجن، مخافـة أن يجاريـه بعـض الرعيـة فـى معارضتـه، لكنـه بعـد فـترة استطاع الهـرب مـن سـجنه، وذهـب إلى عـدن وانضـم إلى جبهـة المعارضـة ضـد أبيه وأخيـه[1].

- بعـض حاشـية الإمـام وكبـار رجـال دولتـه، ممـن لهـم مـآرب خاصـة، فـى اسـتمرارية هـذا الوضـع، بـل السـعى فـى توسـعة شـقة الخـلاف بـين الدولتـين، للمزيـد مـن الاستفادة، وذلـك أمثـال: عبـد الله بـن الوزيـر، وغـيره، حيـث أظهـرت الأيـام مـدى العـداوة التـى كـان يكنهـا للإمـام، حـين تزعـم مؤامـرة للقضـاء علـى الإمـام، وقـدر لهـا أن تنجـح يـوم ١٣٦٧/٤/٧ هـ (١٩٤٨/٢/١٧م) ونصّـب نفسـه إمامـاً علـى اليمـن، وطـالب الـدول العربيـة تـأييده ومؤازرتـه، لكـن وليّ العهـد أحمـد بـن يحيـى تـدارك الموقـف بسـرعة، والتفـت حولـه القبـائل، واسـتطاع القضـاء علـى المؤامـرة[2] وكـان للملـك عبـد

---

[1] د. سالم، المصدر السابق، ص٤٧٥.

[2] الجرافي، المصدر السابق، ص٣٣٣-٣٤٠.

العزيز موقف مشرف، فلم يعترف بابن الوزير إماماً على اليمن، وقدم إلى الرياض وفد أرسله ابن الوزير للملك يطلب دعمه، فقال الملك للوفد: .. أنتم أيها الناس قَتَلةٌ .. اتركوا بلادى!.[1] وهذا منتهى الوفاء .. فالخصومة بينهما كانت قد زالت، وحلّ محلها الإخاء والصداقة والمحبة .. فكان التأثر لمفارقته الحياة فى وضع غير طبيعى .. وكان الوفاء له حيّاً وميتاً.

بعض هؤلاء الملتفين حول الإمام حسنوا له فكرة إحياء اليمن الكبرى، التى استوحوها مما تقوم به حليفتهم ايطاليا ذاك الوقت، من إحياء أمجاد الدولة الرومانية، فالإمام لم تكن لديه فكرة واضحة عنها، بدليل ماذكره أمين الريحانى، حين سأله عن حدود اليمن، فقال: إنه لايعرف منها غير الحدود القديمة، التى كانت تشمل حضرموت، وعمان[2] وكان قد زاره عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) وهى فكرة لايسعفها السند التاريخى، أو الجغرافى، وتتنافى مع استقرار الأوضاع السياسية للدول فى العصر الحديث[3] وماأوردناه من شواهد تاريخية وسياسية وغيرها فى هذه الدراسة، يفنّد هذه الفكرة.

---

[1] د.سالم، المصدر السابق، ص٤٧٩.

[2] ملوك العرب، ص١٣٤،١٣٥.

[3] فى ثنايا هذا الكتاب الأدلة المناقضة لهذه الفكرة، وانظر أيضاً كتابنا "مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية، ص١٦٩-١٨٧ وغيرها.

لقد أقر المجتمع الدولى، عقب الحرب العالمية الأولى، تسليم أملاك الدولة العثمانية فى شبه الجزيرة العربية، إلى أهل البلاد، وعلى هذا الأساس قام العثمانيون بتسليم الإمام ماكان بحوزتهم من المناطق الجبلية فقط، بما فيها صنعاء، لأن أحقيته لاتتجاوز منطقة الجبال، وقد كان ذاك الوقت حليفهم وصديقهم، فلو كانوا واثقين من أحقيته لغيرها لَسلَّموها له، أو ساعدوه فى تسلُّمها، لاسيما وأن آخر الولاة العثمانيين، محمود نديم باشا، فضّل البقاء للعمل فى خدمته، على العودة إلى بلاده، غير أن الإمام تفتحت شهيته بعد ذلك للاستحواذ على أكبر مساحة من الأرض رافعاً شعار "اليمن الكبرى" الذى لاأساس له تاريخياً وجغرافياً، ووفق المعايير الدولية لإنشاء الدول فى العصر الحديث .. هذا بالإضافة إلى قيام هؤلاء من ذوى الأغراض بمحاولات اقناع الإمام بأن الملك ليست لديه القدرة على الدخول فى الحرب، ولا الاستمرار فيها، وأن حالته هذه هى التى دعته لعدم الرد على تحركاتهم فى الجبال.

- قامت إيطاليا بدور بارز فى تشجيع الإمام يحيى على التصدى للملك عبد العزيز، وسعت فى إشعال العداء بينهما، بما كانت تشيعه من أكاذيب واختلاقات عن نوايا الملك، وأمدت الإمام باحتياجاته العسكرية وغيرها، بهدف انتزاع تهامة (جازان) بأية وسيلة، فقد كانت تطمع فى جزيرة فرسان مقابل وقوفها بجانب الإمام، وتبنت وجهة نظر الإمام فى مفاوضاتها مع بريطانيا بروما عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) وفى كثير من المواقف.

- كما كان للأدارسة والنازحين ـ لأى سبب كان ـ إلى صنعاء من تهامة (حازان) الدور الذى لايقل أهمية عن غيره، من حيث توسعة شقة الخلافات بين الملك والإمام، ويكفى أن أحد هؤلاء كان ضمن أعضاء الوفد اليمنى، خلال الجولة الثانية من المفاوضات فى صنعاء عام ١٣٤٦هـ[1] ثم إن دور الأدارسة فى تأليب القبائل، وإحداث الاضطرابات، وتهريب الأسلحة إلى أيدى تلك القبائل، وحثهم على الثورة، كل هذا وغيره معروف، وذكر بعضه فى مكاتبات الملك للإمام.هؤلاء جميعا وغيرهم، ممن لايهمهم إراقة دماء المسلمين هنا أو هناك، بقدر مايهمهم تحقيق مصالحهم الشخصية، نشطوا لتبديد الحل السلمى وتوسيع الخلافات، حتى حلّت الفاجعة التى روّع المسلمون فى الأقطار العربية من أحلها ذاك الوقت .. وعندها اختفى هؤلاء، وأصبح الإمام هو المسئول أولاً وأخيراً، وتبددت نداءاته للعالم العربى، مع دويّ صوت البنادق والمدافع على إثر إندلاع الحرب، لأنه لم يتخذ القرار المناسب فى الوقت المناسب، وظن أن المراوغة تجدى إلى مالانهاية!!.

---

[1] وهو محمد حيدر النعمى، من أهل الملحا، ومن علماء الزيدية، وكان هو وأحمد الأهدل وغيرهما لايكفان عن تحريض الامام، انظر: مذكرات الماضى، ص٥٤،٥٥.

سبق تعبئة وحشد قوات كلا الطرفين على الحدود، وتركزت المواجهة فى جبهتين، إحداهما: الجبهة الشرقية بنجران وعسير فى مواجهة صعدة والقوات المتوكلية التى تحتل الجبال بجنوب عسير (فيفا وبنى مالك والعبادل) وأجزاء من نجران، وتولى قيادة القوات السعودية فى هذه المنطقة الأمير (الملك) سعود بن عبد العزيز، وليّ العهد، وتحت رئاسته كل من: الأمير فيصل وأخيه فهد بن سعد بن عبد الرحمن، والأمير خالد بن محمد عبد الرحمن، وبعض القواد الآخرين، واتخذ "أبها" مقراً لقيادته، وفى المقابل بالجبهة اليمنية، فإن وليّ العهد، سيف الاسلام أحمد بن يحيى، كان يقود هذه الجبهة، متخذاً من "صعدة" مقراً له، أما الجبهة الثانية، فكانت بمنطقة تهامة (جازان) والساحل، وتولى القيادة فيها الأمير (الملك) فيصل ابن عبد العزيز، نائب الملك فى الحجاز، وتحت رئاسته قواد الجيوش فى المنطقة، كحمد الشويعر، وابن سلطان، وابن السبهان، وعبد الله الخثلان وغيرهم. وكان مركز القيادة فى "صامطة" ثم انتقل إلى بلاد "بنى حُمّد" قرب الحدود مباشرة، وفى المقابل على الجبهة اليمنية، كانت القيادة قد اتخذت من بلاد "عبس" مقراً لها، ومعها قوات كثيرة، تتقدمها قوات تعسكر بالقرب من الحدود، فى ميدى، وحرض، والمناطق التى استولت عليها من قبل فى جبال بنى مالك وغيرها. وكان القائد للقوات المتوكلية فى هذه الجبهة هو عبد الله بن الوزير، فلما استدعى للمفاوضات فى

أبهـا، تـولى القيـادة مكانـه شـخص آخـر، ثـم القـاضى عبـد الله العرشـى، هـذا بالاضافة إلى كـل مـن الحسـن وعبـد الوهـاب الإدريسـى.

وكـان هـدف الملـك عبـد العزيـز مـن إعـلان الحـرب، هـو الدفـاع[1] بمعنـى استعادة الأراضـى التـى استولت عليهـا قـوات الإمـام، فـى الجبـال (فيفـا وغـير) ونجـران. وجَعْـل الإمـام فـى موقـف يقبـل فيـه التسـليم بالمسـائل التـى قتلـت بحثـاً مـن قبـل، ودون مراوغـة هـذه المـرة، ولـذا فـإن اسـترداد الأراضـى مـن القـوات المتوكليـة كـان الهـدف الأول، وأمـا الثـانى فهـو جعـل الإمـام فـى موقف يرضخ فيـه للاعـتراف والتوقيـع علـى مـاتم بحثـه مـن قبـل، وهـذا لايتـم إلا بـاحتلال جـزء مـن أرض اليمـن، لالضمهـا إلى مملكتـه، وإنمـا لـترجيح كفتـه بهـا، وإرغـام الإمـام علـى تـرك المراوغـة والمماطلـة، والبـتّ فـى المواضيـع المعلقـة فـوراً دون إبطـاء أو تسـويف.

ولمـا كـان هدفـه هـو الاسـتيلاء علـى جـزء يرجـح بـه كفتـه، ويدفـع الإمـام إلى القبـول والتسـليم، وليـس الاسـتيلاء بغـرض الضـم إلى مملكتـه، فليكن هـذا الجـزء فـى أرض تهامـة الجنوبيـة، المنبسـطة السـهلة، التـى تعـوّد أهـل المخـلاف وعسـير وأهـل نجـد الانطـلاق إليهـا مـن قبـل، فـى عهـد الدولـة السـعودية الأولى، أمـا المنـاطق الجبليـة مـن اليمـن فـى مقابلـة نجـران وعسـير،

---

[1] حدد الملك فى اكثر من مكاتبة للإمام، بأنه إذا فشل الحل السلمى، سنضطر إلى الدفاع عن بلادنا، وكرامتنا، ومن ذلك آخر برقية بعثها الملك إلى الامام بتاريخ ١٧ذى الحجة ١٣٥٢هـ (١أبريل ١٩٣٤م) وثيقة ١٤٨، بيان عن العلاقات، ص١٦٧، وقد جاء فيها: .. مضى علينا عدة أشهر، والعدوان يتمادى علينا، ولم تجدنا جميع المراجعات فائدة، ولم يكن لنا مندوحة عن الدفاع الذى أمرنا به.. ألخ.. وكانت بمثابة الأنذار الأخير.

فستكون مكلفة من حيث الأرواح والمعدات، وطالما أنه سيتركها، ويعيدها للإمام بعد توقيع الاتفاقات إذاً فلاداعى لتلك التكلفة، ولذا كانت تعليماته إلى ولى عهده سعود، قائد هذه الجبهة :العمل على طرد قوات الإمام من نجران، وعدم التوغل فى المنطقة الجبلية، إلا بالقدر الذى يحمى القوات السعودية فى نجران ــ أما جبهة تهامة والساحل، فتتقدم حيث شاءت، ووفق الظروف، ما لم يصدر لها أمر بالتوقف وعلى ألاتتجاوز الحديدة.

أصدر الملك عبد العزيز ـ قبل الموعد المحدد بخمسة أيام ــ أمره إلى ولديه: سعود، وفيصل، باتخاذ الأهبة ورفع درجة الاستعداد القتالى إلى أقصى درجة، محدداً لهم ساعة الصفر لبدء الزحف عقب صلاة فجر الثلاثاء ١٨ذى الحجة ١٣٥٢هـ (٢أبريل ١٩٣٤م) ما لم يُصدر لهما قبل ذلك أمراً بالتوقف، وعليهما إبلاغ القواد تحت رئاستهما بابلاغ الأمر فى الوقت الملائم للاستعداد للزحف .. وتصادف أن قامت عاصفة جوية ترابية، لمدة ثلاثة أيام، عطلت الاتصال بين الملك والقيادة فى الجبهات، وحان الموعد المحدد لبدء الزحف، فانطلقت القوات كل منها فى الجبهة المحددة لها. وقاد الأمير محمد بن عبد العزيز قوة احتياطية لدعم ماتحتاجه الجبهتان من قوات أو معدات.

كانت مهمة الجناح الشرقى للجيش السعودى، الذى يقوده الأمير سعود، تتركز فى: (١) العمل على الاستيلاء على ماتجوزة القوات المتوكلية من أراضى نجران. (٢) تطويق القوات المتوكلية الموجودة فى

الجبال (فيفا، وبنى مالك والعبادل) والتحكم فيها، ومنع الامدادات عنها، ومن ثم مهاجمتها حين يشتد عليها الحصار بغرض الاستسلام. (٣) التحكم فى المنطقة التى بين صعدة ونجران، وبينها وبين جبال فيفا، وتهديد صعدة نفسها.

عند حلول ساعة الصفر تحرك القسم الأكبر من قوات الأمير سعود فاستولى على ماكان بيد القوات المتوكلية من أرض يام بنجران فى ٦محرم/٢١أبريل، وطاردت القوات المنهزمة إلى ماوراء بلدة الحضن[1] آخر حدود نجران من جهة اليمن، و لم يبق إلا قاعدة واحدة فى الجنوب الشرقى فى يد القوات المتوكلية. وتقدمت مجموعة من الجيش يقودها الأمير فيصل ابن سعد، وأخوه فهد، فاحتلت بلدة "باقم" وبلاد بنى جماعة، وقطعت بذلك خط الرجعة عن القوات المتوكلية فى نجران، كما تقدمت مجموعة أخرى يقودها الأمير خالد بن محمد فطوّق القوات الموجودة بالجبال (فيفا والعبادل وغيرها) من جهة الشرق والجنوب، وظلت فى مناوشات معها. ومنعتها صعوبة الجبال ووعورتها من التقدم. فأحكمت الحصار عليها. ونقل الأمير سعود مقر قيادته العليا من أبها إلى داخل أرض اليمن مما يلى الحماد بين "بقعة ونشور" جنوب "باقم" وشمال صعدة[2].

---

[1] أوردها د.عصام، المصدر السابق، ص٨٢٥ باسم "المحض" وأوردتها د.الخترش، المصدر السابق، ص٢٣٥ باسم "المحصن" ونقلناها هكذا، عن فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٩٠ كما وردت هكذا فى نص معاهدة الطائف.

[2] د.الخترش، المصدر السابق، ص٢٣٤،٢٣٥، ومجلة الفتح العدد ٣٨٩ بتاريخ ١٣٥٢/١٢/٢١هـ، والعدد ٣٩١ بتاريخ ٥محرم ١٣٥٣هـ، والعدد ٣٩٣ بتاريخ ١٩محرم ١٣٥٣هـ، ومذكرات الماضى، ص٢٢٦.

أما جبهة الساحل وتهامة، فقد تقدمت فيها القوات في زحف متواصل، ولم تجد مقاومة إلا في "حرض" وعندما استولت عليها، إنهارت بقية القواعد والتجمعات المتوكلية بتهامة اليمن، وأُسر عامل ميدى القاضي عبد الله العرشي، واستسلمت البلدان واحدة بعد الأخرى حتى بلدة الطائف جنوب الحديدة بمسافة ١٢ ميلاً، وباحل بالشرق، وأقبل مشايخ تهامة الجنوبية، ورؤساء قبائلها يعلنون الطاعة والولاء، ويطلبون الأمان، من الأمير فيصل بن عبد العزيز، فقد كانوا يظنون أن بسط النفوذ السعودي سيستمر عليهم، وهم شوافع عانوا الكثير من الحكم الزيدي خلال السنوات التسع الماضية، منذ اقتطع الإمام هذا الجزء من المقاطعة الإدريسية، وكان الحكم الزيدي وقتها مازال متعصباً في إدارته، وإن كانت قد خفت تلك العصبية شيئاً فشيئاً فيما بعد، لكي يقبله جميع طوائف الشعب اليمني، بمختلف مذاهبهم واتجاهاتهم العقدية والسياسية.

وتحت الضغط العسكري توالى انسحاب أو استسلام عمال الإمام وقواده في تهامة، وكان من بينهم سيف الإسلام الحسين[1] أحد أبناء الإمام يحيى، حيث غادرها إلى صنعاء في ١٤ محرم ١٣٥٣هـ (٢٩أبريل ١٩٣٤م) قبل أن تصلها القوات السعودية. كما غادرها قائد الحامية العسكرية سليم بك إلى جزيرة كمران، وتفرق جنود الحامية النظامية البالغ عددهم ٦٠٠ فرد في الجبال، وخشي العديد من الأهالي من سطوة الجيش

---

[1] في بعض المصادر أورد أن اسمه "عبد الله" لكن الصواب "الحسين" قتل بيد المتآمرين يوم مقتل والده في ٧ربيع الثاني ١٣٦٧هـ (١٦فبراير ١٩٤٨م).

القادم ففر كثير منهم إلى الجبال، وبعضهم إلى جزيرة كمران، وعمت الفوضى المدينة، فاندفعت بعض القبائل المجاورة لتزاول مهنتها فى السلب والنهب، فاقتحموا مستودعات الحكومة وسلبوا مافيها من بضائع، وأسلحة وذخيرة، وتعرض قصر الحكم للنهب، وقام بعض وجهاء البلد بمحاولات السيطرة على الموقف، ومنع امتداد أعمال السلب إلى متاجر الأهالى وبيوتهم، وأرسلوا إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز، وكان مايزال فى اللحية، يطلعونه على الموقف، ويطلبون سرعة حضوره لتأمين البلد والأهالى، فبعث كتيبة محمولة على السيارات، لتصل بسرعة، كطليعة للجيش الزاحف، بغرض تأمين البلد والأهالى.

كانت بريطانيا وايطاليا وفرنسا، تراقب الصراع الدائر على حذر، وأرسلت كل منها قوة بحرية ربضت فى ميناء الحديدة، وكانت بريطانيا أسرعهم فى الوصول إلى الميناء ببعض قواتها البحرية، وقامت طائراتها بعدة طلعات جوية استكشافية صباح ١٨محرم ١٣٥٣هـ (٣مايو ١٩٣٤م) واستطاعت إنزال بعض قواتها صباح اليوم الثانى إلى المدينة بحجة تأمين رعاياها. قبل وصول طلائع القوات السعودية، وفور وصول تلك الطلائع السعودية، قامت بضرب حصار حول المدينة لتأمينها من المتسللين، واتصلت بكبار الموظفين والأهالى وطمأنتهم، وأبلغت الأمير فيصل بالوضع، وكان يتحرك وقتها من اللحية فى طريقه إلى الحديدة، كما أبلغته بوجود السفن للدول الثلاث فى ميناء الحديدة، ونزول بعض القوات البريطانية إلى الشاطئ، فأبرق إلى جدة، لتقديم احتجاج إلى ممثلى هذه

الدول، لتسحب قواتها. ثم وصل الأمير فيصل إلى الحديدة يوم ٢٢محرم/٥مايو. فطمأن الأهالى، وأمنهم على أرواحهم وأموالهم، وطلب من الموظفين مزاولة عملهم اليومى دون توقف.

وفى اليوم التالى لوصوله ٢٣محرم/٦مايو، علم بأن إيطاليا تحاول إنزال بعض جنودها على الشاطئ فأمر باطلاق النار كنوع من التحذير، فتوقفوا، ثم اتصل بقادة هذه القوات الثلاث، وطلب منهم سحب قواتهم من الميناء، وأن تأمين رعاياهم ومصالحهم أصبحت من مسئولية السعودية، كما أن مايدور هو خلاف بين العرب بعضهم وبعض وسوف يقومون بتسويته بأنفسهم دون تدخل من أية دولة أجنبية[1] وعلى هذا سحبت بريطانيا قواتها من المدينة، وبعث الأمير فيصل إلى النازحين من أهل المدينة إلى جزيرة كمران بالعودة لمباشرة عملهم وممارسة حياتهم اليومية فى أمان، كما بعث الملك عبد العزيز وزير المالية عبد الله السليمان، ومعه

---

[1] مالخصناه بايجاز عن وقائع هذه الحرب، انظره مفصلاً فى: العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص١١١٤-١١٣٨، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٧١-٢٨٦، ود.فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٢٢٩-٢٣٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص٣٧٤-٣٧٩، ود.سالم، المصدر السابق، ص٣٧٩-٣٨٢، والزركلى، المصدر السابق، ص٦٠٣، وجريدة الأهرام العدد ١٧٧١٧ بتاريخ ٢محرم ١٣٥٣هـ، والعدد ١٧٧٤٣ بتاريخ ١٩محرم ١٣٥٣هـ (١٩٣٤/٥/٣م) وصحيفة أم القرى الأعداد الصادرة فى ذى الحجة ١٣٥٢إلى صفر١٣٥٣هـ، وغيرها من وثائق عربية، وأجنبية.

ولوحظ أن كثيراً من المؤلفات اليمنية، وبالأخص تاريخ كل من الواسعى، والجرافى، لم تتعرض لوقائع هذه الحرب، ومانتج عنها.

مجموعة من الموظفين، ورجال الشرطة، لتنظيم الأجهزة الإدارية والمالية في المدينة.

وإزاء تدهور الموقف العسكري للقوات المتوكلية في الأيام العشر الأولى من بداية الحرب، لم يجد الإمام مفراً من الاستسلام وطلب الصلح، فبعث برقية إلى الملك بتاريخ ٢٨ذي الحجة ١٣٥٢هـ (١٢أبريل ١٩٣٤م) جاء فيها: .. كفى ماقد كان، ونعوذ با لله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر، لتحقيق مطامعهم، وبلاد يام تحت حكمكم، وقد أمرنا برفع جندنا من بلاد نجران، وتفضلوا بطلب السيد/عبد ا لله بن الوزير إلى حضرتكم لإكمال المعاهدة الأخوية[1] .. لكن الملك لم يستجب مباشرة لوقف الحرب، خشية من أساليب المراوغة التي عاني منها، فركز على ضرورة الهيمنة على جزء من الأرض، تكون وسيلة ضغط لتنفيذ الأمور المعلقة، والتي كانت مجال مراوغة. لذا واصلت قواته زحفها بعد تلقي هذه البرقية، دون أن يعطيها أمراً بالتوقف، ووطدت أقدامها في المناطق التي استولت عليها .. وخشي الإمام أن تواصل القوات السعودية زحفها إلى صنعاء، فأبرق إلى الملك مبدياً استعداده لقبول شروطه، ومطالباً

---

[1] د.فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٢٣٣، والعقيلي، المصدر السابق، ج٢،ص١١١٥، ومجلة الفتح، العدد٥٩١، ٥محرم ١٣٥٣هـ (٢٠ابريل ١٩٣٤م).

بايقاف الحرب في الحال، وراجياً من الملك طلب عبد الله بن الوزير لتوقيع معاهدة سلام وصداقة بينهما[1].

استدعى الملك عبد العزيز إلى مجلسه بقصره في الطائف عبد الله بن الوزير، وكان هو وكافة أعضاء الوفد اليمني ينزلون في ضيافته بمكة المكرمة، وعند حضوره، أطلعه على برقية الإمام، ثم تناول ورقة وكتب بخط يده الشروط المطلوبة، وهي: (١) تسليم الأدارسة. (٢) الانسحاب من نجران (بمعنى لامطالبة إلا بما ينص عليه في المعاهدة). (٣) الاعتراف بالحدود التي سبق بحثها، وإبرام معاهدة بذلك. ثم سلمها إلى عبد الله بن الوزير، فاستأذن من الملك للإبراق إلى الإمام، فأذن له، وبعد ساعات وصلت موافقة الإمام، فأصدر الملك أمره إلى القواد في الميدان بالتوقف عن الحرب، وأن يظل كل في مكانه لحين إصدار تعليمات أخرى، وأصدر أمره بتشكيل وفد المملكة للمفاوضات برئاسة الأمير (الملك) خالد بن عبد العزيز، وبدأت فوراً في اجتماعاتها، لوضع نصوص "معاهدة الطائف"[2] التي نص فيها على أنها معاهدة صداقة إسلاميةوأخوة عربية بين الدولتين.

---

[1] د. فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٢٤٥، وجريدة الفتح، العدد ٣٩٥، بتاريخ ٤صفر ١٣٥٣هـ (١٧مايو ١٩٣٤م).

[2] لوحظ أن د.سالم، المصدر السابق، وضع هامشاً عند كلمة "الطائف" وقال إن الطائف التي جرت فيها مفاوضات الصلح والمعاهدة هي الطائف الواقعة جنوب الحديدة، وليست الطائف الشهيرة التي بالحجاز؟!. ولاندري كيف فاته ذلك؟!.

أعلنـت الهدنـة فـى ٣٠محـرم ١٣٥٣هـــ (١٣مــايو ١٩٣٤م) وأصــدرت الخارجيـة السـعودية بلاغـاً جـاء فيـه: بنـاء علـى قبـول الإمـام تسـليم الأدارســة، وإخـلاء الجبـال، وتسـليم رهائنهـا، بـدأت مفاوضـات الهدنـة، وقـد أمــر الملــك عبـد العزيـز جيوشـه بـالتوقف فـى الأمـاكن التـى احتلتهـا، وتوقـف القتــال فــى ســائر الجبهــات، للدخــول فــى مفاوضـــات الصلـــح[1] التـــى عقـــدت أولى جلسـاتها يـوم ١صفـر ١٣٥٤هــ، (١٥مــايو ١٩٣٤م)[2].

وقبـل أن ننتقـل إلى استعراض بعـض نصــوص المعــاهدة، لنــا وقفــة مــع بعـض المؤرخـين الذيـن يحـاولون تحليـل نتـائج هـذه الحــرب، ومايطرحونــه مــن فـروض، ويبنـون عليهــا اســتنتاجات، أو يصلــون منهــا إلى نتــائج بعيــدة عـــن الواقـع، والحقيقـة!.

من بــين ذلـك: هـل كـان فـى حسبان الملـك عبـد العزيـز ضـم اليمـن إلى مملكتـه؟! أم كـان يريـد مجـرد تقليـم مخــالب الإمــام؟[3] أو هـــل كـــان بمقــدور الملـك أن يسيّر جيوشـه حتـى صنعـاء للقضـاء علـى الحكـم الزيـدى فـى اليمــن،

---

[1] امين سعيد، المصدر السابق، ص٣٧٩، ود.الختزش، المصدر السابق، ص٢٤٥.

[2] لوحظ أن الزركلى، المصدر السابق، ص٦٠٤، أورد أن الملك عبد العزيز أمر بوقف الزحف علـى الجبهـات يـوم ١١محرم/٢٧أبريل، وليس هذا صواباً، ففى هذا التاريخ لم يكن الأمير فيصل قد دخل بعد الحديـدة وغيرهـا مـن المدن التهامية اليمنيـة. وهـو مخـالف أيضـاً للتـاريخ الـذى أعلنتـه وزارة الخارجيـة السـعودية عـن توقـف القتـال والمذكور أعلاه.

[3] د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٨٦.

ويضمها إلى مملكته؟![1] وما الذى كان يحدث لو أن الإمام رفض شروط الملك؟[2] وغير ذلك من طرح وتساؤل.

والواقع أنها فروض فى غير موضعها، فهم يؤرخون لحوادث وقعت فعلاً، واتخذت مساراً معروفاً، ووصلت إلى نهايات معلومة تاريخياً، ولن تحوّل تلك الفروض مسارها ولانتائجها، فضلاً عما تحييه تلك الفروض من بواعث فى النفس الحاضرة!.

لقد تناسى الجميع ماكان يردده الملك فى برقياته للإمام من أنه لايرغب في شئ من بلاده .. فى معظم مكاتباته .. وعلى مدار سبع سنين من المفاوضات، وتبادل البرقيات .. والآن قدم الدليل القاطع على صدقه فى كل ماقاله، وماكرره، وأكده .. عندما أمر قواته بالانسحاب من الأراضى التى استولت عليها داخل اليمن. عقب توقيع المعاهدة، ولو لم يكن عند كلمته، ملتزماً بها، لأبقى فى يديه جزءاً مما استولى عليه: ولن يلومه أحد فى ذلك، وله الحق شرعاً وقانوناً أن يفرض على خصمه مايشاء. شأن أيّ منتصر فى الدنيا بأسرها .. لكنه ملتزم بكلمته، فلم يطلب فى شروطه سوى الأمور المعلقة، والتى قتلت بحثاً قبل الحرب .. ولذا فإن القنصل البريطانى فى جدة يوم أن عرف شروط الملك للصلح

---

[1] د.الخترش، المصدر السابق، ص٢٤١.

[2] د.سالم، المصدر السابق، ص٣٨٣.

قال: إن مطالب ابن سعود أكثر اعتدالاً عما كان متوقعاً[1].

ويقول سلفاتور أبونتي: كان يبدو للعالم أنه ليس هناك مايمنع ابن سعود من ضم بلاد اليمن كلها إلى بلاده .. ولم يفرض ابن سعود على الإمام يحيى أية تعويضات مالية، ولم يرغمه على التنازل عن أيّ من الأراضي اليمنية[1] وقال جون،س، ولينكسون: بعد انهيار المفاوضات اندلعت الحرب، وبعد وقت قصير دخل فيصل بن عبدالعزيز الحديدة، وصار الطريق إلى صنعاء مفتوحاً، واستسلم الإمام بعد ستة أسابيع .. وكان ابن سعود كريماً مع الإمام[2]

فالدول الأجنبية كانت تتوقع من الملك أن يكون أكثر تشدداً، ويزيد في مطالباته، ولديه الحق فيما يطلبه. لكنه لم يفعل، لأنه يريد اليمن لأهلها.. يريدها دولة مستقلة، يضع يده في يدها لمواجهة الأخطار المحدقة بهما معاً.

ونقطة أخرى، وهو أن الملك لم يكن يقصد من الحرب كسب أرض جديدة حتى لووصلت جيوشه إلى صنعاء، وإنما كان هدفه منها هو إرغام الإمام على الإقرار والاعتراف بالوضع الحالي قبل الحرب، ولو كان سلّم بها قبل ذلك لما وقعت الحرب، ولذا كانت تعليماته واضحة لقواد

---

[1] وثيقة عبارة عن تقرير رفعه سير أندرو ريان إلى وزارة الخارجية بلندن **371/17928-131.**

[1] في كتابه، مملكة الإمام يحيى، ص ٩٦.

[2] في كتابه، حدود الجزيرة العربية، ترجمة مجدي عبدالكريم، ص٣٣.

جيشه بعدم التوغل أكثر من اللازم في الأرض اليمنية لأنه سيعيدها ثانية لأهلها .. فهذا ضمن تخطيطه المسبق، و لم يتحول عنه بعد فوزه في الحرب.

ثم إن هذه الحرب لم تكن هزيمة للجندى اليمنى بأى حال من الأحوال، فهو جندى مقاتل وشجاع دون شك، لكنها هزيمة لقياداته التى ملكها الغرور. وغاب عنها تقدير الموقف تقديراً سليماً، من كافة النواحى. السياسية، والعسكرية، والإدارية وغيرها. فالقيادات بمختلف مستوياتها لم تكن على مستوى المسئولية، ومثال واحد للدليل على هذا، وهو هروب قائد حامية الحديدة من موقعه الميدانى إلى جزيرة كمران، قبل وصول طلائع القوات السعودية!. وغيره كثيرون[1].

وكما أدار الملك عبد العزيز دفة المفاوضات السلمية ببراعة الرّبان الماهر، فإنه أيضاً أدار رحى الحرب بكفاءة القائد الخبير بالشئون العسكرية، فهى تختلف فى أسلوبها، عن الحروب العديدة التى خاضها من قبل، لأنها تشبه إلى حد كبير أساليب الحروب العصرية الحديثة، من حيث الاستعداد، والتجهيز والتحضير، ودرجة التعبئة القتالية الميدانية فى كل

---

[1] وكان اسمه: سليم بك، عثمانى الأصل، فكثير من قيادات الجيش كانوا من الضباط العثمانيين الذين استمروا للعمل فى اليمن، لتنظيم الجيش، وعلى رأسهم آخر الولاة العثمانيين محمود نديم باشا، ومعظمهم لم يكونوا على مستوى المسئولية.

جبهة، وساعة الصفر لكافة الجبهات وأسلوب الهجوم، والتطويق، وغير ذلك مما يدخل فى إطار الاستراتيجية العسكرية للحروب الحديثة[1].

الوساطة العربية.

وقد أثار اندلاع الحرب بين الدولتين جزعاً بالغاً فى العالم العربى، وظهر التباين واضحاً فى الموقف الشعبى عنه فى الموقف الرسمى للحكومات العربية، فبينما كان الشعور الشعبى الممثل فى الهيئات والجمعيات والطوائف الشعبية طاغياً، ومتفاعلاً مع خطورة هذا الحدث، مطالباً بضرورة السعى لايقاف الحرب بين الدولتين المسلمتين، وأهمية الوصول إلى حلٍ سلمي، إذا بالحكومات لاتظهر القدر نفسه من التفاعل، فربما يعود ذلك إلى أن الحكومات، والدول العربية نفسها كانت تخضع إلى الهيمنة والنفوذ الاستعمارى ـ فيما عدا الدولتين المتحاربتين اللتين كانتا مستقلتين استقلالاً كاملاً ـــ فأرادت الدول العربية مجاراة الدول الاستعمارية في الوقوف على الحياد من هذه الحرب.

أما الهيئات الشعبية فقد عقدت عدة اجتماعات، وتوافد إلى تلك الاجتماعات كبار الشخصيات فى المحافل العربية، مطالبين بايفاد مبعوثين

---

[1] وليس أدل على إسهاماته فى وضع الخطة الحربية، وإشرافه على تنفيذها، من أن الأمير فيصل إتصل به، عندما عرف الوضع فى الحديدة، وأن الموقف يستدعيه للذهاب فوراً إليها لتأمينها فما اتفقا عليه مسبقاً اقتضى نوعاً من التعديل، نظراً لوضع الحديدة، لذا اتصل به يفيده ادخال بعض التعديل على الخطة المتفق عليها بينهما.

للوساطة بين الدولتين، لإيقاف الحرب، والسعى لإنجاز الصلح والحل السلمى[1] وكان من أبرز تلك الاجتماعات ماعقد بمقر كل من: جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، والمؤتمر الإسلامى بالقدس، شاركت فيهما العديد من الهيئات والطوائف والجمعيات، وتم الاتصال بينهما، والاتفاق على إرسال وفد مشترك للوساطة يمثل الدول العربية، وتكوّن الوفد من: الحاج أمين الحسينى رئيس المجلس الإسلامى بفلسطين (عن فلسطين) الأمير شكيب أرسلان (سوريا) [2] ومحمد على علوبة باشا والدكتور عبد الحميد سعيد (مصر) وهاشم الأتاسى (سوريَا) [3] كما انضم إلى الوفد فيما بعد كل من: جميل مردم بك، وعفيف الصلح، وشكرى القوتلى (سوريا) ومحمد رفعت (مصر).

وصل وفد الوساطة العربية إلى جدة يوم ٢محرم ١٣٥٣هـ (١٦أبريل ١٩٣٤م) قبل صدور قرار الهدنة، وقبول الإمام شروط الصلح، وتوقف القتال على الجبهات، وقد قوبل الوفد بنظرة عتاب أخوية .. أين كنتم قبل تأزم الموقف، بل منذ سبع سنين؟! لكنه لقى الترحيب والتكريم من الملك عبد العزيز كعادته فى إكرام ضيوفه. واستمر بعض أعضاء وفد الوساطة

---

[1] كان من بين الشخصيات المصرية الذين سعوا بصفتهم الشخصية: حمد الباسل باشا، زميل عرابى باشا فى الثورة ضد الانجليز، وعمر طوسون باشا، من الأسرة الحاكمة فى مصر وقتها، ومصطفى النحاس باشا، رئيس حزب الوفد، والشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، الداعية الاسلامى المعروف.

[2] كان الأمير شكيب ارسلان مبعداً عن سوريا، ومقيماً فى سويسرا، بسبب معارضته للاحتلال الفرنسى، وتم الاتصال به، فقدم للمشاركة فى وفد الوساطة.

[3] أوردته بعض المصادر على أنه كان يمثل العراق، بينما هو سورى، وصار فيما بعد رئيساً للجمهورية السورية.

بمكة المكرمة، يجرى اتصالات بالإمام يحيى، ثم انتقل إلى الطائف حين بدأت المفاوضات لصياغة المعاهدة، وتوقيعها مبدئياً من رئيسى وفدى البلدين، ثم سافر وفد الوساطة مع الوفد اليمنى لاعتمادها والتصديق عليها بالتوقيع النهائى من الإمام يحيى[1] بعد اعتمادها والتصديق عليها بالتوقيع النهائى من قبل الملك عبد العزيز. وقيل : شارك بعض أعضاء وفد الوساطة حضور بعض جلسات المفاوضات وصياغة المعاهدة[2] بغرض تقريب وجهات النظر، والإسهام بدور فى إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم بين البلدين المسلمين. وعاد الوفد بحراً عن طريق جدة إلى السويس منتصف شهر صفر ١٣٥٣هـ (أواخر يونية ١٩٣٤م).

معاهدة الطائف، ودراسة لبعض محتوياتها.

بدأت المفاوضات لإبرام المعاهدة المطلوبة، فى شكل ودّي للغاية، فقد ظهر ابن الوزير رئيس الوفد اليمنى فى صورة مغايرة تماماً عما كان عليه فى مؤتمر أبها، الذى سبق اندلاع الحرب، وأبدى الكثير من المرونة

---

[1] انظر فيما سبق: د.سالم، المصدر السابق، ص٣٨٤-٣٨٩، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق ص٢٨٩،٢٩٠، ود.الخترش، المصدر السابق ص٢٦٦-٢٧٨، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص١١١٥،١١١٦، وعبد المنعم الغلامى، الملك الراشد، ص٨٧،٨٨، وجون فيلبى، تاريخ نجد، ص٤٠٥، وفؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية ص١٣٧، وقد أهمل فؤاد حمزة ذكر وفد الوساطة العربية، فيما عدا الوفد السورى، والحبشى.

[2] كان من بينهم محمد على علوبة باشا، وشكرى القويتلى، د.سالم، المصدر السابق، ص٤٠٤.

والتفاهم، مع أنه كان يرجع في كل كبيرة وصغيرة إلى الإمام قبل إقرار أية نقطة. وقابل الملك عبد العزيز هذا الموقف برحابة صدر، وأصدر أمره إلى وفد المملكة بالتساهل وعدم التشدد. ولا أدل على ذلك من أن الملك تراجع عن تنفيذ كامل شروطه التي قبلها الإمام، وتوقفت الحرب على إثرها، والتي منها إخلاء نجران بكاملها، وبعد أن تم إخلاؤها، حكم بأن يكون الوضع فيها على ماكانت عليه قبل أن تدخلها القوات المتوكلية، وأن يكون الفاصل الحدودي بين الدولتين هو حدود وائلة، حسبما ورد ذلك في المعاهدة، وكذا حكم بأن يكون الفاصل في جميع الحدود يبدأ من النقطة الفاصلة بين الموسم وميدي، وليس غيرها جنوباً، كما كان عليه الوضع قبل تأزمه، وأن يراعى وضعية القبائل على الحدود، بحيث لاتوزع أو تقسم في مواطن إقامتها، وإنما تعدل الحدود لتلافي تقسيمها أو تشتيتها. كما عزف عن المطالبة بتعويض مادي لنفقات الحرب، عندما أحس بأن الإمام يعاني عسراً مادياً[1] وقبل الملك أن تكون مدة المعاهدة عشرين عاماً، مثلما اقترحها الإمام من قبل، وكان بمقدوره أن يجعلها غير محددة المدة، لكن نظرته ذاك الوقت أن إحلال السلام وترسيخ أواصر الأخوة الإسلامية بين الدولتين، سيحل الكثير من المشاكل وسوء التفاهم وأن المعاهدة ستكون تحصيل حاصل للواقع الفعلي، والصداقة بين البلدين

---

[1] الزركلي، المصدر السابق، ص٦١٢، وقلبي، المصدر السابق، ص٥٠٤، ويلاحظ أن الزركلي يحاول الاقلال من دور وفد الوساطة العربية، لكنه مهما كان دوره، فيكفي أنه كان تعبيراً عن شعور الشعوب العربية، وجزعها من هذه الحرب، واستنكارها أن تقع بين دولتين مسلمتين.

ستجعل كلاً منهما حريصاً على كيان الآخر من كل المخاطر، وبصفة عامة أظهر قدراً بالغاً من السماحة، فتنازل عن مكاسبه في الحرب، وجعل نتيجتها لامهزوم فيها ولامنتصر، ولاغالب ولامغلوب، وإنما عِدْلان متساويان في كفتي ميزان!.

حملت المعاهدة اسم "معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية" واختصاراً "معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م وذلك إشارة إلى دخول الدولتين في عهد جديد من الأخوة الإسلامية والعربية. تكونت المعاهدة من مقدمة ثم ثلاث وعشرين مادة[1] وعهد تحكيم[2] وست رسائل متبادلة بين رئيسي الوفدين جميعها بتاريخ ٦صفر ١٣٥٣هـ.

– المادة الأولى: تضمنت التأكيد على إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع على المعاهدة، وإحلال حالة السلم، وإنهاء المنازعات بروح الودّ والوفاق، وأن يلتزم العاهلان بالسير على هذه الخطة، وكذا مَنْ يرثهما، أو يخلفهما.

– المادة الثانية: تضمنت اعتراف كل منهما باستقلال الآخر، استقلالاً تاماً مطلقاً، ويتنازل كل منهما عن أيّ حق يدعيه في بلاد الآخر، فيتنازل الإمام يحيى عن أيّ حق يدعيه باسم الوحدة اليمنية أو غيرها، في البلاد التي بموجب هذه المعاهدة أصبحت تابعة للسعودية،

---

(١) انظر الملحق رقم (٤).

(٢) انظر الملحق رقم (٥).

سـواء منهـا ماكـان بيـد الأدارسـة، أو آل عـايض، أو نجـران وبــلاد يـام، كمـا أن الملـك عبـد العزيـز يتنـازل عـــن أيّ حــق يدعيــه مـــن حمايــة أو احتــلال أو غيرهـا، فـى بـلاد الأدارسـة التـى أصبحـت بمقتضـى هــذه المعـاهدة جـزءاً مـــن أرض اليمـــن، وبذلــك اعــترف كـــل مـــن الطرفــين بممارســة الطــرف الآخــر للسـيادة الفعليـة علـى مـــاتحت يـــده مـــن أراضـــى، وهـــذا الاعـــتراف بالســـيادة أقوى مـــن أى حجـــج تاريخيـة.

ولاريـب أن هـذه المـادة وضعـت حـداً للدعـاوى التـى كـانت تثـار أثنـاء المفاوضـات، علـى مـدى ســبع سـنين، كمـا أوقفــت كــل الحجـــج التاريخيــة والجغرافيـة والسياسـية وغيرهـا، مهمـا كـانت قوتهـا ومصداقيتهـا، ومـــا يـــترتب عليها مـــن آثـار، حيـث أصبحـت تلـك الدعـاوى لاقيمـة لهـا، ولاجـدوى منهـا، سـواء فـى الحـال أو المسـتقبل، بالقيـاس إلى مـاتم عليـه الاتفـاق بنـص هـذه المـادة حتى أنه يمكـن أن يقـال فـى شـأن هـذه المـادة، مـاقيل فـى المثـل: قطعـت جهـيزة قـول كـل خطيـب[1] مـن حيـث البـتّ فـى موقـــف تبـــارى فيـــه الخطبـــاء، كـــل يظهر فيـه حجتـه ودعـواه.

---

[1] وأصل هذا المثل أن قوماً اجتمعوا للصلح بين حيين من أحياء العـرب، قتل أحدهمـا مـن الآخـر قتيـلاً، وأخـذوا يتكلمون ويخطب بعضهم فى استرضاء أهل القتيل لأخذ الدية، وبينما هم كذلك إذ دخلت عليهم امرأة تســمى "جهيزة" فقالت: إن القاتل ظفر به بعض أولياء المقتول فقتلوه، وعند ذلك قالوا هذا المثل.

- المـادة الثالثـة: حـددت إطـار التعـامل بـين الطرفـين، بمـا يحفـظ مصلحتهمـا، ومصلحة بلديهمـا، بـلا ضـرر ولاضـرار علـى أيهمـا، بمعنـى أن يسود العدل فـى التعـامل بينهمـا.

- المـادة الرابعـة: خاصـة بتحديـد وتعيـين الحـد الفـاصل للحـدود بـين الدولتـين، وهـذا الحـد الفـاصل يبـدأ مـن النقطـة الفاصلـة بـين "ميـدى" و"الموسّم" علـى سـاحل البحـر الأحمـر، ثـم يتجـه إلى الشـرق بجبـال تهامـة .. إلى آخـر مـاتم إيـراده مفصـلاً، وبشـكل دقيـق لكيفيـة مسـار الخـط الفـاصل، حيـث روعـى فـى مسـاره الانتمـاءات القبليـة، وتفروعـات القبيلـة، وتحاشـى تقسيم بطونهـا بـين الدولتـين، إلا إذا ارتضـت القبيلـة ذلـك، وبـالنظر لكـون القبـائل متداخلـة فـى مواطـن إقامتهـا علـى الحـدود، فقـد كـانت مهمـة لجـان ترسيم الحـدود علـى الطبيعـة صعبـة للغايـة، مـن حيـث تحديـد الفواصـل بـين مواطـن القبـائل ووضـع العلامـات الحدوديـة.

وهـذه المـادة تعتـبر العصـب الرئيسـى للمعـاهدة، وإيرادهـا بهـذا التفصيـل الدقيـق، يـدل علـى مـدى خـبرة المشـاركين فـى وضـع صيغـة المعـاهدة، ودرايتهـم الكاملـة بـالوضع الحـدودى أنـذاك، ووضعيـة القبـائل بـالجهتين، ومسـمياتها ومواطـن إقامتهـا وانتماءاتهـا وتفرعاتهـا وغـير ذلـك، ممـا روعـى فيـه مصلحـة القبـائل بالدرجـة الأولى، وبالتـالى الاسـتقرار الحـدودى بـين الدولتـين، وتحاشـى أيـة منازعـات مستقبلية.

– المادة الخامسة: اختصت بتحديد منطقة حظر حدودية، بمسافة خمسة كيلومترات، على جانبي الخط الحدودي، يحظر فيها إقامة تحصينات، أو قلاع أو مايشبه ذلك من التدابير العسكرية.

– المادة السادسة: اختصت بسحب الجنود من البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة، تابعة للطرف الآخر، فلا مكاسب للمنتصر، ولارادع للمتسبب، طالما حلت الأخوة والصداقة بينهما محل التنازع.

– المادة السابعة: اختصت بتعهد الطرفين لمنع أي عدوان، أو ضرر يقع من أهل دولته على أهل دولة الآخر، وليس هذا مختصاً بالمنطقة الحدودية فقط، وإنما منع العدوان والضرر في أي موقع أو مكان آخر.

– المادة الثامنة: تعهد فيها الطرفان على عدم استخدام القوة لحل المشكلات التي تحدث بينهما، وأن يتم التوفيق لحل تلك المشاكل، فإن تعذر فيلجأ إلى التحكيم، وأرفق بالمعاهدة ملحق تضمن أسلوب وشروط التحكيم، له نفس قوة المعاهدة.

– المادة التاسعة: تعهد فيها الطرفان، بمنع استخدام أيٍّ منهما أرضه وبلاده قاعدة لأي عمل عدواني، أو لمجرد الشروع فيه ضد الآخر، وتسليم الأفراد الهاربين، الذين أقدموا على ارتكاب مايعاقب عليه.

ثم استطردت المعاهدة في إيراد البنود التي تؤكد على أهمية الترابط والتفاهم بين البلدين، وتنظيم العلاقات بينهما سواء في المجال السياسي، أو الاقتصادي أو غيره، في صورة أخوية يراعى فيها مصلحة الطرفين،

والتعاون فى رد العدوان الخارجى على أيّ منهما، وغير ذلك من دعم لروابط الأخوة والصداقة، حتى وصفها الكاتب الايطالى "سلفاتورأبو نتى" بقوله: .. وعلى حين بغتة هب الصلح، وهو فى الحقيقة صلح كان أغرب من الحرب.. وكانت معاهدة الصلح ماهى إلا أنشودة من أناشيد الوحدة العربية، وسرعان ماأدهشت هذه المعاهدة العالم بأسره للكرم والتسامح اللذين أظهرهما ابن سعود، واللذين زادا فى رفعة مقامه، وعلوّ مركزه فى نظر العالم، وبتوقيع المعاهدة انتهت حالة الحرب، وتوطّد بين البلدين والشعبين صلح دائم، وصداقة أكيدة، وأخوة إسلامية عربية [1]

ويلاحظ أن المعاهدة شاملة لأمور ومواضيع متنوعة، منها:

١- أمور عسكرية، وأمنية، تتمثل فى: إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم، وسحب القوات العسكرية التابعة لأيّ من الطرفين، من الأراضى التى حددتها المعاهدة للطرف الآخر، وجعل هناك منطقة محظورة (محرمة) على جانبى خط الحدود الفاصل بين الدولتين، بمسافة خمسة كيلومترات.

٢- أمور لها صفة الدوام والاستمرارية، وتشمل:

أ- تعيين الحدود، وتثبيتها، وترسيمها، على الوجه الذى يكفل الاستقرار، وتحاشى النزاع مستقبلاً.

---

[1] فى كتابه السابق الإشارة إليه، ص٩٦-٩٨ د.سالم، المصدر السابق، ص٤٠٧، ود.الخترش، المصدر السابق، ص٢٦٠.

ب- إيقاف دعاوى أيّ طرف ـ تاريخى أو غيره ـ فيما أصبح بموجب المعاهدة تحت نفوذ وسيادة الطرف الآخر.

جـ- اعتراف كل من الطرفين باستقلال دولة الآخر، استقلالاً تاماً، وسيادتها على أرضها التى حددتها الحدود بموجب المعاهدة.

٣- أمور خاضعة لمدى نمو وتطور العلاقات بين الدول، مثل:

أ- ارتقاء وتطور التمثيل السياسى، والدبلوماسى بين الدولتين. سواء فيما بينهما أو بين طرف ثالث، أو اتفاقهما على اتخاذ موقف موحد فى المحافل الدولية.

ب- أسلوب تبادل الهاربين من إحدى الدولتين، ممن استحق العقاب شرعاً.

جـ- أسلوب نمو التبادل التجارى والاقتصادى، ومن ثم المزيد من البحث فى مجالات أخرى للترابط والتعاون، مثل النواحى التعليمية، والثقافية، والإعلامية، والعمرانية، والعسكرية وغيرها. مما تقتضيه الظروف المستقبلية.

ولاريب أن كل واحد من هذه المواضيع كان بحاجة إلى معاهدة منفردة به، وقائمة بذاته، أما وقد جمعت كلها فى معاهدة واحدة فأمر يستدعى النظر، خاصة مع ماورد فى المادة (٢٢) التى نصت على سريان مفعول المعاهدة لمدة عشرين عاماً هجرياً، مع جواز تجديدها، أو تعديلها،

خلال الستة أشهر التى تسبق تاريخ انتهاء مفعولها. فإن لم تجدد أو تعدل تظل سارية المفعول[1].

ومن المعتقد أن نص هذه المادة لايسرى على الفقرتين الأوليين، وهما: الأمور العسكرية والأمنية والأمور التى لها صفة الدوام، وإلا فما معنى إدخال تعديل على إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم، أو إدخال تعديل على الحدود، بعد أن تم تثبيتها، وترسيمها، ووضع علامات على الخط الحدودى، وتم ممارسة السيادة الفعلية على الأراضى، وقد كانت قبل خاضعة لنفس السيادة؟! وهل سيسحب كل طرف اعترافه، وتنازله عما تحت يد الآخر، وتعود الدعاوى مرة أخرى؟! وهل ستعود القوات العسكرية إلى مواقعها التى كانت عليها قبل إبرام المعاهدة؟! أو هل ستسحب كل منهما اعترافها باستقلال الدولة الأخرى؟!وإلى غير ذلك من استفهامات، وطروحات غير مقبولة عقلاً ومنطقاً، وقانوناً، فضلاً عن أن يقرها المجتمع الدولى الذى نعايشه.

فالقانون الدولى الذى تخضع له جميع الدول المستقلة فى العالم، نص فى اتفاقية قانون المعاهدات الدولية (مادة ٦٢) على أنه لايجوز إلغاء المعاهدات المنشئة للحدود بين دولتين، بحجة الاستناد لتغير الظروف[2] ولهذا فإن المعاهدات الدولية الخاصة بالحدود بين الدول غير محدده المدة

---

[1] انظر نص المادة (٢٢) فى الملحق رقم ٤.

[2] د.عبد العزيز محمد سرحان، العودة لممارسة القانون الدولى الأوربى، ص١١٨،١١٩.

نظـرا لدوامهـا واسـتمراريتها. وإذا كـانت الحـرب قـد اندلعـت نتيجـة لهـذه الحـدود، ثـم أبرمـت معـاهدة الطـائف لتعيينهـا وترسـيمها، ووضـع علامـات فاصلـة، بـل جُعـل هنـاك منطقـة محظـورة على طـول الحـدود، فـلا معنـى مطلقـاً لادخـال تعديـل عليهـا، فضـلاً عـن إلغائهـا بعـدم تجديدهـا. وهـو مضمـون مـايؤكده القـانون الـدولى، وماتسـعى كافـة المنظمـات الدوليـة علـى تـأكيده وعلـى رأسـها هيئـة الأمـم المتحـدة، حتـى لاتحـدث نزاعـات بـين الـدول المتجـاورة، ولـذا فـإن المـادة المذكـورة لم تشـر إلى عمليـة الإلغـاء لأنهـا ليسـت فى الحسبان عنـد أي مـن الطرفـين إبـان إبـرام المعـاهدة.

مـن كـل هـذا يتضـح أن المقصـود بهـذه المـادة (٢٢) هـى الأمـور القابلـة لنمـو وتطـور العلاقـات بـين الدولتـين، والتـى يدخلهـا فعـلاً التعديـل والتطويـر، وإنشاء مجـالات جديـدة لنمـو العلاقـات بـين البلديـن، بموافقـة الطرفـين.

وربما يقال: فلـمَ ذكـرت هـذه المـادة فـى المعـاهدة، ونُـص فيهـا علـى هـذا التحديـد؟ يجـاب: بـأن تحديـد هـذه المـدة كـان بداية اقتراحـاً مـن الإمـام، أثنـاء تبـادل البرقيـات، وعنـد إبـرام المعـاهدة كـانت مجاملـة مـن الملـك للإمـام أن يلبـى رغباتـه، حتـى لايشـعره بأنـه فـى موقـف المنهـزم الـذى تُملـى عليـه الشـروط، ويقبلهـا رغمـاً عنـه، وكـان بمقـدور الملـك ألا يذكرهـا كمـا سـبق أن قلنـا، وذكـرت مجاملـة للإمـام، ولكـى تتنـاول الأمـور المسـتجدة والمتطـورة نتيجـة لنمو العلاقـات بـين الدولتـين.

تمت صياغة نصوص المعاهدة، وعهد التحكيم في زمن قياسي[1] وأجرى التوقيع عليها من قبل رئيسي وفدى البلدين يوم ٦صفر ١٣٥٣هـ (٢٠مايو ١٩٣٤م) وكذا عهد التحكيم، ثم تبادل رئيسا الوفدين: الأمير (الملك) خالد بن عبد العزيز، والسيد/ عبد الله الوزير، ست رسائل، حملت تاريخ اليوم نفسه، تتعلق باجراءات تنفيذ المعاهدة، من حيث تسليم الأدارسة، وإخلاء جبال تهامة وتسليم رهائنها، وأن تظل بنود المعاهدة في طيّ الكتمان، وبخاصة مايتعلق منها بتحديد الحدود حتى يتم انسحاب القوات السعودية، بكامل معداتها، من المناطق التي استولت عليها بأرض اليمن، مع توفير الأمن والسلامة لها حتى إكمال انسحابها. وغير ذلك من إجراءات ضرورية تسبق نفاذ مقتضى المعاهدة.

وصدق عليها الملك عبد العزيز بالتوقيع بتاريخ ٢٩صفر ١٣٥٣هـ (١٢يونية ١٩٣٤م)[2] ثم حملها الوفد اليمني وبرفقته وفد الوساطة العربية، إلى صنعاء للتصديق عليها بالتوقيع من الإمام يحيى، فوقعها بتاريخ ٧ربيع الأول ١٣٥٣هـ (١٩يونية ١٩٣٤م) وسجل الإمام عند التوقيع عليها عبارة جديرة بالتسجيل، جاء فيها: بعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة

---

[1] حيث بدأت لجنتى المفاوضات جلستها لصياغة تلك المعاهدة يوم ١صفر ١٣٥٣هـ (١٥مايو ١٩٣٤م) وانتهت يوم ٦صفر (٢٠مايو) بما تخللها من مراجعة كل وفد لمرجعه لاقرار المواد، والصيغة النهائية التي يتم اعتمادها.

[2] ذكر الدكتور فاروق أباظه فى كتابه دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية ص٥٨ أن الملك عبدالعزيز وقع على المعاهدة يوم ١٨يونيه/ ٦ربيع الأول، وأن الإمام وقعها فى اليوم الثانى ١٩يونيه/ ٧ربيع الأول. ومعنى هذا أن كلاً منهما وقع نسخة منها، ثم تبادلا النسخ الموقعة.

السالفة الذكر، وعلى عهد التحكيم، والكتب التى ألحقت بها، وأمعنّا النظر فيها، صدقناها، وقبلناها، وأقررناها جملة فى مجموعها، ومفردة فى كل مادة، وفقرة منها، كما أننا نصدقها، ونبرمها، ونتعهد، ونعِد وعداً ملوكياً صادقاً، بأننا سنقوم ــ بحول الله ــ بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص، وبأننا لن نسمح ــ بمشيئة الله ــ بالإخلال بها بأى وجه كان، طالما نحن قادرون على ذلك. وزيادة فى تثبيت صحة كل ماذكر فيها، أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة، ووقعناها بيدنا، والله خير الشاهدين.

حرر فى اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أخينا جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

وهذه العبارة تدل على مدى تأثر الإمام بموقف التسامح الذى أظهره الملك عبد العزيز، وهو فى موقف قوة!!.

وكانت الإجراءات التنفيذية لمقتضى المعاهدة قد بدأت فور توقيع رئيسى وفدى البلدين، من حيث الإسراع بتشكيل لجان الاستلام والتسليم من الطرفين فى كل منطقة من المناطق الحدودية. بنجران، وجبال فيفا، وبنى مالك، والعبادل، وتم تسليم الحسن الادريسى، وابن أخيه عبد العزيز ابن محمد الإدريسى، وثلاثمائة من أتباعهما فى ١٦صفر ١٣٥٣هـ (٣٠مايو ١٩٣٤م) إلى مندوب الأمير فيصل بن عبد العزيز، فسار بهم من زبيد موضع التسلُّم، إلى الحديدة مقر الأمير فيصل، فأمره بالتوجه برفقتهم

إلى جازان ثم مكة المكرمة، وبعد فترة لحق بهم عبد الوهاب الإدريسى، وفى ١٤ربيع الأول ١٣٥٣هـ (٢٦يونية ١٩٣٤م) أذاعت وزارة الخارجية السعودية بياناً أعلنت فيه أنه تم إخلاء منطقة الجبال (فيفا وبنى مالك والعبادل) وإطلاق رهائنهم، وبذلك تم تنفيذ الشروط المطلوبة[1] وعلى إثر ذلك أصدر الملك عبد العزيز أوامره باطلاق سراح الأسرى اليمنيين فى جازان، ونجران، وكان من بينهم القاضى عبد الله العرشى، وبدأت القوات السعودية عملية الانسحاب من الأراضى اليمنية، تحت إشراف لجان من الطرفين، قامت بعمل محاضر استلام وتسلم، ووصل الأمير فيصل إلى مدينة ميدى عائداً فى ١٥ربيع الأول ١٣٥٣هـ (٢٧يونية ١٩٣٤م) فى طريقه إلى جازان، انتظاراً لانسحاب باقى قواته، ثم أعلنت الحكومة السعودية فى ٤جمادى الأولى/١٤أغسطس انسحاب جميع القوات السعودية عن الأقاليم، والأراضى التى خصصتها المعاهدة لليمن الشقيق[2].

وعلى إثر ذلك قامت اللجان المختصة من الطرفين بمهمة ترسيم الحدود على الطبيعة، وفق ماجاء فى المعاهدة، وسعت فى عملها هذا سعياً حثيثاً، مراعية الدقة فى عملها، والتحلى بروح الإخاء والود عند التنفيذ، وقدرت عدد الأعلام والأعمدة التى يمكن تثبيتها على الخط الحدودى، بصفة مبدئية بحوالى ٢٤٠عموداً، على طول الخط الذى يبلغ مداه من

---

[1] د.الختزشى، المصدر السابق، ص٢٥٤، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٨٨.

[2] د.الختزش، المصدر السابق، ص٢٥٥، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص١١٤٠، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٨٩.

شاطئ البحر الأحمر ـ فيما بين الموسم وميدى ـ حتى الربع الخالى حوالى ٤٠٠ ميل[١] وشكلت هيئتان مشتركتان من الدولتين، لترسيم الحدود، إحداهما لمنطقة تهامة، والأخرى لمنطقة الجبال وماإليها، وباشرت كل منهما عملها بالمنطقة المحددة لها، وواصلت كل منهما عملها بصبر وجلد، ثم قدمت اللجنة المشتركة لمنطقة تهامة ثلاثة تقارير موقعة من مندوبى الطرفين، الأول بتاريخ رمضان ١٣٥٤هـ (ديسمبر ١٩٣٥م) والثانى بتاريخ ٢٧شوال ١٣٥٤هـ (٢١يناير ١٩٣٦م) والثالث بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٣٥٤هـ (١٣فبراير ١٩٣٦م) وكل من التقارير الثلاث يتضمن مسحاً لجزء معين من المنطقة الحدودية لعمل هذه اللجنة. كما قدمت لجنة الجبال تقريراً واحداً عن عملها بتاريخ ٢١شوال ١٣٥٤هـ (١٥يناير ١٩٣٦م) يتضمن مسحاً شاملاً للمنطقة الحدودية المكلفة بها، وأوضحت كلا اللجنتين أماكن وضع العلامات والأعمدة، على الحدود، وأوضحت للقبائل على جانبى الحدود، مدى تحركاتهم، ومرعاهم. وغير ذلك تحاشياً لأية منازعات، بين القبائل بعضها وبعض، كما أعطت وثائق للقبائل بهذا التحديد حتى تكون على بينة من الوضع الحدودى، وأعلمتهم بمن يقابلهم على الجانب الآخر من القبائل، لمنع التداخل.

وألحقت محاضر وتقارير هذه اللجان بمعاهدة الطائف فى حينه، لأنها تعتبر مكملة لها، أو بروتوكولات لها.

---

[١] د.سالم، المصدر السابق، ص٤٠٩.

وبذلك استقرت الأوضاع الحدودية بين الدولتين، وانتهت فترة توتر العلاقات بينهما، لتحل محلها فترة جديدة مبنية على أسس من الأخوة، والصداقة، الإسلامية العربية، في العديد من الأنشطة التنموية، والاقتصادية، والتعليمية وغيرها، وتوطدت العلاقات بينهما في كثير من المجالات على المستويين العربي، والدولي .. ورُبّ ضارة نافعة .. فقد كان من نتيجة الحرب السلم الدائم، والتعاون الأخوي. فكل منهما أصبح في نظر الآخر: الدولة الأوْلى بالرعاية. في المفهوم السياسي[1].

وفي عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) كلف الملك عبدالعزيز تركي الماضي القيام بمهمة إلى الإمام يحيى، وأثناء المقابلة قال الإمام: إن الولد الحسين(يقصد ابنه) بعد رجوعه من الحج موسم عام ١٣٦١هـ، ذكر له ماشاهده من جلالة الملك عبد العزيز من الإكرام والاحترام، وقال لي : إن جلالة الملك وحيد دهره، وأفعاله ومساعيه كلها حميدة، ثم أردف الإمام قائلاً : كنت وقت الحرب أقول : إن جلالة الملك سيتفق (أي يريد الاتفاقية ولا يريد احتلال أو ضم أراضي) وأنه لا يحصل من جلالته إلا كل خير، فصدّق الله ظني، وحقق الأمل، وكان الاتفاق، وحسن التفاهم والحمد لله[2].

---

[1] انظر فيما سبق، العقيلي، أضواء على تاريخ الجزيرة العربية، ص٤٤٨-٤٧٣.

[2] المذكرات ص٢٦٦.

وكان الإمام بعد ذلك متفاهماً ومتعاوناً لمصلحة بلده، ومصلحة البلدين بصفة عامة حتى وفاته يرحمه الله. استجابة لما كان يبديه الملك عبد العزيز من حسن معاملة، وأخوة صادقة. بعد تجاوز تلك المرحلة الصعبة.

ولعلنا نذكر الوفد السعودى، فى آخر جولة للمفاوضات بصنعاء (١٦ صفر-١٠ربيع الثانى ١٣٥٢هـ) وقد عانى ماعاناه فى هذه الجولة، عندما عاد إلى الرياض، رفع تقريراً إلى الملك عبد العزيز عن مهمته، جاء فيه: .. إننا ينبغى أن نختط منهاجاً ثابتاً نسير عليه .. إلى أن تتبدل ذهنية القابضين على زمام الأمر فى اليمن[١].

ومرت الأيام وجاء من قبض على زمام الأمر فى اليمن، وكانوا على مستوى المسئولية لبلدهم، وشعبهم وأمتهم الاسلامية العربية، فتلاقوا مع أشقائهم بالمملكة العربية السعودية، روّاد الحكمة والبصيرة، وكانت مذكرة التفاهم، التى وقعت بمكة المكرمة فى ١٤١٥/٩/٢٧هـ، وتم الاتفاق بروح الوفاق على أن تكون معاهدة الطائف أبدية، وليست محددة المدة. وأن يتم الانتهاء من كافة الأمور المعلقة بين البلدين، بروح من الود والإخاء.

---

[١] مذكرات تركى الماضى، ص١٥٨.

ويقود البلدين فى عهدنا الحاضر أبناء نجباء أوفياء لمنهج عبد العزيز، فى صدق التعامل، والتحلى بالعديد من الفضائل، ومكارم الأخلاق.

وأخيراً آمل أن تكون هذه الدراسة قد أضافت جديداً إلى جهد السابقين، بمزيد من كتلة الإشعاع المنبعثة على إطلالة تاريخ المنطقة المعنية بالدراسة، فالله هو الموفق والمعين، وله الحمد أولاً وأخيراً.

الملاحق

ملحق (١)

معاهدة سنة ١٣٣٨هـ

بين الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

والإمام محمد على الادريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

يعلم به الناظر والواقف عليه بأن الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حفظه الله لما أمرنا بالقدوم على الامام محمد بن علي بن إدريس لعقد الأخوة الاسلامية الخاصة وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ودعوة الناس إلى ذلك فى التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وان تكون اليد واحدة على أعداء الدين، فلما قدمنا على الامام المذكور سره ذلك وأحبه حرصاً على الخير والتعاون عليه فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الأخوة بين الامامين المذكورين على مثل ماذكر أعلاه فحيث كان فى المملكة الامام محمد بن على من القبائل والبلدان فى اليمن ماهو فى ملك آل سعود سابقا تركه الإمام عبد العزيز له لأجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته فعلى هذا لابد من تعريف القبائل وتحديدها ليقوم كل منهما بما اوجب الله عليه فيمن تحت يده من الرعية فصار الذي للإمام عبد العزيز من القبائل جميع يام ووادعة

ومـن تبعهـم مـن بنـى جماعـــة وســحار وشــريّف وقحطــان ورفيــدة وعبيــدة، منهـم بـني بشـر وبنـى طلـق وشـهران وبنـى شـهر وغـامد وعسـير غـامد وجميـع قضـاء محـايل منهـم بنـى ثوعـة وأهـل بـارق وترقـش واهـل الريـش وغـيرهم ممـن تبعهـم وجميـع قبـائل حلـيّ المذكـورون فـى ولايـة الامـام عبـد العزيـز، وصـار للامام محمد بن علي الادريسي تهامـة سـوى مـاذكر وغـير ذلـك ممـا هـو تحـت يـده ولـه رجـال المـع مـن عسـير خاصـة، ولايعـارض كـل منهمـا مـن تحـت يـد الآخـر ومـاذكر لعبـد العزيـز بـن عبـد الرحمـن مـــن القبــائل في السـراة وتهامـة ويـام وغـيرهم فـالمراد بـه قـــرى وبــوادي في جبـــل وســهل وعليهمــا في ذلــك التنـاصح والتعـاون وبـذل الجهـد فيمـا أوجـــب الله عليهمـــا ممـــا يــلزم في ديــن الإسـلام فيمـن تحـت أيديهمـا، هـذا ماصـار وحـرر وقـــرر منــا يــانواب الإمــام حيـث كنـا قـائمين مقامـه ومـن الإمـام محمـد بـن علـــي بـــن إدريــس بحضـــوره وإمضائـه صـدر العهـد والميثـاق منـا ومنـه ومـن نكـث فإنمـا ينكـث علـى نفسـه، والله ولي التوفيـــق، وصلـــى الله علـــى محمـــد وعلـــى آلـــه وصحبـــه وســـلم، ١٦ذي الحجـة ١٣٣٨هــ

نـائب الإمـام

عبد الله بن محمد الراشد

ناصر بن حمد الجار الله

فيصل بن عبـد العزيـز المبـارك

الختـــــم

محمـد بـن علـــي بـــن إدريـــس

ملحوظـة: لقـد تم التصديـق علـى هـذه الاتفاقيـة بتـاريخ ١٠صفـر ١٣٣٩هــ، ولـذا عرفـت فيمـا بعـد باتفاقيـة "١٠صفـر ١٣٣٩هــ".

ملحق (٢)
اتفاقية مكة المكرمة بين الملك عبد العزيز والإدريسي

الحمد لله وحده:

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى.

رغبة فى توحيد الكلمة، وحفظاً لكيان البلاد العربية، وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، وصاحب السيادة إمام عسير، السيد الحسن بن على الإدريسى، على عقد الاتفاقية الآتية:

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى بأن الحدود القديمة الموضحة فى اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن على الإدريسى، والتى كانت خاضعة للأدارسة فى ذلك التاريخ، تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية: لايجوز لإمام عسير أن يدخل فى مفاوضات سياسية مع أيّ حكومة، وكذلك لايجوز أن يمنح أيّ امتياز اقتصادى إلا بعد

الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة: لايجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة: لايجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى.

المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالى على الأراضى المبينة فى المادة الأولى مدة حياته، ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة، وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية، والنظر فى شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير، على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هى فى الحكومتين.

المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعى المصلحة.

المادة الثامنة: يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة: دُوّنت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين، تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة.

وقعت هذه المعاهدة فى تاريخ ١٤ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦م.

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها	**إمام عسير**
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود	**الحسن بن على الإدريسى**
(الختم الملوكى)	**(الختم الرسمى)**

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف

خادم الاسلام

أحمد الشريف السنوسى

(الختم)

ملحق (٣)

معاهدة صداقة وحسن جوار

بين المملكة العربية السعودية،والمملكة المتوكلية اليمنية

حسب الأمر من سيادة الإمام الأعظم يحي بن محمد حميد الدين، وجلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه:

المادة الأولى: أن يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار، وتوثيق عرى المحبة، وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر.

المادة الثانية: يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين، المحدثين بعد هذه الاتفاقية، كل حكومة عند طلب حكومته له.

المادة الثالثة: يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى فى بلادها فى جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة: يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى فى كل الحقوق الشرعية، فما أشكل و لم ينهه الأمراء ولا العمال فمرجعه إلى الملك والإمام.

المادة الخامسة: على كل من الدولتين عدم قبول من يفر من طاعة دولته كبيراً أو صغيراً، مستخدماً أو غير مستخدم، وإرجاعه إلى دولته حالاً.

المادة السادسة: إذا حدث حادث من إحدى الحكومتين في بلاد الأخرى فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث.

المادة السابعة: منع الأمراء والعمال عن التدخل بالرعايا، مما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة: أن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية، وتطلبه حكومته فإنه يساق إلى حكومته حالاً.

هذا ماحصل به التراضي بين المندوبين على أن يكون العمل بهذه الثمان مواد بعد مصادقة وموافقة الملكين المعظمين عليها، (وتحرر ماذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٠هـ (١٥ديسمبر سنة ١٩٣١م).

التواقيـــع والأختـــــام

الوفد اليمنى	الوفـــد الســـعودى
القاضى عبد الله بن أحمد العرشى	عبـد الله بـــن محمــد بـــن معمـــر
عبد الله بن على مناع	فهــد بـــن زعـــير
أبو طالب بن محمد محجب	عبـد الوهـاب بـن محمـــد أبـــو ملحــة
	حمـــد العبـــدلى
	محمــد بـــن علـــى الحـــازمى

صدق علـى هـذه المعـاهدة وأصبحـت سـارية المفعـول مـن ١٥رمضـان ١٣٥٠هــ (٢٣ينـاير سـنة١٩٣٢م).

ملحق (٤)

معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية

(معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)

بين

المملكة العربية السعودية

وبين

المملكة المتوكلية اليمنية

حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية من جهة.

وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحي بن محمد حميد الدين، ملك اليمن من جهة أخرى.

رغبة منهما فى إنهاء حالة الحرب التى كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما، وبين حكومتيهما وشعبيهما، ورغبة فى جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها، وحفظ كرامتها واستقلالها.

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة.

وحباً فى تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار، وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما.

ورغبة فى أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمّات المفاجئة، وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية، قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما:

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية:

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته، ونائب رئيس مجلس الوكلاء.

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن:

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير.

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفى الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق. وبعد أن أطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التى بيد كل منهما، فوجداها موافقة للأصول، قررا باسم مليكيهما الاتفاق على المواد الآتية:

المادة الأولى: تنتهى حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة، وتنشأ فوراً بين

جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم، وصداقة وطيدة، وأخوة إسلامية عربية دائمة، لايمكن الإخلال بها جميعاً أو بعضها، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الوُدّ والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التى قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربى فى سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما، ورغبتهما الصادقة فى الوفاق والاتفاق سراً وعلناً، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التى فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً، وبملكيته عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحي ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملكية على مملكة اليمن. ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحي بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملكية على المملكة العربية السعودية. ويسقط كل منهما أيّ حق يدعيه فى قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة فى صلب هذه المعاهدة.

إن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما فى البلاد التى هى بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التى كانت بيد الأدارسة وغيرها. كما أن جلالة الإمام الملك يحي يتنازل بهذه المعاهدة عن أيّ حق يدعيه بأسم الوحدة اليمانية أو غيرها، فى البلاد التى هى بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التى كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاديام.

المادة الثالثة: يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التى تكون بها الصلات والمراجعات، بما فيه حفظ مصالح الطرفين، وبما لا ضرر فيه على أيهما، على أن لايكون مايمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث، ولايوجب هذا على أيّ الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة: خط الحدود الذى يفصل بين بلاد كلٍ من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافى فيمايلى، ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التى تخضع لكلٍ منهما:

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدى والموَسَّم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة فى الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهى إلى الحدود الغربية الشمالية التى بين بنى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهى إلى مابين حدود "نقعة" و"وعار" التابعتين لقبيلة وائلة وبين

حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة، ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهى من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدايام من همدان بن زيد وائلى وغيره وبين يام، فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التى على ساحل البحر إلى منتهى الحدود فى جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو فى جهة اليمين المذكورة هو ميدى وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ، وجميع بلاد وجبال بنى جماعة وسحار الشام بياد ومايليها، ومحل مريصعة من سحار الشام، وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة، وكذا الفرع مع عقبة نهوقة، وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد. هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة. وكل ما هو بين الجهات المذكورة ومايليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية، وماهو فى جهة اليسار المذكورة وهو المُوسَّم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابرى وأكثر العبادل وجميع فيفا وبنى مالك وبنى حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة، وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة، وسائر من هو فى نجران من وائلة، وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكل

ماهو بين الجهات المذكورة، وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية. وماذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ماكان من تحكيم جلالة الإمام يحي لجلالة الملك عبد العزيز في يام، والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة، ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر، فذلك لايمنعهم ولايمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به. ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد، وسائر قبائل اليمن، فللمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد اليمانية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات، وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات، وكل ماذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة، وكثيرا مايميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين، أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف، بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة: نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون، وعدم إيجاد أيّ شئ يشوش الأفكار بين المملكتين، فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أى بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر، مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر.

المادة السابعة: يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادى من الطرفين، ويرد كل مايثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمان ماتلف، وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح، وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان، ويظل العمل بهذه المادة ساريا إلى أن يوضع بين الفريقين إتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر.

المادة الثامنة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما، وبأن يعملا جهدهما لحل مايمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشئوه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئا عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية، وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة

يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذى توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله فى ملحق مرفق بهذه المعاهدة. ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة، ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً للكل فيها.

المادة التاسعة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان يمنع بكل مالديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأيّ عمل عدائى أو شروع فيه، أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر. كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطيّ من حكومة الفريق الآخر وهى:

١- إن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير، فبعد التحقيق الشرعى وثبوت ذلك، يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذى يقضى على فعله ويمنع وقوع أمثاله.

٢- وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير، فإنه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها، ويسلم إلى حكومته الطالبة. وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب، وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب، وفى الأحوال التى يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التى فرّ من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى

أراضيها مرة أخرى، وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته.

٣- وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة، فإن الحكومة المطلوب منها والتى يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً، وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى، بطرده من بلاده وعده شخصاً غير مرغوب فيه، ويمنع من العودة اليها فى المستقبل.

المادة العاشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفرّ عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً موظفاً كان أم غير موظف، فرداً كان أم جماعة، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده. فإن تمكن أحدهم أو كلهم من احتياز خط الحدود بالدخول فى أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ، وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها، وفى حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التى لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التى يتبعها.

المادة الحادية عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأيّ وجه كان، مع

رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة، ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق، أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة.

المادة الثانية عشرة: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة، رعية لذلك الفريق.

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أيّ شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية.

المادة الثالثة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل، عن سائر الأجرام والأعمال العدائية، التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأيّ شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر، عن كل جناية ومال أخذوه منذ لجأوا إلى الفريق الآخر، إلى عودهم كائناً ماكان، وبالغاً مابلغ، وبعدم السماح باجراء أيّ نوع من الايذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاه أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه. وإذا حصل ريب عند أيّ الفريقين بوقوع شئ مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر، لأجل إجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له

كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحى، ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين، بالحضور لتحقيق الأمر حتى لايحصل أيّ حيف ولانزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً.

المادة الرابعة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم اليهم، أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أى شئ من الحقوق والأملاك التى تكون لرعايا الفريق الآخر فى بلاده، ولايعرقل استثمارها أو أيّ نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها.

المادة الخامسة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث، سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة، أو الاتفاق معه على أيّ أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر، أو يضر ببلاده، أو يكون من ورائه أحداث المشكلات والصعوبات له، أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للأخطار.

المادة السادسة عشرة: يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية، والعنصرية العربية، أن أمتهما أمة واحدة، وأنهما لايريدان بأحد شراً، وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتهما فى ظل الطمأنينة والسكون، وأن يبذلا وسعهما فى سائر

المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما، غير قاصدين بهذا أيّ عدوان على أية أمة.

المادة السابعة عشرة: فى حالة حصول اعتداء خارجى على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين، يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية:

أولاً - الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً.

ثانياً - المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة.

ثالثاً - الشروع فى المذاكرة مع الفريق الآخر، لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق، ومنع الضرر عنها، والوقوف فى موقف لايمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدى الخارجى.

المادة الثامنة عشرة: فى حالة حصول فتن أو إعتداءات داخلية فى بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين، يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتى:

أولاً - إتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه.

ثانياً - منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا اليها كما هو موضح فى المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه.

ثالثاً ــ منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين، وعدم تشجيعهم أو تموينهم.

رابعاً ــ منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين.

المادة التاسعة عشرة: يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما فى عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية، وتزييد الإتصال بين بلاديهما، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما، وفى إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركى يصون مصالح بلاديهما الإقتصادية، بتوحيد الرسوم الجمركية فى عموم البلادين، أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين، وليس فى هذه المادة مايقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أيّ شئ حتى يتم عقد الإتفاق المشار اليه.

المادة العشرون: يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه فى الخارج، إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر، متى أراد الفريق الآخر ذلك فى أيّ شئ وفى أيّ وقت، ومن المفهوم أنه حينما يوجد فى ذلك العمل شخص من كل الفريقين فى مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التى هى كأمة واحدة. ومن المفهوم أن هذه المادة لاتقيد حرية أحد الجانبين بأيّ صورة كانت، فى أيّ حق له، كما أنه لايمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة.

المادة الحادية والعشرون: يلغى ماتضمنته الإتفاقية الموقع عليها فى ٥شعبان ١٣٥٠ على كل حال اعتباراً من تاريخ إبرام هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون: تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبى الجلالة الملكين فى أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين فى ذلك، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء مانص عليه فى المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع، وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التى تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فان لم تجدد أو تعدل فى ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى مابعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته فى التعديل.

المادة الثالثة والعشرون: تسمى هذه المعاهدة "بمعاهدة الطائف" وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة، بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة، وإشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه.

وكتب فى مدينة جدة فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

التوقيع	**التوقيع**
خالد بن عبد العزيز السعود	**عبد الله بن أحمد الوزير**

ملحق (٥)

عهد التحكيم

بين المملكة العربية السعودية وبين مملكة اليمن

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، والملك يحي ملك اليمن، قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم، المسماة "بمعاهدة الطائف" والموقع عليها فى السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا إلى التحكيم أيّ نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما، متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله، فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصورة المبينة فى المواد الأتية:

المادة الأولى: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل بإحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه.

المادة الثانية: يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من المحكمين، ينتخب كل فريق نصفهم، ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين، وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً، فإن قبل أحد الفريقين بالمرشح الذى يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً، وإن لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون

وازعاً، مع العلم بأن القرعة لاتجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين، فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم، ووازعاً للفصل فى القضية، وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك.

المادة الثالثة: يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر. وتجتمع هيئة المحكمين فى المكان الذى يتم الاتفاق عليه فى مدة لاتزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين فى أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطى حكمها خلال مدة لايمكن بأيّ حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التى عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه، ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية، ويكون الحكم ملزما للفريقين، ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه، ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك.

المادة الرابعة: أجور محكمى كل فريق عليه، وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما، وكذلك الحكم فى نفقات المحاكمة الأخرى.

المادة الخامسة: يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف، الموقع عليها فى هذا اليوم، السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة، وقد

حرر هذا من نسختين باللغة العربية، يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة.

وإقراراً بذلك جرى توقيعه فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

التوقيع	**التوقيع**
خالد بن عبد العزيز السعود	**عبد الله بن أحمد الوزير**

المراجـــــع

أولاً:-

- القرآن الكريم.
- بعض كتب السنة النبوية.

ثانياً:- الكتب المطبوعة.

د.أباظة، فاروق عثمان

- **الحكم العثمانى فى اليمن(١٨٧٢- ١٩١٨م)** بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
- **سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى**، القاهرة، دارالمعارف ١٩٨٧م.
- **دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية، بين الحربين العالميتين**، القاهرة ١٩٨٧م.

ابن إياس، أبوالبركات محمد بن أحمد(ت ٩٣٠هـ)

- **بدائع الزهور فى وقائع الدهور**، تحقيق الدكتورمحمد مصطفى، القاهرة الطبعة الثانية،١٩٦١-١٩٦٣م.

بامخرمة،عبدا لله الطيب بن عبدا لله بن أحمد، الحضرمى (ت٩٢٨هـ)

- **تاريخ ثغر عدن** - القاهرة

ابن بسام، عبدا لله بن عبدالرحمن بن صالح.

- **علماء نجد خلال ستة قرون**. مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

ابن بشر،عثمان بن عبدا لله.
– **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ الرياض، دارة الملك عبدالعزيز،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
البكرى، أبوعبيد، عبدا لله بن عبدالعزيز، الأندلسى (ت٤٨٧هـ)
– **معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
البهكلى، عبدالرحمن بن أحمد
– **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود**، وتكملة الحسن بن أحمد بن عاكش، تحقيق وتعليق محمد بن أحمد العقيلى، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
جارشلى، اسماعيل حقى.
– **أمراء مكة المكرمة في العهد العثمانى**، ترجمة الدكتور خليل مراد، البصرة، ١٩٨٥م.
جاكلين، بيرين.
– **اكتشاف جزيرة العرب.** ترجمة قدرى قلعجى، الرياض الفاخرية، والكاتب العربى.
الجبرتى، عبدالرحمن بن حسن (ت ١٢٤٠هـ)
– **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، القاهرة ١٣٢٢هـ.
الجرافى، عبدا لله بن عبد الكريم.
– **المقتطف من تاريخ اليمن**، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

د.جريس، غيثان بن علي.

– **صفحات من تاريخ عسير**، جدة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

الجريسى، راشد بن على الحنبلى.

– **مثير الوجد فى أنساب ملوك نجد**، تحقيق عبدالواحد محمد راغب، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز،١٣٩٧هـ.

جمعة، محمد كمال.

– **أنتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

د. الجميعى، عبدالمنعم ابراهيم الدسوقى.

– **عسير خلال قرنين (١٢١٥– ١٤٠٨هـ)** الرياض، نادى أبها الأدبى،١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

جون بولدرى.

– **العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركى**، (١٩١٤-١٩١٩م) ترجمة الدكتور سيد مصطفى سالم، القاهرة ١٩٨٢م.

جون.س.ولينكسون.

– **حدود الجزيرة العربية، قصة الدور البريطانى فى رسم الحدود عبر الصحراء**، ترجمة مجدى عبدالكريم، القاهرة، مدبولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

ابن حزم، أبو محمد، على بن أحمد بن سعيد، الأندلسى(ت ٤٥٦هـ)

– **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، دار

المعارف١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
د.حسن، حسن إبراهيم
- **اليمن البلاد السعيدة**، القاهرة سلسلة اخترنا لك، دار المعارف
ابن الحسين، يحيى بن الحسين بن قاسم (١١٠٠هـ)
- **غاية الأمانى فى اخبار القطر اليمانى**. تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
الحصرى، أبو خلدون، ساطع.
- **البلاد العربية والدولة العثمانية**، القاهرة، ١٩٥٧م
د.الحفنى، عبدالمنعم.
- **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الأسلامية**. القاهرة.
الحقيل، حمد بن ابراهيم بن عبدا لله.
- **كنز الأنساب وجمع الأداب**. الرياض، الطبعة العاشرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
حمزة، فؤاد.
- **فى بلاد عسير**، الرياض الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- **البلاد العربية السعودية**، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- **قلب جزيرة العرب، الرياض**، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
د.الخترش، فتوح عبدالمحسن.
- **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية(١٩٢٦-١٩٣٤م)** الكويت، ذات السلاسل، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

د. ابو داهش، عبدا لله بن محمد بن حسين.

- **عسير فى ظلال الدولة السعودية الأولى**، السعودية، نادى أبها الأدبى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

د.الدقاق، محمد السعيد.

- **التنظيم الدولى**، الاسكندرية، ١٩٩٠م.

دلال، عبدالواحد محمد راغب.

- **مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية**. القاهرة، مؤسسة دارالتعاون للطبع والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

د. ربيع، حسنين محمد.

- **البحر الأحمر فى العصر الأيوبى**، ضمن أبحاث الأسبوع العلمى الثالث لسمنار جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، القاهرة ١٩٨٠م

الريحانى، أمين.

- **نجد وملحقاته**. الرياض، الفاخرية، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م

- **ملوك العرب**، بيروت، الطبعة الثامنة.

ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، الحسنى، الصنعانى.

- **أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى**، القسم الخامس، القاهرة المطبعة السلفية.

الزركلى، خير الدين.

- **شبه الجزيرة فى عهد الملك عبدالعزيز**، أربعة أجزاء، فى ثلاثة مجلدات. أخذت صفحاتها رقماً مسلسلاً واحداً، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

د.آل زلفة، محمد بن عبدا لله.
- **دراسات من تاريخ عسير الحديث**، الرياض، ١٤١٢/ ١٩٩١م.
د. الزيلعى، أحمد بن عمر.
- **الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان فى العصور الإسلامية الوسيطة**. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
د.سا لم، السيد مصطفى.
- **الفتح العثمانى الأول لليمن (١٥٣٨- ١٦٣٥م)** الطبعة الثانية، القاهرة،١٩٧٤م.
- **تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى (١٩٠٤- ١٩٤٨م** القاهرة ١٩٦٣م
سعيد، أمين.
- **تاريخ الدولة السعودية، الرياض**، دارة الملك عبدالعزيز. جزءان فى مجلد.
سلفاتور أبونتى.
- **مملكة الإمام يحيى، أورحلة فى بلاد العربية السعيدة**، ترجمة طه فوزى، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م وهى عبارة عن فصول اختارها المترجم من كتاب سلفاتور، بعنوان " خفايا الحياة فى العربية السعيدة" ووضع المترجم لها هذا العنوان.
سنت جون فيلبى.
- **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**. القاهرة، مدبولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

د.السيد، عصام ضياء الدين.

– **عسير فى العلاقات السعودية اليمنية(١٣٣٨هـ – ١٣٧٣هـ)**

القاهرة دار الزهراء للنشر. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

د.شرف الدين، أحمد حسين.

– **اليمن عبرالتاريخ**، الطبعة الرابعة، الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الشوكانى، محمد بن على.

– **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف.

– **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.

– آل سعود (عن تفرعات نسب آل سعود) الرياض.

صبرى، أيوب باشا.

– **مرآة جزيرة العرب**، جزءان، ترجمة كل من الدكتور فؤاد متولى، والدكتور الصفصافى أحمد المرسى، الرياض، دار الرياض للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

د. الصواف، فائق بكر، وآخرون.

– **أهمية ثغر جدة**، ضمن أبحاث الأسبوع الثالث لسمنار جامعة عين شمس عام ١٩٧٩م عن البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية، القاهرة١٩٨٠م.

د.عبدربه، سعد زغلول.

– **البرتغاليون والبحر الأحمر**، ضمن أبحاث الأسبوع الثالث لسمنار

جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، السابق..
د. عبدالرحيم، عبدالرحمن عبدالرحيم.
– **الدولة السعودية الأولى**، الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م
– **محمد على وشبه الجزيرة العربية**، الجزء الثانى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
آل عبدالقادر، محمد بن عبدا لله بن عبدالمحسن، الأنصارى، الأحسائى.
– **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد**، الرياض ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
د.العثيمين، عبدا لله الصالح.
– **تاريخ المملكة العربية السعودية**، الجزء الأول، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
– **بحوث وتعليقات فى تاريخ المملكة العربية السعودية**، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
د. العجلانى، منير.
– **تاريخ البلاد العربية السعودية. عهد الإمام عبدا لله بن سعود**، بيروت.
– **الإمام تركى بن عبدا لله، مؤسس الدولة السعودية الثانية**، الرياض، دار الشبل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
– **تاريخ مملكة فى سيرة زعيم، فيصل ملك المملكة العربية السعودية**. بيروت.

العجيرى، صالح محمد.
- **تقويم القرون، لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية خلال عشرين قرناً**، الكويت، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
العقيلى، محمد بن أحمد.
- **تاريخ المخلاف السليمانى**، جزءان، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م
- **أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث**. جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- **المعجم الجغرافى، مقاطعة جازان**، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- **عسير فى أطوار التاريخ**، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٦٩١م.
- **نجران فى أطوار التاريخ**، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
د.العمرى، حسين عبدالله.
- **مائة عام من تاريخ اليمن الحديث (١١٦١-١٢٦٤هـ)** دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
ابن عيسى، إبراهيم بن صالح.
- **عقد الدرر**، ملحق بكتاب عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر، طبعة وزارة المعارف، الرياض.
د.العيسى، ميّ بنت عبدالعزيز.
- **الحياة العلمية فى نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز ١٤١٧هـ.

غالب، محمد أديب.
- **من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى**، الرياض، دار اليمامة للبحث والنشر ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
الغلامى، عبدالمنعم.
- **الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود**. الرياض، الطبعة الثانية، دار اللواء ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
ابن غنام، حسين.
- **تاريخ ابن غنام، المسمى "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوى الإسلام**. القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.
الفاخرى، محمد بن عمر.
- **الأخبار النجدية**، تحقيق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
الفقى، محمد حامد.
- **أثر الدعوة الوهابية فى الحياة الإجتماعية والعمرانية**. القاهرة ١٩٣٥م.
كمالى، سليمان شفيق باشا.
- **مذكراته عن عسير**، تحقيق محمد بن أحمد العقيلى، نادى أبها الأدبى، السعودية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
الماحى، سيد.
- **نجران، الأرض والناس والتاريخ**. الرياض، الناشر: محمد همام
الماضى، تركى بن محمد بن تركى.
- **من مذكراته عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢-١٣٧١هـ)**

الرياض، دار الشبل، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

مالكى، سليمان عبد الغنى.

– **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية،** الرياض دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

– **مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج فى الراضى المقدسة، منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية.** الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

ابن المجاور، جمال الدين، يوسف بن يعقوب، الشيبانى، الدمشقى.

– **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى " تاريخ المستبصر لابن المجاور"** طبعة ليدن، ١٩٥١م.

المختار، صلاح الدين.

– **تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها.** بيروت.

مسفر، عبدا لله بن على.

– **السراج المنير فى سيرة أمراء عسير.** بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

المطاع، أحمد بن محمد.

– **تاريخ اليمن الإسلامى (٢٠٤-١٠٠٦هـ)** تحقيق عبدا لله بن محمد الحبشى، بيروت ١٩٨٦م/ ١٤٠٧هـ.

المقحفى، ابراهيم بن أحمد.

– **معجم المدن والقبائل اليمنية،** صنعاء، دار الكلمة، ١٩٨٥م.

المقريزى، تقى الدين، أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ)

– **السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزء الأول والثانى، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة، دار الكتب المصرية.

د. موسى، محمد يوسف.

– **ابن تيمية**، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، وزارة الثقافة والأرشاد القومى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

مؤلف بجهول.

– **لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

مؤلف بجهول.

– **صفحات مجهولة من تاريخ اليمن**، تحقيق حسين بن أحمد السياغى، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

الميدانى، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى، المعروف بالميدانى (٥١٨هـ)

– **مجمع الأمثال**، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

الندوة العالمية للشباب الإسلامى.

– **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**. الرياض ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

نصيف، محمد حسين.

– **ماضى الحجاز وحاضره**، القاهرة ١٣٤٩هـ.

النعمى، هاشم بن سعيد.

– **عسير قبيلة، وبلاداً**، مجلة العرب، ج٣،٤،ص١٨١، شوال ١٤١٢هـ/

١٩٩٢م.

النهروالى، قطب الدين، محمد بن أحمد، المكى(٩٩٠هـ)

- **البرق اليمانى فى الفتح العثمانى**، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

الهمدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب.

- **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن على الأكوع، باشراف الشيخ حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الواسعى، عبدالواسع بن يحيى.

- **تاريخ اليمن، المسمى "فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن"** صنعاء، الطبعة الثالثة، الداراليمنية للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن واصل، جمال الدين، محمد بن سالم.

- **مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب**. تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧م، ١٩٦٠م.

الوزير، عبدالله بن على.

- **تاريخ اليمن، المسمى " طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى"** تحقيق محمد عبدالرحيم حازم. بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

وهبة، حافظ.

- **خمسون عاماً فى جزيرة العرب**، القاهرة، الحلبى، ١٩٦٠م.

- **جزيرة العرب فى القرن العشرين**، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ثالثاً : الوثائق.

- مجموعة الوثائق التى تضمنها كتاب " بيان عن العلاقات السعودية اليمنية " التى أصدرته وزارة الخارجية السعودية، عام ١٣٥٣هـ. وطبع بمطبعة أم القرى.
- مجموعة وثائق عثمانية، وردت بياناتها فى موضعها من البحث، عند الاستشهاد بها.
- مجموعة وثائق انجليزية، وردت بياناتها فى موضعها من البحث.

رابعاً : الدوريات.

- جريدة أم القرى، وهى الجريدة الرسمية للحكومة السعودية.
- جريدة الأهرام ، التى تصدر فى القاهرة.
- جريدة المؤيد، كانت تصدر فى القاهرة.
- مجلة المنار، أصدرها فى القاهرة الشيخ محمد رشيد رضا، وصدر المجلد الأول منها عام ١٣١٥هـ/ ١٣١٦هـ (١٨٩٨/ ١٨٩٩م) .
- مجلة العرب، يصدرها فى الرياض الشيخ حمد الجاسر، صدر أول عدد منها فى رجب ١٣٨٦هـ (اكتوبر ١٩٦٦م)
- مجلة الفتح، أصدرها من القاهرة محب الدين الخطيب، وصدر أول عدد منها فى ١٣٤٤/١١/٢٩هـ (١٩٢٦/٧/١٠م).

المحتويـــــات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ١٦٦١ / ٩٨
الترقيم الدولى ٤ - ٥٢٢٣ - ١٩ - ٩٧٧ I.S.B.N



مطابع دار التعاون للطبع والنشر

